محمّد التازي



يوميات صحافي

منشورات دار الآفاق الجديدة
المغرب

يوميات صحافي

محمّد التازي

يوميات صحافي

منشورات دار الآفاق الجديدة
المغرب

الطبعة الأولى 1416 ـ 1996

فهرس

فكــر معــي

[تلك يوميات نشرت تحت عنوان «فكر معي» عامي 1956، و 1957]

اليـــومـيـــات

هموم واهتمامات

[مقالات تم نشرها بين عامي 1986 ـ 1987]

أحاديث الاذاعة والتلفزيون

مـرثيـات

تقديم

حين فكرت في اصدار هذا الكتاب محتوياً على جملة من المقالات التي نشرتها لي العلم وأنا من قرائها، ثم ما كتبته فيها وأنا رئيس تحريرها، وبعد ذلك ما تنشره لي وأنا بعيد عنها، حين فكرت في ذلك فان هدفي أن أضع أمام المهتمين بالمغرب وتاريخه بعد الاستقلال مباشرة صورة واقعية وصادقة عن اهتمامات الشعب المغربي كما تراءت لي وكما كنت أرصدها في حينها، ليقارن بينها وبين اهتمامات المغاربة بعد أربعين سنة من الاستقلال، وذلك هو القسم الأول من الكتاب وهو من مجموعة المقالات التي نشرتها في سنتي 1956، و1957، ولعل في بعض هذه المقالات إرهاصات بما آل إليه الوضع السياسي في المغرب، فقد عشنا في السنوات الأولى من الاستقلال ظروفاً دقيقة، ما يزال الكثير منها غير معروف، وغير مكتوب، ويكون ذلك كتاب مستقل إن شاء الله.

ولعل الجيل الذي كان متوسط عمر أفراده حين الاستقلال ما بين الخمسة عشر والعشرين سنة، يجهل حتى الآن جهلا كاملاً المرحلة الصعبة التي عاشها المغرب عقب الاستقلال، والتي أفرزت كل ما هو إيجابي وما هو سلبي في حياتنا الحاضرة

وبدون ادعاء، فقد كان لما ينشر في العلم أيامئذ تأثير قوي في الفكر السياسي والاجتماعي والثقافي، ولعل شهادة الأصدقاء التي أعتز بها، والمنشور بعضها في جريدة العلم خير شاهد على ذلك، كما أعتز باهتمام غيرهم من الأساتذة الجامعيين الذين يجدون فيما كتبت، وفيما أكتب سواء عندما كنت صحافياً، أو عندما جرف التيار سفينتي للديبلوماسية، أو حين جنحت إلى الشاطئ، فرست خارج مجرى النهر،

كانوا يجدون وحدة في الفكر، والتزاماً في الاتجاه، وصدقاً في التعبير عن اهتمامات المواطنين. داخليا وعربياً.

ويضم القسم الثاني من الكتاب بعض اليوميات والخواطر التي نشرت في العلم ما بين سنوات **1956** و **1987**.

وفي القسم الثالث والأخير كلمات عمن غابوا عنا، وكانت علاقتي بهم علاقة مودة صادقة، وارتباط حميم تجاوز بعضهم علاقة الصداقة والمودة الى علاقة الأبوة الروحية التي عاشت معي من طفولتي حتى شبابي، الى أن بلغ الكتاب أجله وأنا أودع مرحلة الرجولة لأستقبل مرحلة الشيخوخة.

فعسى أن أكون وفقت في قراري بنشر محتويات هذا الكتاب وسيعقبه قريبا كتاب يوميات ديبلوماسي، ثم كتاب ثالث يحتوي على مقالات وأبحاث ومحاضرات خلال أربعين سنة، ثم كتاب رابع ارتأى الصديق الأستاذ زهير بعلبكي صاحب دار الآفاق الجديدة، وناشر هذه الكتب أن يكون عنوانه «هموم عربية» كما لا يفوتني أن أنوه بالأستاذ شيكر أبو ياسين على مجهوده في السهر على تبويب موضوعات هذه الكتب، والاشراف على إعدادها للطبع، ولقد عانت الآنسة خديجة سينجاب عنتاً شديداً في طباعتها الأولى وإخراجها من الكومبيوتر. لهم جميعاً أصدق الشكر والتقدير، والله ولي الهداية والتوفيق.

محمد التازي

الدار البيضاء 1996

فکر مسیحی

أشياء تدعى بالكتب

لولا ايماني بأن الصمود من الفضائل البشرية العليا، التي لا تؤدى رسالة بدونها، لمزقت اوراقي وحطمت قلمي وقذفت بمحبرتي من النافذة ثم طلقت الكتابة بغير رجعة.

فقد علمت ان الصديق عبد المجيد اطلع على حسابات الكتب الثلاثة التي نشرها منذ رجع الى المغرب، فهبطت حرارة نزوعه لطبع خمسة كتب اخرى تنتظر، الى الصفر.

فقد عرفت الآن فقط ان اللوم الذي كنت اتجه به الى الادباء والمؤلفين والشعراء كان يجب ان اتجه به الى القراء اولاً، لأنه يظهر ان الناس قد استقروا فيما بينهم وبين انفسهم استقراراً خطيراً على ان في استطاعة الانسان ان يعيش بخير دون ان يحتاج الى النظر في هذه الاشياء التي تدعى بالكتب.. وان شحن المعدة بالطعام يغني الف مرة عن تغذية العقل والشعور، بالقراءة... وأن الفرق بين الانسان والحيوان فرق تافه لا يتطلب العناية يشؤون الفكر والروح... إن هو الا بطن يدفع، وارض تبلع، وسيان ما يهلكنا بعد ذلك...

لقد انسقت مرة اخرى اتحدث عن البديهيات، فمعذرة للذين يقرأون، أما الذين لا يقرأون فلا أراهم في حاجة الى معذرة وهم يسبحون في متاهة المجهول..

حقيقة اخرى لابد من تسجيلها هنا لانها تفصح عن اهتمام بعض القراء بهذه الكتب وعددهم ليس بالقليل، وهي ان الذين يستهدون هذه الكتب اكثر جداً من الذين يشترونها، وفي هذا ما يدل على ان مستقبل الادب في هذه البلاد لا يساير رأي المتشائمين.

وعي الشعب

هل شاهدتم مرة بذرة وهي تنمو ؟ هل راقبتموها وهي تقاوم التربة المدفونة فيها لتخرج الى الحياة.. حيث الشمس والهواء؟

طبعا لا.. ولكننا عندما نلمح برعمها ينتفض مزهوا بالنصر..، يستنشق الهواء بملء رئتيه، ويفتح مسامه لأشعة الشمس في النهار، وقطرات الطل في المساء حين نلمح هذا، نتذكر الصراع الخفي، الذي صارعت به البذرة عناصر التراب حتى اكتمل نموها، فتسربت جذورها وامتدت الى باطن الأرض لتقوى من عضلات البرعم المنتفض فوقها وقد يكون البرعم رخوا فتقتله أضعف ريح تمر به. وقد تنمو بجانب البذرة طفيليات تسممها، أو تميتها!.

ان وعي الشعوب كالبذرة سواء بسواء.. لا ندرك عملية تكوينه، ولا نعرف المراحل الدقيقة التي مر فيها قبل ان ينفتح وينمو، وينطلق من القمقم تدرج بين سيقانه القوية ــ عملاقاً يُغطها بظله كل الاقزام. قد تكون التربة التي ساعدت على تكوينه ونموه تربة طيبة وقد تكون جذوره عميقه الاغوار.. وحينئذ لا تؤثر به العواصف والأنواء. لا تحرقه اشعة الشمس، ولا تميته قطرات الطل!.

وقد يكون منبته سيئاً.. وجذوره مما ينمو فوق السطح. وعندئذ لا يقوى على مقاومة عناصر الطبيعة!

ان وعي الشعب المغربي وعي أصيل، ليس وليد احداث طارئة. قد تكون هذه الاحداث شذبت جوانبه.. ونقت تربته من طفيليات البذور وزوائد الاعشاب فتفتحت أكمامه لأشعة الحرية.. وأنسام الحياة المنطلقة ولن يزهر هذا الوعي الا اذا تعهدناه بالري وسيجناه بالتيقظ لقطع كل ما يعوق نموه وبتره !

ان هناك عوامل كثيرة قد تحول هذا الوعي الى غير الهدف الذي يجب ان يتقصده، أو تحيد به عن الطريق الذي يجب ان يسير فيه.

يجب ان نكون يقظين في توجيه هذا الوعي وترويضه.. حتى يكون حربا علي الاستعمار، وثورة على الاستبداد.. ومعولا يحطم كل ما يعوقه او يقف عقبة في طريقه نحو التحرر، ونحو بناء مجتمع سليم..

نريد الوعي، سلاحا في يد الشعب لاسلاحا عليه.

نريد الوعي المغربي زهرة يانعة جميلة، تعبق بالشذى. وتفوح بالعطر. تبعث في نفوسنا عشق الحياة.. وتغمرنا بالحب والصفاء.

القاهرة 6 ــ 3 ــ 1956

فتات الماضي

الشعوب التي تعيش على فتات الماضي، لا تستطيع معدتها هضم انواع الاطعمة التي تحفل بها موائد الحاضر، لأن أمعاءها تتقلص وتيبس، وتعجز عن تذوق مبتكرات مهرة الطباخين أو تفسد نفسها، وتضعف شهيتها!

لقد كان العقل العربي يتغذى ـــ الى عهد قريب ـــ بالثقافة العربية القديمة، يصححها، وينقحها، وهذا عمل جليل، لأنه يحفظ للغة العربية مصادر استيحائها، ولكنه يصبح خطراً اذا طبع الذهنية العربية بأسسه واصوله، فاصبحت أسيرة وحيه مقيدة بمنهجه، لا تصدر الا في الخدود التي لا تتعارض وتلك الاسس والاصول.

كان العقل العربي يعيش في التاريخ، في الماضي وأقفل مسامه ومساربه، فلم يعد ينفذ أو يتسلل اليه سوى ما كان توكيداً لتراثه التاريخي.

في هذا المجال عاش طه حسين والعقاد، والزيات وسواهم وفي هذا المجال أيضا أوشكت الثقافة العربية أن تقرر مصيرها كانت تعيش بواقعها في القرن العشرين.. وبتفكيرها في عصور الجاهلية، والامويين والعباسيين طردا وعكسا وسلبا وايجابا..

وأوشك الرواد الأوائل ان يجسموا هذا التاريخ وينصبوا له محرابا يتعبدون فيه ويتقربون اليه.. الى صنم الماضي ولكن بعضهم أدرك الوعي الجديد فابتلت ثيابه بالمد الذي حمل معه الى العقلية العربية مبتكرات العقل البشري في الشرق والغرب ولم يبق عليه الا ان يطرح ثيابه الخلقة جانبا او ينشرها في الظل ليسبح مع السابحين !

ان الادب العربي الحديث يتجه الى تصوير حاضره، انه لا يعزل

ظواهره الاجتماعية عن مجالها.. لا يخفى راسه في الرمل بل يتقدم في عزم وجسارة يبحث عن الجراثيم التي تسمم فكره وعقله.

لقد اصبح يعيش في الحاضر مشرئب العنق الى المستقبل لا باعتباره مجرد امتداد للحاضر بل يصنع هذا المستقبل الذي لا يمشي على خط مستقيم ان المستقبل الذي تصنعه الثقافة العربية الحديثة مستقبل فيه دروب وانهار ومنعرجات وهضاب ووهاد، فيه الضباب والغموض، والاشراق والوضوح، تتلاقى على قمته رياح الغرب المخدرة وشمس الشرق اللافحة!. ولكن عند القمة تتفاعل هذه العناصر ليتولد عنها عنصر جديد فيه الصدق والحزم والاقدام والحرية.. فيه الأمل الذي يحن اليه الشرق.. ولكن ليس فيه الجشع الذي يشكو منه المغرب!..

الأدب الجديد ثورة.. والثورة إصرار، والاصرار ارادة، والارادة إيمان بالانسان والحياة..

ان الادب المغربي المعاصر لا مكان له في الماضي المتجمد.. ولا في الحاضر الواعي.. لانه لا يوجد أدب مغربي •

القاهرة 7 ــ 3 ــ 1956

الجولة الأولى

الحرية تاج على رؤوس الاحرار لا يراه إلا العبيد..

بالامس القريب كنا نتطلع إلى المستقبل، في قلوبنا أمل، وفي عقولنا توجس... أمل في حصولنا على استقلالنا، وفي استرجاعنا لحريتنا وكرامتنا وعزتنا.. وتوجس من الاستعمار في أساليبه الملتوية، وسياسته الخرقاء، التي تنزع من النفس كل ثقة، وتزرع فيها الشك والخوف والريبة... واليوم تعترف فرنسا باستقلالنا وتسلم بحقنا في الحياة الحرة الكريمة وبذلك سجلنا النصر في جولتنا الاولى..

أربع وأربعون عاماً من إصرار هذا الشعب الأبي.. من صموده وجلده.. من يأسه وأمله من هموده وثورته.. من أفراحه وأحزانه.. من رخائه وشدته

أربع وأربعون عاما بصيفها وخريفها، بشتائها وربيعها. بلياليها الكالحة كنقمتنا.. بأنهرها المشرقة كآمالنا.. انتهت.. ماتت.. طواها عناد الشعب وسطوته.. فك قيودها من رجليه وعنقه، وانطلق في الفضاء الرحب.. مادا يديه الى المستقبل حيث لا عبودية ولا استرقاق، لا استعباد، ولا استغلال، لا خوف ولا فزع..

انطلق العملاق من سجنه ليصنع المستقبل.

بقي الشعب لم تتزعزع الارض من تحته.. بقي مصرا وسيبقى على اصراره حتى ينتصر في الجولة القادمة.

ان الاستقلال وسيلة لا غاية. انه سلاح في أيدينا.. سلاح ذو حدين. ولكن الشعب الواعي اليقظ يعرف الايدي الحكيمة التي سيضع سلاح الاستقلال فيها حتى تشق له به طريق المستقبل انه المصباح الذي سنتلمس به هذه الطريق، ان كفاح الشعب قد انتصر ولن يفرط الشعب في هذا الانتصار.

القاهرة العلم 14 — 3 1956

مسؤولية الحاكم

من الأسباب التي أوقفت عجلة التطور في بلادنا، وسارت بها الى الوراء انعدام الثقة بين الشعب وحكامه... كان الشعب لا يرى من حكامه الا الظلم والاستبداد... كان غابة يحطبها الحاكمون، وقطيعا من البهائم يساس بالجبر والسلطان وتلهب ظهره سياط الجور والاستعباد... مما جعل الشعب ينظر الى حاكميه نظرة كلها ريبة وشك وقلق... وجعل من هؤلاء الحاكمين جبارين يمشون في مناكب الأرض، يسفكون الدماء، وينتهكون الاعراض، ويكنزون الذهب والفضة، يستعبدون بها الشعب، ويفرضون بها سلطانهم عليه... كانوا بمنجاة من القانون لانهم فوق القانون!.. وكانوا بمنجاة من النقد، لان أفواه الاحرار مكمومة... ولأن جماعة من المرتزقة والانتهازيين تسبح بحمدهم، وتضفي القداسة على أهوائهم وترهاتهم... مهما كانت هذه النزوات والاهواء ضارة بمصالح الشعب، ومفسدة لسمعته وسمعة حاكميه.

كان الحاكم لا يفكر مع الشعب وانما يفكر مع مصالحه الذاتية ولهذا لا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم لتوكيد هذه المصالح، واضفاء ستار المصلحة الشعبية عليها حتى تحجب أوزارها عن الأعين!..

وممارسة الشيء تجعله عاديا سهلا ميسورا، بل لا يزال الانسان يبرر أعماله وتصرفاته وسلوكه حتى تصير هي الحق، وهي الواجب، وهي المنطق:: وحتى تسمو عن النقد:: في نظره على الاقل

يرتشي الحاكم ويبيع المناصب فلا تتحرك في قلبه عاطفة ولا يؤرقه تأنيب الضمير ولا يخيفه غضب الشعب ونقمته لانه أقنع نفسه أو أقنعه الناس من حوله بأن من حق الحاكم أن يأخذ مقابل أتعاب:!

وأن يستنفذ سلطان منصبه. يجب أن نضع النقط فوق الحروف، وان نرسم العلامات الواضحة التي تقف عندها سلطة الحاكم، فاذا حاول أن يتخطاها أوقفناه غير خائفين ولا وجلين!...

ان الشعب الذي فتح الباب وطرد منه الاستعمار، لن يفتح النافذة ليدخل منها الاستعباد والاستغلال والفساد... وان النقد النزيه لا يحطم الحاكم. بل يضيء أمامه الطريق، ويهديه الى السبيل السوي الواضح.

وبعد ما هي العلاقة بين الحاكم والمحكوم ؟. والى اي حد يجب على الانسان ان يسد اذنيه فلا يسمع، وان يضع نظارة سوداء قاتمة على عينيه فلا يرى؟ وان يربط لسانه فلا يتكلم؟

ان الحكم مسؤولية، ومتى استهان حاكم بمسؤولياته وجب علينا أن ننتقد كل تصرفاته التي تتعارض مع مصلحة الشعب... هذا اذا أردنا ان نرسى للحكم في وطننا أسنادا متينة يقوم بها وأسسا قوية يعتمد عليها..

من الآن، وفي هذه الفترة وقبل فوات الأوان.

العلم 2 — 4 — 1956

البذور السامة

هل يولد المرء وقلبه كالصفحة البيضاء؟ وهل المجتمع هو الذي يرسم في هذه الصفحة البيضاء خطوطا واضحة من الخير والشر؟ أم الظروف هي التي تتحكم في المرء، فتجعله يسلك في حياته سلوكا معينا، قد يكون في صالح نفسه، وصالح مجتمعه أو وباءً عليهما، وان الانسان هو الذي يصنع سلوكه ويصنع خيره وشره، ويتحكم في مستقبله يصوغه كما يشاء؟

قد يولد المرء من أبوين فقيرين، فيكد ويشقى حتى يصبح غنيا، وقد يولد غنيا، من حيث لا يدري، فيجد نفسه ملفوفا في الديباج والحرير، ولا لوم عليه في كلتا الحالتين لانه لم تكن له ارادة فيهما، فالمجتمع يكبر في الفقير ـــ الذي أصبح غنيا ـــ شجاعته وعزيمته. اذ هو سلك لغناه سبيلا شريفا. ويترقب من الثاني ـــ الذي ولد غنيا ـــ ان يكون في غناه حق للدولة والمجتمع.

فهل يولد المرء خائنا، كما صح أن يولد فقيرا أو غنيا؟ وهل يرث المرء الخيانة من أبيه وأخيه أو صديقه؟ وما موقف المجتمع من هذا الخائن؟ أيقبل توبته، ويقدر الظروف التي ساعدته على أن يكون خائنا، ويختلق له الأسباب والمعاذير، ويفسح له مجال التوبة النصوح فينسى ماضيه..؟

كلا، ان المرء لا يرث الخيانة ولا يورثها لغيره. ولكنه يتلقن بذرتها فتجد من نفسه المستهترة تربة صالحة للنماء، فتنمو، وبالعادة والممارسة تصبح خلقا له أحكام الغريزة الفطرية في تكوينه.

والمجتمع، يجب أن لا يقبل التوبة من الخائن، لانه لا يملك ذلك ولا يستطيعه، ولا يكفي أن تكون نتائجها مما لا يؤثر في حياة المجتمع

تأثيرا مباشرا، لان مجرد النزوع الى الخيانة يكفي لأن يرسب في النفس، فيطبعها بطابع خاص بحيث يصبح سلوك الانسان أسيرا لهذا الطابع، من حيث يدري أو لا يدري.

والظروف هي التي تجعل من بذرة الخيانة شجرة سامقة، أو نبتة على وجه الأرض وكونها نبتة لا يمنع استعدادها لتصبح شجرة !

ان أصغر خائن لو تهيأت له الامكانيات لبات أكبر خائن ! وما الخيانة الكبرى في سطوتها وجبروتها سوى الصورة المكبرة للبذرة الصغيرة، التي لا تزال تتلمس في غفران المجتمع وسماحته سبيلا الى النماء !

ان المجتمع المغربي في حاجة حازبة لاقتلاع البذور السامة عن جذورها وهي لا تزال صغيرة تافهة، حتى يأمن شرها، وقد أصبح لها فروع فيه، فيحصن نفسه ومقاييسه الأخلاقية من التبلبل والاضطراب.

العلم 20 — 4 — 1956

مؤتمر الشبيبة الاستقلالية

حيا الله شبيبة حزب الاستقلال فقد كانت مقررات مؤتمرها دليل الوعي الصادق، والاحساس العميق بمسؤولية الاستقلال.

فالشباب كان — ولا يزال — رائد الشعب في معركة التحرير وطليعته في معركة التفكير، وان التفكير لمعركة خطيرة، يحتاج النصر فيها لعزيمة الشباب واصراره، وقد انتصر شباب حزب الاستقلال في هذه المعركة فكانت قراراته تتسم بالفهم الدقيق لهذه المرحلة التي يمر بها الوطن والمواطنون، وكان الشباب شجاعا في تفكيره وشجاعا في صياغة هذا التفكير.

واذا كان الشعب قد طوى الاستعمار الرسمي بين طيات كفاحه واستماتته واصراره، فان شبح استعمار آخر، اشد ضراوة وفتكا وأكثر وحشية وتحفزا يتسلل الينا من حيث ندري أولا ندري، ليحيط عنقنا فيحبس انفاسنا ويشل تفكيرنا.

وهذا الاستعمار يختبىء في عقولنا وتفكيرنا وفي نوع الثقافة التي سنجعلها — في عهد الاستقلال — مصادر استيحاء لنا وفي شكل النظام الاقتصادي، والعلاقات الاجتماعية التي تحافظ على التماسك الطبقي، وأخيرا في نمط الحكم الذي ستحكم به البلاد.

وكل هذا وعاه شباب حزب الاستقلال ودرسه في مؤتمره، ثم أصدر قراراته وقد فصلت رأيه فيه تفصيلا.

وإذا كان حزب الاستقلال هو حزب الشعب المغربي قاطبة وكان أغلب أعضاء الحزب من الشباب، فان قرارات مؤتمره، هي قرارات الشعب المغربي، تعبر عن رأيه في المشاكل الحاضرة وعن موقفه ازاءها، ولم يبق على قادة الحزب سوى العمل على تشكيل هذه

القرارات في صياغتها النهائية، وبلورتها في نظم عامة تحدد سياسة الحزب وترسم وسائله وأهدافه.

ان شباب حزب الاستقلال، يطالب بحياة نيابية دستورية، حتى نقيم دعائم مجتمعنا على أسس ديمقراطية سليمة، كي لا تعبث الاهواء والنزوات والشهوات والسلطة المطلقة بمقدرات الشعب ومصالحه، والحياة الدستورية كانت من الاهداف الرئيسية لكفاح جلالة الملك ولم يزل جلالته يبشر بها، ويدعو لها، حتى اصبحت عقيدة يؤمن بها الشعب، ويعمل لتحقيقها.

ويطالب شباب حزب الاستقلال بثورة اجتماعية، تساند الثورة السياسية، بل هي نتيجة منطقية لهذه الثورة الأخيرة، وذلك بوضع نظام اقتصادي يحقق للبلاد استقلالها الحقيقي، حتى لا تظل أسيرة أوضاع تخلفت عن الماضي، ونمت في أحضان الاستعمار.

ويطالب شباب الحزب بقيام حكومة تمثل أغلبية الشعب، وهذا معناه العمل على اجراء انتخابات برلمانية يعبر فيها الشعب عن رأيه في الذين سيوليهم ثقته ويسلمهم زمام قيادته في الظروف العصيبة التي يجتازها. فالحكومة الحاضرة قد أدت مهمتها في حدود الظروف التي لابست تكوينها، أما اليوم فهذه الظروف قد انتهت واصبحت ملابساتها غير ذات قيمة، مما يترتب عليه تأسيس حكومة جديدة تجري الانتخابات.

وكان شباب حزب الاستقلال على بصيرة من هؤلاء الذين يأكلون على كل مائدة! فوطنيتهم تمشي دائماً تحت تأثير ميزان الحرارة، فاذا كانت أسهم الحزب في ارتفاع صفقوا له وهتفوا، حتى ليخال اليك أنهم أشد وطنية من الوطنيين، واذا حزبت بالحزب أزمة، ولوا وجوههم نحو رجل الساعة وبطل الميدان ولم يكن بطلهم هذا

مع الاسف ــ وفي كل الاجوال ــ سوى الاستعمار. كانوا لسانه الذي يعبر به، ويده التي يبطش بها، كانوا دعاة الهزيمة، والرجعية، والرضا بالامر الواقع واليوم يخرجون من جحورهم فيملأون الوطن ضجيجا وعجيجا، حتى أصبحوا أكثر تطرفا من المتطرفين

هؤلاء يطالب شباب الحزب بسد ابوابه دونهم، حتى لا يتشكك الفرد في القيم الاخلاقية التي يؤمن بها، ويدعو لها، ففي التسامح عنهم افساد لكل الموازين التي يزن بها الانسان مبادئه الوطنية والاخلاقية.

وانه لأفلاس للوطنية اذا تشكك المؤمنون في مبادئها.

ومرة اخرى حيا الله شبيبة حزب الاستقلال ووفقها لبناء المغرب الجديد مغرب الحرية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، والقيم الاخلاقية، الصحيحة.

العلم 17 ــ 4 ــ 1956

اناعائدمن مثلث الموت ..

(1)

رافقت الموكب الملكي في الزيارة التي قام بها جلالة الملك محمد الخامس الى مناطق جيش التحرير.. وقد كتبت لقراء «العلم» عن «مثلث الموت» الذي كان الحد الفاصل بين عهدين.. عهد استعماري مقيت.. وعهد يبني للحياة وللمستقبل... وللحرية.

كنت في مثلث الموت.. في أكنول، وبورد، وتيزى وسلي رأيت الاسود الذين خرجوا من عرينهم لينقضوا على جثة الاستعمار.. شاهدت أبطال الحرية.. وتحدثت مع زعماء الثورة المغربية. الذين استرخصوا أرواحهم ليحرروا الوطن من العبودية والقهر.. رأيت في ملامح وجوههم الصرامة والبأس.. ومسكت يدي بالمدافع الرشاشة التي كانت كل طلقة منها صرخة داوية يرسلها الشعب الثائر لقوميته وحريته وعرشه.

في الطريق

الهدوء يضفي على الطريق رهبة الموت.. وأشباح الليل تتزاحم لتفر من ضوء الفجر الذي يلاحقها.. لا يسمع الا أزيز عجلات السيارة التي كان الحصى يتطاير من يمينها ويسارها.. وتلال الجبال المقفرة تنتصب كزبانية الجحيم.. وابتعدت عن مدينة «تازة» بحوالي عشر كيلومترات.. في طريقنا الى «اكنول».

كانت السيارة تسير في خوف واضطراب.. مشفقة على نفسها من القفر والوحشة والتلال!.

وما كادت أشعة الشمس تنفذ من رؤوس التلال الى الارض المعرجة حتى وصلنا الى المنطقة التي يحكمها جيش التحرير.

قف .. من أنت ؟

قف   من أنت!. هذا هو ما خاطبنا به رئيس الفرقة التي تحرس منافذ مثلث الموت..

كان شخصا يضع على وجهه لثاما لا يكشف عن سوى عينيه البراقتين وعلى جانبه الايسر مسدس.. وفي الحزام علقت قنبلة.. وما كادت السيارة تمثل الامر وتقف امام الحاجز المنصوب على طول الطريق.. حتى تقدم رئيس الفرقة الملثم، وحيانا في ود ظاهر.. وعندما عرفته بنفسي ومهمتي أشار بيديه الى حارس الحاجز.. ومررنا.. دخلنا الى أرض المعركة.. الى الأرض التي يمتزج فيها التراب بالدماء المغربية. ومن هذه التربة ستنمو الحرية وتزدهر.. ويفوح عبيرها على الوطن المغربي..

أرواح الشهداء..

كانت الشمس قد نشرت أشعتها على الهضاب والتلال والمنخفضات، ولكن فحيحا مخيفا.. مريحا.. قاتما.. واضحا.. كان يصل الى أسماعنا.. وفي بعض اللحظات يحسه الانسان متجسما تكاد تلمسه اليد، وتبصره العين.. وتوقفت السيارة لتبارك هذه الأرواح الطاهرة التي تحيط بنا من كل مكان.. فرحة طروبة باستشهادها من أجل حرية المغرب واستقلاله.. وشعرنا بالمرارة تطغى على أفئدتنا.. لماذا لم نكن نحن أيضا هنا؟. وفي هذه اللحظة ارتفعت الصرخات التي كانت تصل الى أسماعنا.. وكانت رؤوس التلال تلون هذه الاصوات وتعطي لصرخاتها أصداء عجيبة.. وانطلقت السيارة تبحث

في شوق عن مصدر هذه النداءات المتعالية.. وبعد أن عرجنا على منخفض موحش، وجدنا مكان الاصوات.. كانت صادرة من نسوة خرجن من كهوفهن، وخيامهن، وتجمعن في هذا المنحدر ليستقبلن جلالة الملك.. وما كادت السيارة تقترب منهن حتى ارتفعت زغاريدهن، وكأنها حشرجة الموت ترسلها حناجر جافة، تنبعث من أفواه يابسة الشفاه، قاتمة اللون.. رسمت على وجوه غضنتها وحشية الاستعمار، وأبرزت عظامها المجاعة الوبائية التي حقن عروقهن بها الاقطاعيون والمستعمرون.

أين الرجال ؟

وتوقفت السيارة لتحل لغز هؤلاء النسوة، اللائي تتعلق بثيابهن الممزقة المهلهلة أشباح صغيرة لها أجسام الآدميين وحركتهم.. وليس لها حياتهم وبهجتهم.. وسألت احداهن عن الرجال أين ذهبوا؟ وكان جوابها ردا مقحما.. مات من وافاه الاجل.. والتحق الباقي بالمجاهدين.

ــ وأين تقمن مع أولادكن؟.

ــ نقيم في الجبال وكهوفها. نلتحف الارض، ونستر أجسامنا بأشعة القمر، وزفير الرياح..

ــ ومن أين تطعمن أنفسكن وأولادكن؟..

ــ لقد تعودنا على الجوع. وعلى ما يصلنا من رجالنا.

هذه حالة كل مكان زرناه في الشمال.. اليتم.. والفقر، والعرى. والجوع.. والمسبغة المخيفة التي تفتت الاكباد على مصير الذين ضحوا من أجلنا بكل شيء..

قيادة مغراوة

وواصلت السيارة مسيرها وسط بقايا القوة الاستعمارية.. كل

شيْ حطمه المستعمرون.. وكل شيْ ضحى به الثائرون كانت أعمدة التليفون والكهرباء على طول الطريق تقف عزلاء من أسلاكها تشير الى الثائرين الذي قطعوا الحياة منها.. وأسكتوا الاصوات النكراء التي كانت تجري بين ثناياها تحمل الموت والفناء والدمار.

ووصلنا الى مكان معشوشب، فوجدنا فرقة من جيش التحرير التابعة لقيادة مغراوية.. وقد حمل أفرادها ــ زيادة على أسلحتهم وقنابلهم ــ لافتات كتبت عليها عبارات الترحيب بجلالة الملك.. وقال رئيسهم. قف.. من أنت؟..

كانت الحواجز قد نصبت في مسالك الطريق.. والاذرع الفتية الصلبة تحرسها بالمدافع الرشاشة.. والقنابل اليدوية.. والاسلاك الشائكة.

انا عائد من مثلث الموت ..

(2)

قادة الثورة ينامون على التبن !..

وصلنا الى قيادة مغراوة.. وقال رئيس الفرقة:
قف.. من أنت ؟..

وحاول أحدهم أن يفتش السيارة ولكن رئيس الفرقة منعه من ذلك، وسمح لنا بالمرور، فرفعت الحواجز.. وازيحت الاسلاك الشائكة. وانطلقنا بين التلال اليابسة، ومخلفات قوات الاحتلال. وعن يميننا ويسارنا بقايا منازل، لم تترك قنابل المستعمرين منها سوى اسوار مهدمة..

وعلى الساعة السابعة صباحا وصلنا الى «اكنول» زاوية مثلث الموت.. والمكان الذي كان يصل بين قوات جيش التحرير وبين المناطق المجاورة التي كانت الامدادات العسكرية تصل منها اليهم.. وكانت أهم هذه المناطق تازة.. صنهاجة.. تاجناست. تاوريرت. باب المروج. وكاف الغار.

وفي قيادة المنطقة كان السيد عبد السلام، رئيس الفرقة المرابطة في اكنول، يأخذ مقعده أمام طاولة وجلست تجاهه اسمع قصة الثورة. قصة الذين دفعتهم الاحداث الى المقدمة.. وأرغمت التاريخ على فتح صفحة من صفحاته ليسجل عليها الفداء والتضحية. والنزاهة والاخلاص.

سمعت القصة من بدايتها.. ووقفت على كل المراحل التي قطعتها ثورة الشعب المغربي ضد الاستعمار والاقطاع والفساد..

قيادة محمد الخامس

وسألت قائد الفرقة..

ــ والآن.. وقد تحققت رجاوة الثورة. ماذا تصنعون ؟

ــ ننتظر الأوامر..

ــ ممن .؟

ــ من جلالة الملك محمد الخامس. ومرت فترة من الصمت كانت قاسية بالنسبة لكلينا.!!

ولكن ضوضاء المتجمهرين خارج مركز القيادة كانت تلطف من حدة هذا الصمت على نفوسنا!

ونسيت مكاني.. وتضاءلت أصداء الضوضاء وانطلق ذهني يفكر في مبعث هذا الحب العظيم الذي يكنه الشعب المغربي لمحمد الخامس..

زرت دولا عديدة. وشاهدت كيف يستقبل الملوك والرؤساء والزعماء.. ولكنني في المغرب رأيت شيئا جديدا..

لم تعد كلمات الحب.. والاخلاص والوفاء والتضحية مجرد عبارات بل رأيتها مجسمة مندفعة تتدفق كالسيل لتعبر عن حقيقتها في صفاء ووضوح ما الذي يحمل الآن البشر، على الوقوف تحت اشعة الشمس المحرقة؟

ما الذي يجعلك تحس بقلبك ان هتافات الجماهير ليست مجرد أصوات. وانما هي تعبير صادق عن احساس صادق؟.

ان هذا كله وليد الايمان.. الايمان الذي يكتسح كل خداع المخادعين وتملق المتملقين الذين يؤيدون كل ناعق ويسيرون مع كل موكب ليلتقطوا ثمار الناجحين !!

انك تستطيع أن ترغم غيرك على أي شيء، ما عدا شيئا واحدا هو أن يحبك اذا كان قلبه ينفر من قلبك.

لقد احب الشعب المغربي محمدا الخامس وآمن به، فاندفع ثائرا..

هائجا.. لا يلتفت وراءه.. وانما يثب الى الامام، ليخوض معركة الحياة مع محمد الخامس.

الرصاصة الأولى

ودعنا السيد عبد السلام لنواصل طريقنا الى المكان الذي انطلقت منه الرصاصة الأولى.. فتجاوبت اصداؤها في قلب الشعب المغربي ووجدناه... ووصلنا الى «بورد». الحصن الذي ارهفت الدنيا اسماعها لتنصت منه الى صوت الشعب الثائر على الاستعمار. والظلم. والفساد والاقطاع.. والموت.. انصتت الى الشعب يردد انغام الحياة.. واناشيد الانسان المنطلق من القيد والمندفع الى المستقبل..

وفي بورد كانت قوة جيش التحرير القاهرة. ترصف يمين الطريق ويسارها.. وقد وشح كل واحد من افراد الجيش صدره بهذه الكلمة الخالدة:

الاستقلال هدفنا

وكانت كل لافتة تنتصب على عمودين من الخشب وقد كتب عليها كلمات الحب والاخلاص لقائد الشعب محمد الخامس.

وعلى كتف كل واحد بندقية او مدفعه الرشاش. وعلى حزامهم علقت القنابل اليدوية على اشرطة ترصعها الرصاصات الحبيبة التي كانت لسان الشعب المغربي.

واجتمعت بقادة المركز في بيت صغير هو مكان القيادة.. غطيت أرضه بحصير تضم اعشابه كل اسرار الثورة.. وقد نشر في جوانبه فراش من التبن..

في هذا المكان الذي يتغذى على ارضه قادة الثورة وينامون على حصيرة وتبنه.. جلست مرة ثانية أسمع قصة الثورة..

أنا عائد من مثلث الموت

(3)

كيف بدأت الثورة الشعبية ضد الاستعمار ؟

سؤال يتردد على لسان الذين كانوا بمعزل عن الاحداث.. ويستفهم عن أخباره الذين فوجئوا بثورة أبطال المغرب..

ويتساءل الناس أيضا عن الدوافع الحقيقية التي حفزت الشعب المغربي الى المقاومة الفردية والجماعية.. وهم يبررون تساؤلهم بأن الشعب مضت عليه في قيود الاستعمار سنون عديدة.. استطاب فيها الحياة مع الغزاة، وأمن الاستقرار مع المستعمرين.. فكيف يثور الآن؟. وكيف يتحول استسلامه الى ثورة من أخلد الثورات في التاريخ؟

ان الشعب لم يستكن الى المستعمرين. ولم يستطب الحياة مع الغزاة الفاتحين.. ولكنه كان يستعد للمعركة الفاصلة مع الاستعمار..

كانت الوطنية الثائرة.. المتدفقة في القلوب النزيهة تبنى للفداء والتضحية صروحا متينة في ضمير الشعب ووجدانه،

كانت تلقحه بالدم الطاهر الذي تسرب الى الايدي المشلولة فسرى فيها تيار التضحية والفداء فقويت على حمل المسدسات والبنادق والقنابل.. وكانت من قبل تحمل العصى والطوب والحجارة!!

وكانت الساعة الفاصلة يوم امتدت الايدي المجرمة الى جلالة الملك محمد الخامس وانزلته من عرشه..

وكانت واهمة، لان عرش محمد الخامس مقام في قلوب المغاربة وعواطفهم.. لقد كان يحكم الشعب وهو في منفاه السحيق..

آمن به الشعب فرآى صورته في القمر.. وطيفه في الاحلام. وأمله في اليقظة.

تخيله الاطفال صورة للبطل فاستلهموا منه رسومهم وهو عائد منتصرا !!

تخيلوا انفسهم في باخرة تتقاذفها الرياح. وتتلاعب بها الامواج واتت عصابة فاختطفت قائدها ما مصير السفينة اذا لم يقم الركاب ليدافعوا عن القائد؟

تصوروا عائلة سطا القدر بقبضته القوية على رئيسها... رجاوة فناء أفرادها بعده ؟..

* * *

تجمعت كل هذه العوامل.. واستقرت في وعي الشعب المغربي الذي لم يستكن طوال تاريخه الى مستبد أو مستعمر أو دساس.. كان يقاوم الاستعباد بجميع صوره..

وحين وجد نفسه أمام قوة جديدة لم يكن له عهد باساليبها.. ولا بتنظيمها.. وهو الشعب الذي الف مقابلة النار بالنار.. والحديد بالحديد..

وقف يفكر !.

كيف ينازل هذه القوى الجديدة ؟

انه أصبح مسلوب السلاح.. صار اعزلاً

لقد ألف المقاومة المسلحة

هنا ظهرت الحركة الوطنية.. ظهرت بمقاومتها السياسية من جهة، وتربية الشعب من جهة اخرى..

حتى تزيل من عقله مركب النقص. وعقدة الدونية.. والاحساس بتدخل القدر!

ومارس الشعب تربيته، حتى استوى عملاقا يتدرج من المقاومة

بالاحتجاجات والمظاهرات.. والاضراب الى ان وصل الى المرحلة الحاسمة في حياته..

وكانت نقطة الانطلاق يوم أحس الشعب بالمؤامرة تحاك لعرشه وملكه..

قبل عشرين اغسطس 1953 كانت حوادث وجدة والقراء يعرفون انها بداية المقاومة المسلحة قبل النفي..

وجاء يوم عشرين اغسطس 1903

ودخل مقيم فرنسا يقول لجلالة الملك

إما ان توقع على هذه القرارات أو تتنازل عن العرش.

وقال الملك المؤمن بالله، وبرسالته، وبالشعب قال:

لا هذا ولا ذاك

لن اوقع ولن أتنازل

وقال الاستعمار

اذن ستنفى يا صاحب الجلالة

فابتسم الملك في هدوء واجاب بصوته الهادئ الوقور

— لقد كنت انتظر هذا من زمن طويل

وفي الساعة الثالثة من مساء عشرين اغسطس حلقت طائرة فرنسية فوق سماء المغرب وفي اتجاهها اثني عشر مليون مغربي.. يستمعون الى صوت محمد الخامس يردد في اعماقه

— لقد اديت مهمتي. وآن للشعب ان يؤدي واجبه...

العلم 3 — 7 — 1956

أزمة اقتصادية

مر التاريخ البشري في مراحل متعددة، كان جهد الانسان منصرفا فيها الى تحقيق هدف واحد، هو ما يمكن أن يحققه من غنم مالي. وتطورت الحياة بالانسان، فابتكر عدة وسائل للتوسع ولتوفير اسباب توسيع رأس ماله وسيطرته، وتبنت الدول هذه الغاية، فكانت التطورات الآلية، وكانت الحروب.. واخيرا كان الاستعمار.

وتبلورت الفكرة التوسعية واتخذت لها فلسفات تبررها فكانت مختلف النظريات في السياسة والاقتصاد.

وحين استعمرت فرنسا وطننا لم تنهج سياستها الاقتصادية فيه على اسلوب واحد، بل كان الاسلوب يتبدل ويتغير تبعا للحكومات التي تعاقبت على الحكم في فرنسا.

ولهذا كانت مخلفات الاستعمار من الناحية الاقتصادية اكثر تعقيدا وأوسع مجالا لتضارب الآراء ولتباين الاتجاهات في حل هذا التعقيد، وايجاد اقتصاد مغربي متحرر من كل النظريات المستوردة من الخارج، او الراسبة في اذهان الفرنسيين الذين لا يزالون في وزارة الاقتصاد الوطني.

ولست هنا في مجال تخطيط نظام اقتصادي، وانما اريد ان اسأل السؤال التالي

هل لنا اقتصاد نعتمد عليه في هذه الفترة الخطرة التي يمر بها الشعب..؟ واذا لم يكن لنا اقتصاد بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة حتى الساعة فان الملاحظ ان السيد وزير الاقتصاد الوطني عبد الرحيم بوعبيد بما يبذله من نشاط صامت في هذه الايام سوف يحدد عن قريب وضعنا الاقتصادي حتى نعرف اين نحن؟ وكيف سنسير؟

ولا ينبغي أن تبقى مجهوداته فردية صامتة، بل لابد من ان يعرف الشعب نتيجة هذه المجهودات، وان يطلع على الحالة الاقتصادية حتى يكون على بينة منها ولو كانت خطيرة ليكون مستعدا لمؤازرة الحكومة، وتلبية كل الاجراءات التي تطالبه بها للخروج من الحصار الاستعماري الذي لا يزال محيطا باقتصادنا.

ونحن لا نطلب هذا الا لثقتنا الكاملة في السيد وزير الاقتصاد عبد الرحيم بوعبيد، والا لتقديرنا الكامل للمصاعب التي لا شك انه يتغلب عليها واحدة اثر الاخرى..

وسبب آخر هو أن الشعب يعيش في أزمة اقتصادية، بحيث اصبح من الضروري جدا ان يخرج منها في اقرب وقت... وان يخرج منتصرا.

الهاوية...

كيف نستطيع أن نسيطر على الحوادث ونوجهها ؟

وكيف نتمكن من تكييف الظروف لرغباتنا ومطامحنا؟

قد يكون الانسان أنانيا، لا يفكر إلا في نفسه وفي مصالحه العاجلة، وبذلك لا يعدم وسيلة ــ ايا كانت هذه الوسيلة ــ يتخذها سلما لتحقيق مصالحه.

قد تكون هذه الوسيلة تملقا، أو رشوة، أو دسا.. ولكنها لا تخرج عن كونها محاولة خسيسة من المحاولات التي يلجأ اليها الانسان عند ما يفقد الثقة في نفسه، ويكفر بالفضائل والقيم التي تعيش في مجتمعه وبيئته.

ولا يزال الانسان يعود نفسه على الاستهانة بهذه الفضائل ــ والقيم، حتى يصبح نقيضها هو الفضيلة، وتنقلب الفضائل الحقيقية والقيم الاخلاقية الى مجموعة من التقاليد الرجعية!!

وهكذا يعمل المرء من حيث لا يشعر، أو من حيث يشعر، على تسميم اخلاق المجتمع، وعلى تحويل تيارها الى مسارب للضلالات والفساد والانحلال تجد في تسامح المجتمع، وتغاضي الواعين فيه مرتعا للنماء، فتنساب في نفوسنا مسممة نزعة السمو فينا، مغتالة معاني الشرف والكرامة من عواطفنا.

ماذا نستطيع ان نفعل ازاء هؤلاء الانانيين، الوصوليين.؟

انسكت عن أعمالهم، ونؤيد مكرهم بصمتنا، وفي هذا العمل قتل لرسالتنا، وانقياد قد يفضى بنا الى نفس السلوك الذي نشعر بخطره، على الحاضر، والمستقبل ام نفضح أخلاقهم المزيفة، ونشهر بها، وفي هذا قيام ببعض الواجب..؟

في بعض الاحيان يخيل الي اننا ننتحر في فضائلنا، واننا نسير في سرعة مجنونة الى قعر هاوية محمومة. لن نخرج منها الا ببقايا فضائل، وفضلات أخلاق.

في علاقتنا الشخصية زيف كبير.. وفي حياة عائلاتنا كثير من المناقضات التي يصعب الجمع بينها.. وفي مجتمعنا تشابك متضارب.. لا تقدر على مسك خيط واحد فيه، تعالج به هذا التشابك.

ما العمل اذن ..؟

فكرت كثيرا، فلم اهتد الى حل.. رغم وجود المشكلة، على الاقل في ذهني —.

فبالرغم من تأكدي من وجود هذه المشكلة، أخشى ان يكون الطرف الآخر — يعتقد انه لا مشكلة هناك، وان المجتمع بخير، واخلاقه وفضائله ليس في الامكان ان تكون ابدع مما هي عليه الآن.!!

وهنا ستكون كل مناقشة عديمة الجدوى، وكل تفكير لا يؤدي الى حل صحيح.

فمن المحق يا ترى..؟

العلم 21 — 11 — 1956

فضيلة التواضع

ان للمناصب طغيانا عارما على بعض النفوس، لا يزال ينمو حتى يقتل في الانسان فضيلة التواضع، ويستعيض عنها بكبرياء مزيف، وتصنع مقيت، وأنانية تعزل هذا الانسان عن بيئته وعن مجتمعه، وتجعل منه عالما قائما بذاته، فيه كل مميزات الأناني، ولكن ليس له مميزات الانسان!

رئيس.. مدير، موظف كبير !!

ماذا تعني هذه الكلمات؟ قد تدل على كل معنى سوى معنى واحد ان تكون سبيلا للتنطع، وللشموخ في عجرفة كاذبة الى السماء..

الرئيس والمدير والموظف افراد وضعت على عاتقهم مسؤولية، والذي يتحمل المسؤولية في حاجة الى الاتصاف بكل معنى انساني نبيل في حدود الطاقة البشرية.

ومعنى انك مسؤول، ان الذين حملوك هذه المسؤولية أنسوا منك القدرة على الاندماج في الغير، والقدرة على ان تمتلك اعصابك كلما نازغها نازغ من الشيطان.. والقدرة على النسيان.. نسيان أنك رئيس، فلست في حاجة لأن تشعر غيرك انك رئيس، وان لك مكتبا ضخما تتربع فيه، وتصدر منه أوامرك!! او ان لك موظفين وأتباعا قد يخضعون لأوامرك كرئيس، ولكنهم يستهزؤون بك في قرارة أنفسهم كانسان.

وطغيان الرئاسة يفسد كثيرا من علاقاتنا الاجتماعية وحتى العائلية، فحينما يتقمص الزوج شخصية الرئيس، ويضفي على زوجته شخصية الجارية الخادمة المطيعة فقد طغى.

وحين يكون المنصب أكبر من الجالس عليه، ويحس هذا المدير

أو الرئيس أو الموظف الكبير بأنه أصغر من الكرسي الجالس عليه، يعوض هذا النقص بمحاولة تقمص شخصية غريبة عنه عساها تملأ الفراغ الكبير الذي يظل شاغرا في الكرسي !!

إن قيمة الشخص الحقيقية التي يؤمن بها الناس لا ترجع الى المنصب الذي وضع فيه، بل الى مدى ما حققه من واجبات، وما آمن به من أهداف، وما سعى إليه من تحقيق هذه الأهداف.

وأخيرا فليست هناك فضيلة تؤثر في الانسان أكثر من فضيلة التواضع فتواضعوا مع الناس !!

العلم 29 — 11 — 1956

في النزاهة

يظهر ان النزاهة سوف تصبح ــ أو أنها أصبحت بالفعل ــ في حاجة الى من يدافع عنها في هذه الفترة العصيبة التي نجتازها بين عهدين متضاربين من تاريخنا الحديث، فان الصحيفة تتلقى من آن لآخر انباء نرجو ان تكون غير صحيحة بصفة اجمالية، وخصوصا على النحو الذي يحلو لبعض ان يبالغوا فيه بدافع من التذمر أحيانا وبدوافع غير شريفة أحيانا أخرى.

ولكننا مع ذلك لا يمكن ان نكون حسنى النية بجميع التصرفات، بحيث لا نحتاج الى التنويه بالنزاهة ــ تأتى من قبل الحكام وكبار الموظفين وصغارهم على حد سواء ــ أولا لاننا عانينا في الماضي من افتقادها ما كان له اكبر الأثر في زعزعة اركان استقلالنا وتخلفنا عن ركب الانسانية، وثانيا لما تحتاج اليه وضعيتنا الحاضرة من سلامة قد يتوقف عليها مستقبلنا كله.

وهذه النزاهة التي نطالب بتثبيت اركانها تتعلق بجميع افراد هذه الامة سواء كانوا حاكمين او محكومين، ذلك أنه لا يجمل ان نطالب حاكمينا بان يتصفوا بما لا نتصف به نحن، ذلك ان النقائص البشرية داء وبيل معدي فان كان الحكام يعدون المحكومين فاحرى بالمحكومين ايضا ــ لانهم الاغلبية ــ ان يعدو الحكام.

ونحن هنا بعيدون عن ان نقصد بالنزاهة الى مجرد عدم القصد في صرف مال او مراعاة قريب، او تأثيث مكتب بما بذخ من الرياش، او غير ذلك مما تلوكه الالسنة بالحق والباطل، وانما نقصد الى النزاهة باوسع ما تتضمنه هذه الكلمة.

واذا كان على الموظف ان لا يغلو، فان على الصانع ان لا يغش،

وعلى العامل ان لا يتوانى، وعلى الكاتب ان لا يخدع، وعلى السياسي ان لا يدلس، واذا سرى خلق النزاهة بهذا المعنى في مختلف طبقات الامة وجعلها كل فرد دستورا لحياته اليومية سهل على البلاد ان تتغلب على كل المشاكل التي تواجهها اليوم او التي قد تواجهها غدا.

ومن النزاهة ايضا ان لا يغرم المحكومون بالبحث عن نقائص الحاكمين فيرموهم بالباطل من التهم لان زعزعة الثقة بالحكام في هذه الظروف التي نجتازها ليست من مصلحتنا، ولذلك فان علينا ان نتعمق الاشياء قبل ان نصدر احكامنا.

وهذا ليس معناه ان للحكام منا ان يسدروا كما يشاؤون دون رقيب ولا عتيد، وانما معناه انه يجب ان لا نتعود بهذه العادة التي تعودت بها كثير من الشعوب في وضعية شبيهة بوضعيتنا، وهي الهروب من المسؤولية بمبرر القاء اللائمة في كل امر كبير وصغير على الحاكمين وبذلك يخلق نوع من التواكل نحن في غنى عنه.

ان الشعب هو مصدر السلطات في الدول الحديثة فاذا تشبث بالنزاهة في أحكامه وتصرفاته وتفكيره نفسه استحال ان يحكمه حكام غير نزهاء وكيف تكونون يولى عليكم.

العلم 18 — 12 — 1956

تنمي انتصارنا

ليست الشجاعة ان تنتصر. ولكن ان تحافظ على الانتصارات التي حققتها.

وقد حقق الشعب انتصاراً ضخماً يوم ارغم الاستعمار على الرضوخ لارادته فاعترف له بأنه شعب جدير بأن يكون سيداً، وان يكون حراً، وان يكون مستقلاً.

وكانت أبسط الحقائق تفرض على الشعب ان يؤمن بأن الوضعية قد تغيرت، وان الاستقلال الذي تحقق ان هو الا خطوة أولى — وكانت أساسية وضرورية — لبناء مغرب جديد، تشيده على سواعد الشعب التي طوحت بالاستعمار بنفس الروح الوطنية الصادقة المتجردة التي التحمت طيلة ثلاثين سنة ضد جبروت المستعمرين وضرواتهم.

هذه الروح الوطنية الاولى هي التي يجب ان تزيل الانقاض، وان تتكتل يدا في يد، وقلباً على قلب، لتقضي على المؤامرات الجديدة ولتقطع ذيل الافعى، بعد ان قطعت رأسها.

ولكي يحصن الشعب عقيدته الوطنية، وقيمه في الحياة لابد ان يواجه حقائق الاستقلال بنفس الشجاعة التي واجه بها بهتان الاستعمار.

واولى هذه الحقائق ان الاستقلال ليس مشجباً نعلق عليه مخلفات العهد البائد وليس تكية للوصوليين والانتهازيين، وليس مدرسة لتخريج الكسالى والعاطلين وليس واحة يستظل في فيئها الذين كافحوا من قبل.

ان الاستقلال يحملنا تبعات أشد ارهاقا من تبعات الاستعمار،

ذلك انا في الامس القريب كنا نقاوم اعداء جعلوا غايتهم اسغلال الشعب وافقاره، وتمهيد هذا الوطن للسير في سبيل غير السبيل الذي نؤمن برشاده.

وحتى بعد الاستقلال أراد المستعمرون وأذنابهم أن يبرهنوا على فشل تجربة الاستقلال، بما اثاروه من مشاكل وما خلقوه من أزمات ليبرهنوا على عجز الشعب عن ممارسة الاستقلال.

ولكن تجربة الاستقلال نجحت، واستطاع الرجال المخلصون ان يحققوا في ستة اشهر ما عجزت الحماية عن تحقيقه خلال أزيد من أربعين عاماً.

واستطاعوا كذلك ان يربئوا بأنفسهم عن الانتصارات الوقتية التي تستجيب لعاطفة الجماهير، ليشيدوا الاستقلال على اسس من الواقع، ضمن الامكانيات التي تحت ايدينا.

واذا كانت المؤامرات لا تزال تحبك خيوطها بدقة للانزلاق بالوطن الى الفوضى والاضطراب، فإن وعي الشعب كفيل بان يرد هذه المؤامرات الى نحر الذين يسنجونها وذلك باليقظة الرشيدة الواعية، التي تتغذى من المصادر التي قامت عليها الحركة الوطنية منذ ثلاثين سنة.

لقد كنا من قبل في مفترق الطرق ونحن اليوم في السبيل الرشيد نحو مستقبل افضل، ولن يسمح الشعب لأي كان ان يحيد به عن الوصول الى هدفه رغماً عن المشاكل والازمات والعثرات لانه مصمم على ان يحمي انتصاراته.

العلم غشت 1956

مغالطات

في حياتنا الاجتماعية كثير من الدجل، وكثير من التهريج وكثير من المغالطات.

وقد حرصت الشعوب الواعية ان تحصن نفسها ضد الاوبئة التي تتوالد في جسمها، نتيجة اسراف الدجالين والمهرجين والمغالطين في طمس الحقائق، وتشويه الاعمال ونشر الاراجيف، واشاعة القلق، انقياداً لبواعث العجز، وانحيازاً لنزعات الحقد والضغينة ضد الذين يؤثرون جهد الفكر، وجهد النفس لبناء وطن محكم الاسس متين البناء لا يتسرب الوهن إليه، ولا تنفذ الشيخوخة الى اجزائه.

آثرنا ان نواجه الشعب بمشاكله، وان نضعه امام مسؤولياته ليتحمل عبء الاستقلال بنفس الوعي واليقظة والتضحية التي تحمل بها اوزار الاستعمار.

لم ندلس عليه، ولم نرسم له صورة خيالية عن عهد الاستقلال، وانما قلنا له — وهو يعرف ذلك — ان مسؤوليتك في العهد الجديد اضخم من مسؤوليتك في عهد الحجر والحماية.

واذا كنا في الماضي نحارب الاستعمار، فقد كنا نحارب خصماً يتربص بنا، ونتربص به، يواجهنا بالمقاومة التي تهيأت له كل أسبابها الجبروتية. فما فتّ ذلك في عزمنا ولا نال من إصرارنا، بل وقف الملك والشعب تلك المواقف الكريمة التي جعلت من كفاحهما قدوة للشعوب الزاحفة نحو الحرية والكرامة.

اذا كان هذا خصمنا في الماضي، فإن خصوم الشعب اليوم يتنكرون وراء عدة أقنعة محاولين بها ستر الزيف الذي تنطوي عليه عواطفهم نحو استقلالنا، ونحو استقرار الاحوال في البلاد..

ان معركتنا اليوم.. معركة الشعب: معركة الفرد والجماعة، معركة الرجل والمرأة.. هي الصمود امام المثبطات التي توضع في طريقنا..

هي الايمان الصادق بالطاقات التي نمت في نفوسنا وقلوبنا خلال صراعنا الرهيب مع الاستعمار..

هي الصمود في الواجهة، وقطع الطريق امام كل دساس، وكل مهرج وكل مغالط..

هي استغلال امكانياتنا — وان كانت متواضعة في الظروف الحاضرة — في العمل الايجابي لخلق مستقبل افضل لكل طبقات الشعب.. لكل فرد فيه..

ان يقيننا في وعي الشعب وتبصره، ليزودنا برصيد زاخر من الثقة في ان الدجل والتهريج والمغالطات لن يتمكنوا من زعزعة الشعب عن الثقة التي يضعها في جلالة الملك والقادة الصادقين.

العلم غشت 1956

وعي الشعب... أيضاً

من مظاهر نمو الوعي القومي، وتطور الوجدان الشعبي، أن تكون للافراد ـــ الذين تتكون منهم المجتمعات ـــ قابلية لاختبار الافكار التي تقدم لهم في كتب او جرائد أو محطات الاذاعة وغربلة الزائف منها، وتصفية ما فيها من دس، وزيف وبهتان. بحيث تنمو هذه الملكة النقدية الجديدة بالممارسة والمران فيصبح الفرد متمكناً من السيطرة على الطفولة العاطفية التي تجره في اغلب الاحيان الى مسارب مظلمة قاتمة تحيل اشراق الحياة من حوله الى ظلام وقتامة.

وفي كل شعب توجد هيئات وجماعات وافراد يستغلون هذه الطفولة العاطفية عند الأفراد فيروجون من خلالها ترهات زائفة يضفون عليها قداسة المبادئ وسمو الافكار، ليكون التدليس اكثر لمعاناً مما لو قدمت هذه الترهات الى الناس في صورتها الطبيعية.

ولست هنا متشككاً في وعي الجماهير ولا خائفا عليها ولا يائساً منها ولكني فقط أخشى على فطرتها النقية أن تغتر بالظروف الشاذة التي نمر فيها والتي تجعلنا، ملابساتها الغامضة من جهة والدقيقة من جهة أخرى، اكثر استعداداً للشك في المبادئ التي آمنا بها وبذلنا في سخائها ما نستطيع وما لا نستطيع لنحافظ على قداستها ولنكتل حولها كل الطاقات الصالحة في البلاد.

ولا اعترض على ان هذه المبادئ قد اتخذت ـــ وتتخذ ـــ وسيلة لغير الهدف الذي نجر انفسنا في عسر عسير للوصول اليه.

ولكن هذا ليس ذنبنا وليس مثلبة تصيب المبادئ في الصميم بل هو ذنب الذين يتجرون بالمبادئ او يتخذون من الغير وسيلة للاتجار بها.

ولعلنا نجد انفسنا مدفوعين الى نهج اسلوب جديد في تفكيرنا... ننمي به وعينا ونجدد مرة اخرى المقاييس التي نزن بها المبادئ وندافع عن القيم، اذ يظهر لي أن الصدأ قد أصاب بعض قطعها من كثرة الاستعمال والاجهاد والانهاك.

فالمقاييس التي كنا نزن بها تصرفات العهد البائد لا تزال هي نفس المقاييس التي ننصبها اليوم لنزن بها تصرفات عهد الاستقلال وهذا غلط...

لأنه يدل على ان التطور تجمد في عروقنا ووقف بنا من حيث كان يجب أن يزيد في حرارتنا وان يضاعف من قدرتنا على السير وعلى التطور وعلى احداث ثورة شاملة تبعثنا من جديد، ولا ضير فيها اذا هي جرفت معها القيم القديمة التي اصاب بعضها شلل مزمن قاتل.

واذا كان للمغرب ان يتطور وأن يتقدم وان يصيغ ثورته المقدسة في قالبها الصحيح فلن يتم له ذلك الا بروح ثورة جديدة واعية متبصرة.

وهذا ما نفتقده

العلم سبتمبر 1956

مع الزعيم علال في فاس

يزور الزعيم الكبير علال الفاسي مدينة فاس

زيارة بين مرحلتين وفي عهدين.. عهد الظلام. وعهد النور.

نفى المستعمرون علال لانه قال لهم

ان وجود استعماركم في المغرب رهين بارادة الشعب.. والشعب ليس راضيا على استعماركم. لان سياسية الاستعمار تعرقل تطوره وتحول بينه وبين خروجه من الدول التي تعيش في القرون الوسطى. الى شعب يعاصر تاريخه باحداثه وتطوراته.

وغضب المستعمرون.. ونفوا الزعيم تسع سنوات.. من سنة 1937 الى سنة 1946.

واليوم يعود الزعيم علال الى فاس بعد تسع سنوات اخرى من 1947 الى 1956 ولا أشك في ان هذه السنوات كانت قاسية على الزعيم.. وقد بلوت بنفسي في رفقة الزعيم عظيم حبه للمغرب.. لقد رأيته يبكي فرحا حين حاول الشهيد علال بن عبد الله تحطيم الدمية الاستعمارية.

بعد تسع سنوات يزور الزعيم علال فاس وقد استقل المغرب

يزور فاس ويقول لسكانها: ان عظمة فاس مستمرة من عهد المولى ادريس الى عهد القائد محمد الخامس

ان الثبات على العقيدة، والايمان بالشعب، من الدعائم القوية في تكوين شخصية الزعيم علال.

في احلك الساعات، وقادة الحزب في السجون والمعتقلات كان صوت الزعيم ينطق بها عن ايمان راسخ.

ما احوجنا الان الى هذا الايمان الصادق !

وقضيت يومين مع الزعيم السيد علال الفاسي. سمعته يخطب ثلاث مرات، في النساء والفتيات والرجال.

كانت كلماته صرخات صادقة تنثال في انسياب، داعية الى التطور، والى مسايرة التاريخ الذي نعيش فيه.

سمعته يقول للمرأة وللفتاة

لقد كافحنا جنبا لجنب، رجالا ونساء، فلم تحرم المرأة من التمتع بنفس الحرية التي أصبح يتمتع بها الرجل؟ لقد دعونا الى مساواة الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات.. دعونا لهذا نحن الرجال، ومهمة المرأة ان تدفع بنفسها الى التطور، والى الحياة الكريمة.

وشاهدت الدموع الممتزجة بالابتسامات الفرحة تملأ العيون وتنزل منها اعترافا بجميل حزب الاستقلال، الذي يؤمن بالرقي، ويؤمن بالتطور.

ان من دعامات الايمان بحزب الاستقلال، انه حزب تقدمي. تمتزج فيه العقيدة الاسلامية المتطورة، بمقتضيات العصر.

العلم : 22 — 9 — 1956

القيمة المقدسة

ان اقدس القيم بالنسبة للانسان هي الحرية، فاذا فقدها أو استهان بها واعطاها لسواه يقننها له.. يمنحها حين يريد، ويمسك يده بها حين يتوهم ان فيها خطرا.. حين يفعل الانسان الحر شيئا من هذا يكون قد تنازل عن انسانيته واصبح جزءا من قطيع يساق في دروب الحياة!.

والانسان الحر لا يملك الا ان يكون حراً، والا ان ينمي في نفسه ما يحصن هذه الحرية ويحفظها.. ولم تكن الحرية في وقت من الاوقات خطرا على الفرد ولا على المجتمع وانما كان كبت الحريات هو الخطر اشد الخطر، وهو البلاء العميم الذي يميت الفكر ويحجر الوجدان،

وكل المحاولات التي مر فيها الانسان، خلال العصور، وكل الثورات التي استرخص فيها الانسان حياته ووجوده كانت تعبيراً عن ارداته — ارادة الانسان — في ايجاد ضمانات لهذه الحرية، لا اختام لتطبيقها.

وكانت المعركة البشرية محتدمة بين الذين يدافعون عن مزيد من الحرية وعن الذين يريدون مزيداً من القيود، ومزيداً من الوصايا على الحرية وعلى الانسان.

وفي كل هذه المعارك كان النصر للحرية، وللانسان الذي يؤمن بها ويدافع عنها؛ ويقدم راحته واستقراره وحياته تدعيماً لها.

وقد فشلت كل المحاولات التي توهم أصحابها أنها تمكنهم من السيطرة على الشعوب بتقييد الحريات، والاستناد على الحكم المطلق، والاعتماد على القوة في فرض أفكار معينة، قد تكون في غير حاجة إلى الاستبداد والقوة، لأنها بطبيعة تطور الضرورات الاجتماعية تستمد حياتها من ذاتها

أن الأفكار الجديدة، التقدمية في حاجة إلى تربة نظيفة تنمو فيها في حاجة إلى عقول نظيفة.

الحرية المبصرة

. والحرية التي دافع عنها الانسان، لم تكن عمياء لا تعرف اهدافها، بل كانت حرية مبصرة واعية، تتقصد القضاء على استبداد الفرد وتسلطه

وكل الدساتير الرشيدة كانت تهدف الى تحصين الحرية واقامة ركائزها على اسس قوية، بحيث أنها عملت على حماية الفرد، وتوسيع مجالات حريته.

والنظريات الحديثة التي تتصارع في الشرق والغرب لا تعدو ان تكون تعبيراً عن الرغبة الاكيدة في اعداد الانسان الصالح، الذي يسعى لاسعاد نفسه، وضمان السعادة لغيره دون أن يفني وأن ينمحي في الجماعة، لأن الفرد هو الذي يكون الجماعة.. ولأن التفكير في الجماعة قد يكون باعثاً من بواعث قتلِ الفرد وتضييق مجالات العمل امامه.

وقد نبعت الأنظمة الديكتاتورية، والسلط المطلقة، على اساس التفكير في قيادة الجماعة، وقتل الفرد، وفي كل مراحل التاريخ كانت هذه الأنظمة تعجز عن تحقيق اهدافها، لأن الفرد بطبيعة تكوينه ميّال الى الاعتزاز بأنانيته، وذاته، وكل محاولة لاشعاره بأنه حلقة في سلسلة، او جزء من عجلة تدفع به الى التمرد، الى الثورة.

واذا كانت الدولة هي المظهر الخارجي للشعب فإنها كذلك المظهر الحقيقي لنوع الحياة السياسية التي يؤمن بها الشعب، وقد تحدث بعض المغالطات فتكون الدولة بعيدة عن تصوير الواقع الذي يعيش فيه الشعب.. وبعيدة عن التنبؤ بما يطمع اليه الشعب كذلك من مستقبل.

فإذا اعتبرنا الدولة وسيطاً بين الافراد، والقوامة على حفظ مصالحهم، فإنها كذلك مسؤولة أمام الشعب، ـــ أمام نوابه في المجالس البرلمانية والهيئات المحلية ـــ عن الاسلوب الذي تنهجه في هذه الوساطة والقوامة.. ولن يخليها من مسؤوليتها سوى ارتكاز حكمها على الاستئثار الذاتي والحكم الفردي.

وهذا ما عجزت العبقريات الفردية عن تحقيقه في العصر الحديث.

انبعاث الشعب

مر عام على انبعاث الشعب وانتصاره، واستطاع الشعب أن يحقق انتصارات رائعة في كل الميادين التي خاض غمارها متسلحاً بالصدق والنزاهة وفشل في ميادين اخرى لم تتوفر فيها شروط النجاح.

ونحن هنا نحاسب انفسنا، حتى نعرف هل نجحنا، ولماذا نجحنا؟. وهل فشلنا، وما هي أسباب الفشل؟.

اننا لا نريد ان نسير في سياستنا على اسلوب النعامة، بل لابد لضمان استمرار النجاح ان نقف لننظر الى الماضي الى حسناتنا فيه وسيئاتنا.. الى ما حققناه لوطننا وشعبنا..

وكل السياسات التي فشلت في اداء رسالتها كان فشلها يعود الى الارتجال، والى عدم تحديد اسس هذه السياسة،

ومهما يكن الأمر بالنسبة للظروف التي احاطت بنا منذ يوم الانبعاث فاننا تمكنا من التغلب على معظم هذه الظروف، وأخضعناها لاهدافنا، حتى أصبحت من عوامل النجاح، بعد ان كانت تتقصد تثبيطاً، وتتعمد انتكاسنا مؤملة عرقلة انبعاثنا وانتصارنا.

والانبعاث والانتصار ليسا كلمتين لا دلالة لهما في تفكير الشعب ووجدانه، لأنه يؤمن حقاً انه بعث من جديد يوم 16 نوفمبر 1955، ويؤمن كذلك بأنه انتصر في ذلك اليوم كشعب مستقل.

والاستقلال ليس وساماً شرفياً يعلق على صدر الشعب بل هو كفاح ونضال، واصرار على مواصلة الانتصارات انه تضحية وايثار..

نحن مسؤولون على الانتصارات التي حققناها.. مسؤولون على حفظها والذود عنها والوقوف في وجه من يريد استغلالها لمآرب ذاتية.

ومسؤولون كذلك عن اخطائنا، وفشلنا.

والشعب العظيم هو الذي يحيل اخطاءه الى انتصارات وانتصاراته الى حوافز للعمل..

الملك والشعب يحتفلان اليوم بذكرى الانبعاث وغداً بعيد الاستقلال.. وبعد غد بعيد العرش.

ثلاثة اعياد لن تنسينا فرحتها ان نحاسب انفسنا، حتى نتبين معالم الطريق، ونسير على هدى من مصلحة الوطن العليا.

فهنيئاً للشعب اعياده.. وهنيئاً له بهذه الانتصارات التي نرجو ان تعقبها انتصارات اخرى.

العلم 16 نوفمبر 1956

كفاح الشعب

الانبعاث انشودة تغنى بها الشعب بالأمس، بعد أن فك عن جسده وعقله وعاطفته قيود الاستعباد والاسترقاق والاستعمار،

الانبعاث أغنية يشدو بها المغرب، فتردد نغماتها كل الشعوب التي أراد الاستعمار أن يخنقها فيميتها ويدفنها، ولكنها كانت عسيرة على الخنق، عزيزة على الموت، تمردت عليه فانتصرت، وثارت عليه فتحررت، وكان لها في تاريخها يوم الانبعاث.

والانبعاث لا يتولد من الموت، وانما يتمخض عن الثورة، والثورة كانت سبيل الشعب الى الحرية.. الثورة اصرار، والاصرار ارادة، والارادة ايمان بالانسان والحياة والانبعاث.. ثار الشعب على الذل فكان الانبعاث.. وثار الملك على الاستعمار فكان الانبعاث.. ومن الثورتين ثورة الملك وثورة الشعب ولد المغرب الجديد.. المغرب الذي آمن في كل اطوار التاريخ بالحرية، وبالعزة، وبالكرامة فثار على الذين سلبوه حريته، وأهانوا عزته، وداسوا كرامته، ثار الملك والشعب، ولم يكن لهما بد من هذه الثورة، لأنها سبيل الحياة وسبيل الحرية.. وسبيل الانبعاث...

والانسان لا يستطيع الا أن يتحرر ويثور.. لأنه إنسان، فالانسانية والعبودية لا تجتمعان اما ان تكون انساناً، واما أن تكون عبداً.

وقد اراد الملك والشعب ان يكون كل فرد من الامة المغربية انساناً ليصبح جديراً بكلمة المواطن، وجديراً بالانتساب للمغرب.

والانبعاث تحرر من الماضي وانطلاق للمستقبل، الذي يفتح ذراعيه ليحتضننا في اعتزاز واكبار اذا نحن حققنا آمالنا ومطامحنا..

المستقبل بكل ما فيه من أمل، وما فيه من تقدم ينتظر منا مزيداً من العمل، ومزيداً من الاصرار على النجاح حتى نتغلب على الزمن، ونقطع المراحل حثيثاً في مختلف الميادين.

إن التاريخ لا ينتظرنا، سوف يستمر في سيره سواء واكبنا ام تخلفنا عنه.

والشعب لا يرضى امجاده العتيدة ان يتخلف عن التاريخ بعد الانبعاث، لأن الشعوب هي التي تصنع التاريخ وترغم الحوادث على الخضوع لمطامحها وأهدافها.

وما اختيار جلالة محمد الخامس لتسمية الامس بيوم الانبعاث الا اقتناعاً من جلالته بهذه الحقيقة الراسخة في وعي الشعب المغربي.. الانطلاق للمستقبل.. فنحن لا نعيش متواكلين نجتر امجادنا التاريخية، بل نهدف الى اقامة قومية مغربية ترسي اسس الدولة المغربية، والوطن المغربي بمعناها المفهوم في العصر الحاضر.

وبهذا نحقق الانبعاث، ونصوغه الصياغة التي تغياها كفاح الشعب.

فهل نحن فاعلون ؟

العلم 17 نوفمبر 1956

تعبئة الشعب

مارسنا خلال العهد البائد اسلوباً خاصاً في نقد ادارة الحماية. وكنا عنيفين في النقد، لأن الجهاز الاداري كان يتغيا هدفاً واحداً، هو الاجهاز على مقوماتنا كشعب، بحيث كنا نشعر شعوراً صادقاً، بأن هذه الادارة لا تمثل مصالح الشعب، وانما تصرف جهودها لتوطئة الحياة الناعمة لطائفة خاصة على حساب بقية افراد الشعب.

وكانت مقاومة الملك والشعب عنيفة لقلب هذه الاوضاع الشاذة، والخروج بالبلاد من الاطار الاستعماري الى وضعية اخرى يشرف المغاربة فيها على شؤونهم.

وبعد نجاح الثورة المغربية المقدسة، لم يتعد التطور الذي تولد عن الاستقلال المظهر الخارجي للدولة، ولحياة الناس كذلك، وبقينا ننظر الى الجهاز الاداري الجديد نظرة فيها كثير من سوء الظن، لاننا لم نتخلص بعد من العقدة النفسية التي ولدها العهد البائد بشذوذه في عقول الافراد والجماعات.

ونتج عن عدم الاستجابة لروح الاستقلال ــ والتي كانت طبيعية ــ ان انصرف تفكيرنا عن القضايا الشعبية العليا التي يتجسم فيها خطر انتكاس الاستقلال، الى التفكير في جزئيات ــ هي بدون ريب ــ وليدة القضايا الجوهرية في ظروفنا الحاضرة.

ان التفكير بالاستقلال لم ينفذ بعد الى عقولنا، لاننا فهمنا الاستقلال فهماً معكوساً اي انه غاية في ذاته، ولهذا يستلزم تحقيقه تصفية التركة التي خلفتها اربع واربعون سنة من الوصاية والحجر والحماية في سنة واحدة.

ان الاستقلال هو نقطة الانطلاق.. انه وسلية فقط لكل ما

يمكن ان يحققه شعب يطمح لحياة أفضل، فالكفاح الذي يفرضه الاستقلال اشد بكثير من الكفاح الذي انتصرنا به على الاستعمار، لقد خطونا الخطوة الاولى، ويبقى على الشعب ان يخطو الخطوات التالية بنفس الايمان الذي تسلح به من قبل، وبنفس التجرد الذي مكنه من السيطرة على نزعاته وأهوائه.

ان روح اللامبالاة والاهمال التي اصبحت سائدة يجب ــ لكي يستمر نجاح تجربة الاستقلال ــ ان نقتلع جذورها من أنفسنا، وبذلك فقط نتمكن من القضاء على دعاة الهزيمة ونقطع الأيدي التي تحركهم، أو تستغل استفزازاتهم المفضوحة لتعيد اجرامها من جديد ولتنحر استقلالنا، وتغتال ثقتنا في وعي الشعب، فتجعل منه أداة نقمة وفوضى.

لقد كنا الى عهد قريب نحارب في واجهة واحدة، نبصر فيها خصومنا، ولكن الشعب اليوم أمام تكتل خطير من الرجعين والفوضويين والهدامين.. والاستعماريين، وكل الذين غاظهم ان ينتصر الشعب، وان ينطلق بزعامة ملك مخلص، وقادة نزهين ليلتحق بركب الاحرار.

لكي نقضي على هؤلاء لابد ان نتكتل من جديد، وان نعبئ الشعب ليكون على استعداد لمواجهة اية مغامرة يمكن أن ينزع الشيطان بها الى المتربصين بنا دوائر السوء.

العلم ديسمبر 1956

طريق الوحدة

منذ أن استقل المغرب، وهو يسير سيراً حثيثاً نحو تحقيق الاهداف البعيدة التي حددها الملك والشعب يوم أحسا بالخطر الذي يهدد كيان البلاد، وينخر في جسمها. لهذا لم تكن ثورتهما ـــ ثورة الملك والشعب ـــ مجرد انتفاضة وقتية عاشت احداثاً وظروفاً خاصة ثم ما لبثت ان تركت هذه الاحداث والظروف تسيرها، وتتحكم في اتجاهها.. بل كانت ثورة عميقة الجذور، متصلة الحلقات بالمقومات التي طبعت النفسية المغربية عبر العصور، وميزتها بنوع من التوتر الداخلي الذي ينعكس غالباً على الاستجابات الخارجية حين ينقلب هذا التوتر الى عمل ثوري عنيف كان يفقد السيطرة على سلوكه في اغلب المواقف التي اضطر فيها الى مواجهة ثورة من هذا القبيل.

وما استمرار الكفاح الشعبي طيلة الايام الكالحة التي عاشها الشعب في الحماية الاجنبية الا توكيداً لهذه الظاهرة التي تسرب اليها نوع من الخمول عند البعض، وشيْ من الذهول عند بعض آخر.. ورغبة جامحة مجنونة عند بعض ثالث في تغيير الكفاح من تكتل شعبي لمواصلة السير الى تفتيت القوى الشعبية، وتحويل اتجاهها الى مفازات موحشة قد تؤدي للكلمة التحطيمية (عليّ وعلى وطني).

ولكي يستمر زحف الشعب المقدس نحو احداث انقلاب ثوري في العقول التي لم تتشبع بعد بروح الاستقلال، كان لابد من دعوة الشعب من جديد لينفض عنه الخمول وليفيق من الذهول، ويمارس ـــ معتمداً على نفسه ـــ تشييد المستقبل حتى لا يبقى معتمداً على الحكومة، لأن أية حكومة في العالم لن تستطيع أن تحقق أعمالا إيجابية بدون اشراك الشعب مشاركة عملية واقعية في تحمل الاعباء.

وزيادة على ما في هذه التعبئة العامة من اذكاء روح الوطنية التي اخشى أن يكون نوع من الفتور قد تسرب اليها فإن فهي ايضا دلالات بعيدة العمق في صقل التفكير الفردي، ليندفع من جديد في العقلية الجماعية التي تحس احساسات ان لم تكن متكاملة، فيه على الاقل تهدف الى تحقيق هذا التكامل الذي لا نريد ان يفرض عليها نتيجة اسلوب خاص من اساليب الحكام التي لا يمكن ان نختارها.

بل نكافح ليكون منبعثا من ضرورات الشعب.

وقد حرص جلالة الملك وحكومته على ان يعدا لهذه التعبئة العامة ولهذا التجنيد الشعبي الميادين التي لا تحقق فقط نوعاً من التضامن بين الحكومة والشعب، لأنه تضامن متين، وانما يحقق نوعاً من انصهار الذاتية المغربية لتنطلق من جديد كما انطلقت في الماضي قوية، عنيدة، خلاقة، ثائرة، مندفعة ومؤمنة..

ان مشروع «توحيد المغرب» الذي سيجند له الشباب بداية معركة جديدة مع انفسنا، وخطوة عملية ستبرز مدى الوعي الذي نؤمن به، ومدى يقظة الاحساس بواجبات الاجيال القادمة في ضميرنا.

انه اكبر من أن يكون مجرد شق طريق بين (تاونات وكتامة) ولكنه رمز لمدى استعدادنا للبذل والعطاء، والتضحية. وامتحان للجيل الذي تمهد له الطريق الشائكة الآن ليصبح في الغد مقتدراً، مسؤولا عن مصير بلاده، وعن سيادتها ورفعتها، وقوميتها..

ولا يقل عنه خطراً مشروع «القرض الوطني» الذي سيدعى له الشعب بكل طوائفه لتجهيز البلاد، والذي سيحررنا من عبء ثقيل ينهك قوانا ويشعرنا بالعجز الذاتي الذي ليس الا مجرد وهم كبير يخدر به الناقمون الاعصاب الحية في الشعب. ويتمادون عن إصرار في هذا

التخدير لكي يقتنع الشعب بأنه عاجز فعلاً فيرتمي بين الأحضان من جديد.

سيدعى الشعب لهذه المشاركة، وسيساهم كل بقدر استطاعته حتى أضعف الناس وأشدهم خصاصة، لكيلا تستأثر بالفضل المعنوي طائفة دون أخرى، وحتى يحس كل فرد مهما كانت مكانته الاجتماعية أنه ساهم فعلا بنصيب في هذا العمل الوطني

حذار ؟

ان بعض الناس ينتظرون من الاستقلال أن يحقق لهم المعجزات، ويحيل خرائب الاستعمار الى عمارات شاهقة وبراريك القزدير الى مدن، والاراضي القاحلة الى ضيعات حديثة.

كانوا يعتقدون ان الاستقلال سيجعل من الجحيم الذي كانوا يعيشون فيه جنات تتدفق فيها انهار النعيم.

ومن حق الناس ان يؤمنوا بهذا ويعتقدوه، ومن واجب الدولة ان تبذل من جهدها ووقتها ما يشعر المواطنين ان الاوضاع في البلاد قد تغيرت بالفعل، وان حياة اليوم افضل من الامس.

فالشعب يتساءل عن مصير آلاف العاطلين الذين لفظتهم المعامل التي استغنت عن خدماتهم او التي اقفلت ابوابها.

والشعب يريد ان يعرف مصير مرضاه سواء في المدن أو في البوادي.. هؤلاء لا يستطيعون الذهاب لأصحاب العيادات لأنهم لا يكادون يجدون ما ينفقون..

والشعب يتساءل عن مصير صناعته الوطنية وعن الدمار الذي يهدد غالبيتها..

كل هذه المشاكل مرتبطة ببعضها.. وكلها مما يمس مصالح الأفراد والأسر والجماعات، وتتفاقم اضراره مع مرور الايام

صحيح ان كثيراً من الاعمال لم تنجز، وكثيراً من المشاريع لا تزال وعوداً، ولكن من المسؤول ؟

ثقوا ان المسؤول ليس رجال الحكومة كأشخاص، ولكن المسؤول الاول هو النظام الذي ما يزال موجوداً من عهد الحماية البائد..

هو الذي يشل جهود رجال الحكم من حيث لا يشعرون او من حيث يشعرون، ولكنهم لا يجدون الى قلب هذا النظام سبيلاً، لان جذوره لا تزال مغروسة في المكاتب والادارات، وفي جهات الاختصاص.

ويوم تتحرر البلاد من هذه الانظمة وحين نستطيع ان نفرض دلالات الاستقلال كما نفهمها ومعاني السيادة كما نؤمن بها.. حين نستطيع فرض المفهومين على عقلية الذين لا يزالون يقتعدون مكاتبهم في ادارتهم ويباشرون اعمالهم في وطننا، حينذاك ستتغير الاوضاع.

ولعل تصريح جلالة الملك في الامس كان واضحاً في تفسير التفكير الذي لابد منه لمن يمارسون عملا في بلادنا فإما أن يؤمنوا بأن اليوم غير الامس وان المغرب أصبح بدأ حراً مستقلا صاحب السيادة في كل شؤونه، وحينئذ فمرحبا بهم في بلادنا.. في ادراتنا ومكاتبنا.. وأما انهم لا يعتقدون في هذا ومن الافضل ــ لصالح علاقتنا بفرنسا ــ أن يرحلوا الى بلادهم..

هذا كلام واضح لا لف فيه ولا دوران، وهو التعبير الصحيح لما يؤمن به كل مغربي فحذار من الاستهانة بالوعي الشعبي.

وحذار من يأس الشعب كذلك.. انه لا يسبح في كأس كما يظن البعض. ولا يعتقد مع بعض آخر ان كل ما حصل في البلاد هو إلباس نظام الحماية رداء أطلق عليه اسم الاستقلال.

ان استقلالنا حق لا شك فيه، وسيعلم الذين يستغلون هذا الاستقلال، أو تسول لهم أنفسهم ان يستغلوه أي منقلب ينقلبون.

قذارة !

كثرت شكايات المواطنين من بعض الذين لا تزال قذارة العهد البائد تلطخ ذمتهم و لم تستطع مفاهيم العهد الجديد تنظيف ضمائرهم، فيمدون يدهم لهذا او ذاك من الذين يتوهمون ان حاجاتهم لن تقضي الا بالرشوة، وشراء الضمير.

واذا كانت هذه الحوادث من البساطة والقلة بحيث لا تصلح ان تتخذ كمقياس يطبق على الكل، فإنها رغم بساطتها وقلتها تفتح مجالاً للذين لا تزال عقولهم قاصرة عن التفريق بين تصرفات خاطئة يقوم بها بعض من لا أخلاق لهم، وبين مقارنتها وربطها بوضعية عامة تحاول جاهدة ان تكون نظيفة ونزيهة بل هي بالواقع نظيفة ونزيهة.

ان هؤلاء الذين يمدون يدهم في صغار، يختلسون بها سحتاً حراما، لا يقلون اجراماً وسفالة وضعة وسوء اخلاق عن الذين يبيحون لانفسهم اعطاء الرشوة للوصول الى غرض، او لقضاء حاجة يعسر قضاؤها بالوسائل الشرعية.

واذا كان هناك من يرى ان النزاهة غير كفيلة بنجاحه في الحياة، وان نقاوة الضمير لن تحقق له رغباته.. فإنهم قلة نادرة، وان كانت تشبه السرطان الذي يتسلل خطره وئيداً الى الجسم، ولا تظهر اعراضه ــ غالبا ــ الا بعد ان يستفحل تمكنه من الذات، فيقضي عليها وهي في رونق الصبا، وربيع الحياة..

ان بعض الافراد لا يستطيعون مقاومة الاغراء الذي يسد امام صيحة الضمير كل سبيل، برغم الراتب الذي يتقاضاه من الحكومة فيأخذون الرشوة مباشرة، او يتخذون لهم أعواناً لذلك.

وقد تكون الرشوة غير نقدية.. قد تقدم في شكل هدايا..

وبعض الناس تمرسوا في هذه الحرفة فأصبح لهم اكثر من طريق يصلون به الى اغراضهم.. كالاسراف في الزلفى والتملق والتمسح، وارضاء غرور الحاكمين واصحاب السلطة بالاطناب في مدحهم وتعداد فضائلهم وسجاياهم وما خصهم الله به من عبقرية ونبوغ..

ومن الناس من يوهمك انه صديق لفلان او فلان، وأنه قادر على قضاء حاجتك او الوساطة لك، حتى اذا تعلقت آمالك به لجأ الى احراج صديقه او قريبه صاحب السلطة.

واذا كان بعض المسؤولين لا يقدرون رسالة المسؤولية ولا يحترمون قداستها فيسمحون لأنفسهم باللعب بها، والتهاون بشأنها والاثراء على حساب كرامتهم وتشويه سمعة الحكم في البلاد، فليتأكدوا ان مصيرهم لن يكون احسن من مصير الذين اصبح الشعب ينظر اليهم في ازدراء واحتقار، فيتخذ من سمعتهم حديثاً لسمره واجتماعاته.

وعلى الذين يقدمون الرشاوي أو يدفعون الى تقديمها ان يمسكوا ايديهم ويؤمنوا بأن النزاهة هي السبيل الوحيد لتمكين احترامهم في النفوس من جهة، وبناء حكم عادل نظيف في البلاد.

العلم سنة 1957

التفكير الفردي

كيف نستطيع ان نفكر في مشاكلنا تفكيراً موضوعياً محدداً ؟
وكيف نتمكن من علاج هذه المشاكل، وبترها من المجتمع ؟
وسؤال ثالث

هل يمكن ان نعالج هذه المشاكل علاجاً فردياً باعتبارنا مسؤولين عنها كأفراد؟ أم أنها مشاكل لا تنبعث من وضعيتنا فرادى، وانما هي نتيجة للوضعية العامة الشاملة التي عشناها خلال الانظمة الاستعمارية والاقطاعية ؟

مما لا شك فيه انها مشاكل عامة، ولا يمكن ان تعالج بالحلول الفردية لأن دولاً اخرى، سبقتنا الى التفكير في الحلول الفردية للمشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فكانت النتيجة ان هذه الحلول انما ضاعفت من حدة المشاكل، وتشعبها، وبلبلت آراء الناس فيها، وكانت مدعاة للالتجاء الى طرق الوعظ والارشاد.. والرضى بالأمر الواقع، او تبريره للناس لأن من مصلحة الذين درجوا على استغلال الشعوب واستنزاف ثرواتها ان يشيعوا في الناس هذا التفكير الفردي، الذي يتولد عنه الشك، والحيرة والقلق، والاضطراب، ثم الاستسلام والخضوع!

ان هذا قسم من البرنامج الذي نحارب فيه في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا. وتتعاون على اعداده ونشره هيئات، وإن تنوعت اهدافها فمقصدها واحد. هو خلق الفوضى لعرقلة العمل الجبار الذي نقوم به لبناء استقلالنا بناء محكماً لا ثغرات فيه. او لفرض سياسة معينة لا تنبعث من ضروراتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

واذا تمكن دعاة هذا التفكير من تفكيك الوحدة الوطنية

وتجزئتها استطاعوا أن يصرفونا عن ميدان المعركة.. عن الواجهة التي نقف الآن فيها بكل ما نملك من اصرار وعناد.

أن هؤلاء ـــ وبدون استثناء ـــ يوهمون الناس ان المشاكل التي نعيشها ليست وليدة افراد فحسب، وانما هي نتيجة لوضع جديد عجزنا عن ممارسته.

وهؤلاء في نفس الوقت لا يقدمون حلولاً صحيحة وعملية لهذه المشاكل، بل يتركون للفرد ان يفكر في حل مشاكله وعلاج ادوائه ويفترضون ـــ بالنتيجة ـــ وجود افراد قادرين وافراد عاجزين..

هذا تفكير الذين لا يستطيعون ان يتحملوا مسؤولية الشعب، وتفكير الذين لا يؤمنون بالشعب، بل لا يفكرون فيه اطلاقاً.

ولكن الشعب المغربي برغم الجراح العميقة التي يشعر بآلامها لا يزال عنده رصيد قوي من الايمان بالمستقبل..

لقد كان نجاحه في معركة التحرير نتيجة الوحدة الوطنية التي انصهر فيها.

ونجاحه في معركة البناء لن يتم الا بهذه الوحدة التي يعبئ نفسه فيها للقضاء على كل محاولة رامية الى وقف زحفه المبارك نحو اتمام السيادة وتوطيد اركان الاستقلال وتحقيق العدالة الاجتماعية، وخلق الوطن الحر، ليعيش فيه المواطنون الاحرار..

العلم 1957

أعداء الإنسان

الكفاح عقيدة القلب.. والحرية عقيدة الانسان، وهما معاً ـــ الكفاح والحرية ـــ فكرتان ما تشبث بهما شعب الا انتصر.. وما آمن بهما قوم الا ذهبوا قدماً في طريق الحياة التي تريدها طبيعة الكون.

الكفاح ايمان.. والحرية دين، ومنذ أقدم العصور ارتبط انتصار الدين بالكفاح.. فلم يفترقا.. لأن افتراقهما فناء لكليهما.

ودين السماء كدين الشعوب، إما ان يكون دينا صادقاً فيكتسح الوثنية وينتصر عليها واما ان يكون دينا كدين مسيلمة الكذاب فيموت ويفنى.

والشعوب حين تؤمن بالحرية، اما ان يكون ايمانها منبعثاً من احساسها العميق الصادق المتدفق من القلب والعاطفة والعقل.. ووقتئذ يكتسح دين الحرية استعباد المستنزفين.

واما ان يكون ايماناً سطحياً لا يستند على عقيدة الكفاح، ووقتئذ تنهزم الشعوب، وتصدر على نفسها حكم الحياة.. وهو الفناء.

ونحن هنا في هذه الأرض الطيبة، أرض المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب، لا نؤمن بأن الحرية مجرد قيمة انسانية ليست قابلة للتفويت ولا نعتقد في الكفاح انه سقف للحرية وعماد لها.. ولا نفترض في حريتنا وكفاحنا انهما ضروريان لمصالح تفرضها المدنية وحقوق الانسان..

ان شيئاً من هذا الايمان والاعتقاد والافتراض لم يدخل في حسباننا عندما اندفعنا ثائرين، متمردين على الاستعمار والمستعمرين، وعلى الاقطاع والاقطاعيين، وعلى تجار الحروب اصحاب المصانع والمعامل الذين يقتعدون مكاتبهم في باريس او في غيرها.. لم نثر على هذا..

لقد ثرنا لأن الكفاح والحرية جزء من تكويننا الجسمي والنفسي. لقد قمنا ولن نقعد الا بعد ان نحقق رسالتنا.. وان نلحم بين الكفاح والحرية، ونفرض عليهما قيماً جديدة استخلصناها من جبروت المستعمرين ومن خيانتهم ومن غدرهم، ومن خستهم، ومن نذالتهم. فليحترقوا برذيلتهم وليرتشفوا حمم الجحود والطغيان. فلن نستقر ولن نهدأ، ولن يقف مدُّنا حتى يفتت اعداء الحرية.. اعداء الانسان.

العلم 1957

أزمة..

الضمير العالمي في أزمة.. وأزمته نابعة من الشك الذي أصبح يخامر الناس فيه.

والضمير العالمي في محنة.. ومحنته تولدت من تنكر الذين كانوا يعملون لتدعيمه.

الضمير العالمي قوة معنوية وجدت من احساس البشر بضرورة وجود شئ يلتجأون اليه حين تعوزهم الحيلة، وتنسد أمامهم سبل التفاهم.

ومع الايام نما هذا الضمير، وصار قوة يحسب لها حسابها عندما تتحرك غرائز الانسان البدائية، فتنزع به نفسه الى القتل والسفك.

ولعل أكبر هيئة يتمثل فيها هذا الضمير في الوقت الحاضر هي هيئة الامم المتحدة.

لقد انبثقت هذه الهيئة من احساس الدول بضرورة وجود قوة معنوية تكون كلمتها فاصلة في النزاعات التي تقوم بينها، حتى يمكن تجنب الحروب، وما يصاحبها من ويلات ونكبات يكتوي بها المنتصر والمنهزم.

ولكن الضمير العالمي الذي يتمثل في هذه الهيئة يبدو وجهه شاحباً في هذه الايام.

ان هذه الهيئة تتخذ قراراتها ولكن ما هي القوة التي تستند عليها في تنفيذ هذا القرار..؟

هذا هو السؤال.

العلم 1957

الرباط

فجأة تغير الجو في الرباط.. فهو يصبح غائما، ويضحى صحوا حارا، ويمسي رطبا نديا..

واذا كان هناك كثير من الناس يلذ لهم ان يعيشوا في الاجواء المتقلبة، فقد فشلت في تكييف مزاجي على التقلب!!

ان أغلبية البشر تجاهد ان تكون لها نفسيات تصلح لكل جو..

انها تتغير في اليوم الواحد كفساتين السيدات، واحد للصباح، والثاني للغداء، وثالث للعشى، والرابع للسهرات وحفلات الكوكتيل!!

وبجانب هذا التقلب المفاجئ في جو الرباط، فان انقلابا آخر عشت فيه خلال الاسبوع ولم ادر له سببا وكيف أستطيع ذلك. وانا لا أغادر مكتبي الا بعد ان تكون اعصابي قد احترقت كلها.. ولم يبق فيها عصب واحد يقدر على الانتباه وهذا يسبب لي اتعابا مع الاصدقاء الذين أعرفهم، ومع الناس الذين لا أعرفهم، ولكنهم يفترضون — ولست ادري السبب — انه اذا كانوا هم يعرفونك فلا مبرر لك في عدم معرفتهم !!

التقى بواحد من اولئك وهؤلاء.. وتلتقي العيون.. ويرفع هذا او ذلك رأسه، ولكني لا أرد.. لا أجيب على التحية بمثلها، لان عقلي شارد — وان كانت عيناي تركزتا في عينيه!

ارتفع مستوى الجمال في الشوارع التي اكتظت بالطلبة والطالبات وذوي الطلبة والطالبات من الذين حضروا للامتحانات.. وتحولت العاصمة من وداعتها المملولة، وهدوئها المخيف، الى جلبة وضجيج.. والى صالة استعراض فسيحة تغريك الفتنة المتحركة في

غيدها، ذوات السوالف المسدولة على الصدور، والبانطلونات الضيقة التي فصلت بدقة.. فأبرزت ما كان يجب ان تستره الحشمة والوقار.. ولكن أين الحشمة والوقار من اللواتي يردن ان تزيغ الأبصار !..

والصيف الجديد له موضات غير موضات السنة الماضية.. فبينما كانت البساطة ميزة موضة الصيف الماضي، اذا بالفساتين ذات الالوان الزاهية المنقطة والطوق المفتوح تصبح موضة الصيف الجديد..

ومسكين كريستان ديور مصمم الازياء الفرنسي فبينما أعلن منذ أيام عن ضرورة تقليم الفساتين واطالتها قليلا اذا بفتياتنا يسبقنه الى التحرر. والانطلاق مع نسمات الصيف ولفحاته.

ولعل الفتيان ايضا اصبحت لهم موضات خاصة

ذقن قصير.. ورأس حليق.. والسيكارة ترقد في زاوية مهملة من الفم بينما الفكان «يطرقعان» اللبان.. والرجلان تتحركان على انغام الروك الفاجر!!

كل هذا والرباط بخير !!..

العلم يونيه 1956

الكلمة !!

يقال انسان شريف.. ويقصد بذلك عدة معاني نبيلة تتجسم في هذا الانسان، لا يتنازل عنها تحت ضغط او اضطهاد.

ويقال كلمة شريفة.. بمعنى ان الكاتب لا يتذل معانيها، ولا يستغلها في تزوير الحقائق، وتشويهها.. وبعض الكتاب في المغرب، وان كانت لهم حيثيات عند أنفسهم، أو عند بعض الناس، لا يتورعون عن اللعب بشرف الكلمة، يضللون بها الناس، وسأكون حسن النية، فلا ادعي انهم يقصدون التضليل.. وانما انساقوا اثر دوافع شخصية وفي فترة معينة، الى استغلال شرف الكلمة، وحين يحاولون العودة الى اعطاء الكلمة مدلولاتها الشريفة، لا يستطيعون... وهم لا يستطيعون لان سحر الكلمات غير الشريفة تملك أقلامهم.. ولأن الهوة اتسعت تحت أقدامهم.. ولأن النحيب والعويل والصراخ اصبح سلاحهم.. ولان محاولة التشبث بالبقاء ــ مهما عرض بقاؤهم على هذه الصورة بلادنا، واستقلالها. وحريتنا وقيمها. ونهضتنا وبراعم الامل الزاكية فيها ــ للخطر، وللانتكاس، وللتجمد.. كل ذلك يجعلهم لا يستطيعون ان يعودوا.. بل ويستعينون باقلام لا تمسكها أصابعهم!!

هؤلاء الذين وهبتهم الحرية ادوات للبناء، انقلبت في أيديهم معاول للهدم...

رددوا الافك، فتلقفه دعاة الاستعمار من أفواههم، واذا ببلادنا تصبح جحيما للاحرار... ومقبرة للجائعين.. وسجنا كبيرا تسيج أسواره شعبا كاملا !!

اي افك مضلل هذا الذي تردده الافواه النتنة.؟

وأي بهتان هذا الذي يفرض على الكلمة الشريفة ان تتحمل أوزاره ؟..

وصدق الحديث

اذا لم تستح فاصنع ما شئت !!

قلق..

تجتاح العالم العربي في الظروف الحاضرة زوبعة من القلق، وعاصفة من الحيرة الفكرية، والاضطراب الذي يبعثر كل محاولة نظيفة لخلق عالم عربي افضل، ومواطن عربي اكثر فهماً لنفسه ومشكلاته ووضعيته، وأعمق احساساً بمقتضيات الفترة التاريخية التي يعيشها قلقاً وكان الاجدى ان يعيشها مستقراً.

الفرد العربي تكاثفت عدة عوامل لشحن ذهنه بنظريات لها من الدلالات الفلسفية اكثر ما لها من ايجابية في المجال الواقعي للحياة.

الفرد العربي ـــ وفي كل مكان من انحاء العالم العربي ـــ يؤمن بشيئ جوهري في حياته.. هو الحرية.

يريد ان يتحرر من الاستعمار

يريد ان يتحرر من الاستبداد

يريد ان يتحرر من الاقطاع

يريد ان يحصن خيرات أرضه من الغزو والدمار، ليقتات بها الحفاة العراة المشردون..

الفرد العربي يريد السلام في بلاده، ليزيل انقاض الاستعمار، ويشيد استقلاله وحريته.

الفرد العربي يريد كل هذا

وهو على حق في كل ما يريد

الا ان هذه الارادة السلبية.. لا تقابلها الارادة الايجابية التي تعرف الهدف وتسعى اليه في انطلاق القادرين وعزم الاقوياء، الذين لا يعبرون عن قوتهم بالضجيج وانما بالعمل الهادئ الذي يستند الى

القاعدة الشعبية.. الى الفرد الواعي..

ولن يتأتى هذا الا ببناء داخلي.. في صميم البيئة العربية.

فهل نجح ساسة العرب وقادتهم في هذا البناء الداخلي.

العلم ــ 1957

مدافع اللطيف !.

يزور الجنرال نوجيس المغرب والجنرال نوجيس كان مقيما عاما لفرنسا في المغرب حتى سنة 1943.

وما أوشكت على الانتهاء من قراءة الخبر حتى دارت في ذهني ذكريات غابرة.. ذكريات الطفولة التي أصبحت أحداثها غائمة في مخيلتي. كنت في الثامنة من عمري سنة 1937، وكانت الأحداث اذ ذاك أكبر من أن ترتبط في ذهني، أو أن يبحث لها عقلي الصغير عن أسباب وعلل. كل ما أذكره أن والدي عاد الى البيت وشرر الغضب يتطاير من ملامح وجهه، ولكن عينيه لم تكونا تخلوان من نظرات غريبة، وهو يحتضننا بين ذراعيه ويقبلنا.. ويقول سأسافر.. ويلتفت الى والدتي ويقول لها: لقد ألقوا القبض على «سي علال» ولم أستطع ربط سفره بالقاء القبض على الزعيم علال. ومن ألقى عليه القبض؟ انه منذ يومين فقط كان عندنا بالمنزل..

ومرت الأعوام.. وفي احدى الامسيات كنت أتسامر مع والدي، وامتدت المسامرة حتى تناولت أيام المظاهرات والاعتقالات سنة 1937، وقال لي والدي

ــ الا تعلم شيئا عن مصير الجنرال نوجيس ؟

ــ لا أعرف عنه شيئا.

ونظر والدي الى الفضاء وكأنه يستحث ذاكرته على استرجاع ايام الجنرال نوجيس وقال

لقد شاهدته يقف في ساحة النجارين بفاس ويقول أين تصل مدافع «اللطيف» الوطنية؟... «لقد طحنت الوطنية هكذا» وضغط برجله على الأرض في غيظ وحقد..»

فهل صحيح استطاع الجنرال نوجيس ان يطحن الوطنية المغربية؟ كلا.. لأنها كانت وجدانا شعبيا أقوى من أن تقضي عليه حركات الارهاب».

وبعد عشرين سنة يزور الجنرال نوجيس المغرب الذي انتصرت فيه الوطنية وحققت أول أهدافها، وها هي اليوم تواصل سيرها لتحقيق الأهداف الباقية.

فشكرا للجنرال نوجيس الذي أراد ان يطفئ الروح الوطنية فزادها وقودا !!

العلم 14 مارس 1957

صوت العرب

نعود مرة ثانية للحديث عن «صوت العرب»، وكان بودنا أن ننصرف الى غير «صوت العرب».. ولكن يظهر انه لا يريدنا أن ننصرف الى التفكير في معالجة الوضعية التي وجدنا انفسنا فيها بعد الاستقلال، والتي تتولد فيها كل المشاكل القائمة، حتى نبني وطنا عربيا لا مطمعن في سيادته، ولا ثغرة في استقلاله.

وكنا نظن أن صوت العرب المتفرع من الاذاعة المصرية الخاضعة للحكومة ــ يعرف طبيعة هذه الوضعية، ويفهمها على الصورة التي نفهمها نحن هنا. ولكن ظننا ــ مع الاسف الشديد ــ خاب هذه المرة أيضا مع صوت العرب، كما خاب من قبل معه ومع بعض الصحفيين ذوي النيات الحسنة، ومع بعض مرتزقة الصحافة، من ذوي النيات غير الحسنة!.

صوت العرب الذي لا يستطيع أحد أن يقول إنه يتمتع بمطلق الحرية كالصحافة المصرية، يضلل الرأي العام العربي ــ عن حسن نية ــ في غير المغرب، لأن المغاربة ــ باستثناء قلة من الهدامين والناقمين والحاقدين ــ يعرفون المشاكل التي نواجهها لاننا لا نعمل في الظلام.. يضلله، لانه لا يعرف المشاكل التي تواجهنا، والتي نعمل على التغلب عليها.. ان الرأي العام العربي لا يعرف الا أن المغرب قد استقل، وهو بما يستلزمه هذا الاستقلال يجب أن يكون كشعب الاردن الذي ألغى معاهدته مع بريطانيا، وحقق جلاء القوات الاجنبية عن بلاده!.

هكذا.. وبكل بساطة يريد صوت العرب أن يقنع للرأي العام العربي، دون أن يسمح المشرفون عليه بدراسة الفروق الجوهرية بين المغرب وبين الاردن...

ان ظروفنا الاقتصادية هي غير الظروف الاقتصادية في الاردن، واذا كانت هذه الدولة قد الغت معاهدتها مع بريطانيا، فليس بيننا وبين فرنسا معاهدة اقتصادية يجب أن نلغيها، وانما هناك صراع بين السيادة المغربية التي نكافح للمحافظة عليها، وبين المصالح التي تحاول أن تستغل الازمة الحالية للتأثير علينا. واكرر مرة ثانية اننا لسنا مسؤولين كل المسؤولية عنها، لانها ليست وليدة عهد الاستقلال، وانما هي ترتبط بالوضعية العامة التي سوف نحللها في اعداد قادمة.

ان في استطاعة الحكومة ان تفتح خزائن اية دولة وتحل جميع مشاكلها، ولكن ذلك سيكون على حساب القيم التي ضحى الشعب من أجلها وعلى حساب المثل التي قدم آباؤنا وأبناؤنا واخواننا أرواحهم دفاعا عنها.. بل سيكون ذلك على حساب عروبتنا التي يغار عليها صوت العرب غيرة غير واضحة، وغير مفهومة، وغير طبيعية.

ان الأردن ظل سنوات يكافح لالغاء هذه المعاهدة.. وبعد ذلك تضامنت مصر وسوريا والسعودية في تعويض المساعدة البريطانية باخرى عربية، ولست ادرى لماذا صرح الملك حسين أول امس فقال:

اذا لم تف الدول العربية بالتزاماتها فان الاردن سيجد نفسه مضطرا لطلب المال من دول اجنبية؟..

واذا كان صوت العرب يريد أن يستفز شعور المغاربة بتشكيكهم في الاستقلال.. واذا كان يجد من بعض الحاقدين والناقمين أبواقا تردد استفزازاته، فان الشعب المغربي لا يمكن أن يسلم وطنه الى الفوضى، لانه يثق في الايدي النظيفة.. التي تقوده في الظروف الحاضرة، والتي ستقوده في كل الظروف.. يثق في نزاهتها، ويثق في وطنيتها، ويثق في عروبتها.

ومن عجب يكون ما يقوله صوت العرب، وما تردده الابواق الجوفاء، هو نفس ما يردده غلاة المستعمرين !

اننا لا نزال نعتقد ان سوء الفهم هو الذي يدفع صوت العرب الى ما يذيعه، وعسى أن يتنبه المشرفون على اذاعة صوت العرب لما يمكن أن ينتج عن هذا الفهم السئ من عواقب !..

العلم 10 ابريل 1957

لم يكن هذا الموضوع ضمن ما قررت نشره، ولكن حين اطلعت على حديث السيد احمد سعيد مدير صوت العرب في عهد المرحوم جمال عبد الناصر في جريدة الاتحاد الاشتراكي، وجزء منه في الصفحة الأولى من جريدة العلم، قررت إضافة هذا المقال فقط المنشور في «العلم» في 10 أبريل 1957 كرد غير مباشر على ادعاءات المدير السابق لصوت العرب، المتعلقة بالمغرب وعما زعم من علاقاته مع الزعيم علال يرحمه الله مما لا صحة له م ت

دولة ذات سيادة

نعم ان المغرب دولة ذات سيادة متحيزة.. سيادة لا مطعن فيها، ولا ثغرة يمكن ان يستغلها أي احد لينفث من خلالها شكوكه السامة.

واذا كان احد لا يزال حتى بعد مضي 411 يوما على وثيقة الاستقلال، وبعد مضي أربعة أشهر وخمسة ايام على قبول المغرب الحر المستقل، صاحب السيادة المتحيزة في هيئة الامم.. اذا كان احد بعد كل هذا لا يزال يتساءل في غباوة بليدة عن استقلالنا فانه شخص مذهول!

والذي نعرفه ان استقلال دولة ما، لا يؤثر فيه طغيان بعض الملابسات الخارجية، التي يقصد بها نشر البلبلة والقلق، واستغلال الشذوذ الذي يصحبها عن قصد او عن غير قصد، لان سيادة الدولة سواء في الداخل او الخارج معرضة كل حين لمثل هذه الملابسات نتيجة ممارسة استقلالها، والخروج به من الدائرة الضيقة في الداخل الى المجال الدولي الفسيح.

ولعل هذا ما لم تستطع فهمه جريدة «المساء» المصرية، فكتبت تتساءل عن موقفنا من اختطاف الطائرة التي كانت تقل الزعماء الجزائريين الى تونس.. وتربط بين الحادثة وبين الاستقلال، وتتساءل هل نحن دولة مستقلة، أو دولة ناقصة السيادة، وتابعة لفرنسا!!

ولعل المغاربة وغير المغاربة يعرفون الظروف التي لابست الاختطاف والمحاولات التي بذلها جلالة الملك والحكومة، وكان أولها سحب سفير المغرب في باريس. ولا تزال كل علاقتنا بفرنسا غير طبيعية رغما عن تشابك المصالح بيننا وبينها، ورغما عن بقاء هذه المصالح معلقة حتى هذه اللحظة...

ورفضت الحكومة المغربية ان تعتبر الاقتناص مما يخص العلاقة المغربية الفرنسية، وعملت على تأسيس لجنة دولية لدراسة قضية خطف الزعماء. وقد نشرت «العلم» اعضاء اللجنة في عدد 4 ابريل الجاري.

ولو اننا سمحنا لانفسنا باستعمال هذا المنطق، لاعتبرنا مصر دولة ناقصة السيادة لان اسرائيل وانجلترا وفرنسا اعتدت عليها، وعلى سيادتها!.

ولكن مصر، كالمغرب سواء بسواء، دولة ذات سيادة متحيزة.. ولم يقل مغربي واحد، انها ليست كاملة السيادة، لان دولة اخرى اعتدت عليها !..

وهكذا يدفع التهور — ولا أقول الغرض — بعض صغار الصحفيين الى تتبع مثل هذه الملابسات لاطلاق اللسان بكلام فيه من ادعاء الحنكة والرشد ما يفضح اغراضه ومراميه !

ان المغرب احرض ما يكون على سيادته واستقلاله من أي احد سواه.

وانه لأعرف بالاساليب التي يتبعها ازاء هذه المشكلة او تلك..

وانه لافهم للخطوات التي يسير بها في هذا الموقف او ذاك.

فما لبعض الناس لا يريدون ان يفهموا ؟.

من لا شيء!!

مضى عام على تأسيس وزارة الشؤون الخارجية، التي ناط بها جلالة الملك مهمة ارساء قواعد الاستقلال، والتعريف بالمغرب المستقل، في الخارج.

وكانت مهمة صعبة، لان العالم الخارجي ألف ان ينظر الى المغرب بالمنظار الذي وضعه الاستعمار الفرنسي الاسباني على عينيه، فكان ينظر به أمة منقسمة على نفسها، قد تكون صالحة لان يحكمها الغير، ولكنها ليست أهلا لان تكون سيدة نفسها.

وكان على وزارة الخارجية أن تزيل هذا المنظار الذي صنعه الاستعمار، وتستبدله بمنظار آخر صنعه كفاح الملك والشعب، وسرعان ما تغيرت النظرة، وفوجئ العالم الخارجي بسياسة المغرب المستقل القائمة على اعتبار ان الحرية قيمة انسانية عليا غير قابلة للتفويت، فلا يمكن التساهل في الدفاع عنها لشعوب لا تزال تئن تحت قيود الاستعمار.

وكان على وزارة الخارجية أن تبرهن على هذه السياسة وأن تتبنى الدفاع عنها برغم تعارض صلابتها مع بعض المصالح الداخلية ولكنها آثرت — ومنذ الخطوة الاولى — أن تكون سياستها واضحة لا غموض فيها.. واضحة في أسسها، وفي وسائلها، وفي أهدافها.

وكانت السنة الماضية حافلة بالحوادث والتطورات التي امتحنت فيها المبادئ التي كافح الشعب المغربي من أجلها، ولا يزال على استعداد لخوض معارك مخيفة ضد كل من تسول له نفسه ان ينكث بالعهد، او يعرقل سير الشعب الحثيث نحو اتمام سيادته واستقلاله.

ولعل سايسة الدولة جميعها — في الوضعية التي نعيشها —

ترتبط الى حد بعيد بوزارة الخارجية، وبسياستها التي يخطها صاحب الجلالة، ويسهر بنفسه على تطبيقها وتشييدها.

فاذا كانت وزارة الخارجية قد نجحت خلال السنة المنصرمة في سياستها، فلا يزال أمامها كثير من القضايا التي نعتقد ان نجاح الوزارة في حلها يتوقف على السياسة العامة للدولة، كايجاد اقتصاد وطني متزن يتغيا ترضية رغبات الشعب، والخروج به كريما من الازمة الحاضرة التي لا ننكر الجهود المبذولة للقضاء عليها، وكوضع حد لوضعية الجيوش الاجنبية الرابضة في البلاد. وايضا، ليس من الممكن أن نعيش بدون حدود، أو أن نترك سوانا يحدد لنا أين ينتهي اطار الدولة المغربية، فزيادة على مخالفة هذا للقوانين الدولية، فانه لا يتفق وكرامة الشعب المغربي.

وهناك أيضا الجزائر التي غامر شعبها بكل شئ دفاعا عن السيادة والاستقلال، فإننا لا ننظر اليها فقط على انها دولة شقيقة نؤيد كفاحها ومطامحها، بل نعتقد في ان بقاءها في الوضعية الحاضرة مما يهدد استقلالنا، ويهدد سلامة وأمن هذه المنطقة من القارة الافريقية كلها.. وعلى وزارة الخارجية أيضا ان تواجه هذه المشكلة.

وهكذا نستطيع أن نلمس الواجهة التي تكافح فيها وزارة الخارجية، ونستطيع أن نعرف ان مهمتها هي التوجيه لسياسة الدولة، ولا شك أن الوزارة التي وجدت من عدم، ومن ثلاثة افراد، أصبح عددهم الآن يناهز المائتين، وأغلبهم من حملة الشهادات العليا، على ندرة الذين يحملون الشهادات في المغرب.. ستعرف كيف تواجه المستقبل.. بنفس الثقة، ونفس الاخلاص، ونفس الجهود لتؤكد استقلالنا، وتفرض احترامنا كدولة عربية لها سياستها التي تستلزمها ظروفها الخاصة.

العلم 26 ابريل 1957

أين المصير ؟

ان وطننا يمر بفترة لا أقول انها خطيرة، ولكنها قد تصبح كذلك.. وهي لن تصبح كذلك الا اذا أردنا لوطننا أن يعيش في فوضى ذهنية يشيعها الذين ينقمون، ويغذيها الذي يحقدون، ويجترها الذين لا يفهمون.

يشيعها الذين كانوا ينتظرون وطال انتظارهم للجائزة!. والجائزة هي مكان يستريحون فيه.. هي تكية يصور لهم الوهم انها وسام الاستحقاق!.

ويغذيها الذين يتأكلهم الغيظ على الانتصارات التي حققها الشعب وهو يبني مستقبله، لأن هذه الانتصارات لا تدع لأفكهم وبهتانهم مجالات لها.. وهم ألفوا ان يعيشوا بالأفك والبهتان!

ويجترها الذين ألفوا أسلوبا خاصا في السياسة وفي النقد، كان أسلوبا سليما في العهد البائد، ولكن الاستقلال يفرض علينا أن نغير من مقاييسنا التي كنا نحكم بها على الحاكمين، وليس معنى هذا ان نضع على أعيننا نظارات قاتمة تحجب عنا اغلاط المسؤولين، وهم معرضون للخطأ، لان الذي لا يخطئ لا يصنع شيئا.. كما ان هذا ليس معناه ان يضع المسؤولون لفافات القطن في آذانهم فلا يسمعون!

ان قافلة البناء لا يمكن ان تمشي في الظلام، لان طريقها مملوءة بالبوم والخفافيش!!

والحاكم الذي يدع الطريق الواضحة المضيئة ويؤثر عليها طريقا يلفها الضباب المظلم، هو حاكم يعتمد في سياسته على قوة انقضى عهدها منذ ان أصبح الحاكم يستمد قوته من الخارج.. من الشعب الذي وضع ثقته فيه. ومن حقه ان يراقبه، وان يقول له قف، عندما

يتأكد من ان الحاكم عرج عن الطريق الواضحة المضيئة الى الدروب المظلمة. ومن واجب الحاكم ان يقف ليشرح سياسته ويدافع عنها فاذا ارتضاها الشعب نفذت واذا عارضت مصالحه واقتنع الحاكم كان عليه ان يختار ارادة الشعب

أما ان يتحول النقد البناء عن وجهته الى رغبة مجنونة في خدمة اغراض هي بالتأكيد ضد مصالح الشعب تستغل فيه بساطته الخيرة، فهذا مالا تسمح به اهدافنا الوطنية العليا. وما تنوء به الحرية التي نتخيلها قادرة على حمل الاوزار المسمومة!..

واذا كانت بعض الاذاعات تردد صدى هذا النقد الهزيل فذلك فيما اعتقد يعود الى الثقة الكبيرة التي ينظر بها المسؤولون الى اعمالهم، ويعتقدون ان سواهم ينظر اليها من نفس الزاوية.

أليس واجبا ان نخرج عن الصمت الرهيب الذي يحول بيننا وبين الناس؟..

اليس لزاما علينا ان نكشف عن أوراقنا.. حتى الورقة الأخيرة؟

أليس من مصلحتنا أن نشرح المجالات التي انتصرنا فيها؛ والمجالات التي لم نحقق فيها شيئا؟..

العلم 15 ماي 1957

وحدة الأمة ..
وتحديد المسؤوليات

في الوقت الذي يتطلع الملاحظون في مختلف انحاء العالم، الى اتجاهاتنا ونياتنا وفقا للاعمال التي نقوم بها، نجد أنفسنا سائرين بخطوات ثابتة متئدة، في بناء دولتنا على أسس متينة.

وان كل شهر يمر ليحمل معه دليلا جديدا على توازن الخطط التي نصمم بها اعمالنا، وعلى الاستقرار الذي يصاحب سيرنا، ويؤكد للذين يتربصون بنا دوائر السوء اننا وان كنا فقراء بوسائلنا المالية في الظروف الحاضرة، فنحن اغنياء بالامكانيات التي يتوفر عليها مستقبلنا.

وها هي عناصر المغرب الجديد.. المغرب الواعي المتبصر.. تأخذ مكانها الواحد تلو الاخرى بانتظام وانسجام.

وأمام هذه الوحدة الوطنية التي صهرها الكفاح الوطني، والتي تصمد اليوم في اصرار عنيد امام الصعاب القائمة، خابت آمال الذين كانوا يرغبون في خلق المشاحنات والمنافسات بين عناصر الامة الموحدة، وأسقط في أيديهم أمام ايمان الشعب القوي، بان لا استقلال ولا حرية بدون المحافظة على هذه الوحدة والدفاع عنها.

وان الخطابين اللذين ألقاهما سمو ولي العهد مولاي الحسن، بمناسبة الذكرى الاولى لتأسيس القوات الملكية المسلحة، جاءا مؤكدين لهذا الاتجاه، وأعربا عن هذه الوحدة المقدسة، والتي لن تنفصم عراها بين عناصر الشعب الرئيسية.

فلقد أعلن حفظه الله ان جندي الملك، هو في نفس الوقت جندي الشعب.

وانه لتوجيه نؤمن به كأساس قويم لدستور القوات الملكية، التي أسست للدفاع عن كرامة الدولة واستقلال الوطن.

ان سمو ولي العهد قد حدد بدون لبس ولا غموض، وضعية الجيش في البلاد، كما هو الواقع عند جميع الدول الديمقراضية، اذ ان جيشا بدون شعب يساعده ويؤازره لا يستحق ان يحمل هذا الاسم.

وكان خطاب رئيس اركان الجيش المغربي بينا في توضيح النتيجة المنطقية التي تتسلسل عن هذا التعريف الديمقراطي للجيش، وهي في الدور الاقتصادي والاجتماعي الذي يجب عليه ان يقوم به.

وان وضعية بلادنا لتضفي على هذا الدور صبغة خاصة، حيث يحتاج بناء البلاد وتشييدها الى تعبئة جماعية لسائر القوى المنتظمة في المنظمات الوطنية المنبثقة عن معركة التحرير، وفي المؤسسات الجديـدة، وليدة الاستقلال.

ولقد قال صاحب الجلالة: «جيش بدون شعب لا قوة له، وشعب بدون جيش لا كيان له ولا استقرار».

واننا لن نستغني ابدا، عن اصغر طاقة، ولا عن أصغر تضحية لتشييد كيان دولتنا.. هذه الدولة التي نريدها قوية في شؤونها الاقتصادية، عادلة في معاملاتها الاجتماعية، مستقرة في مؤسساتها السياسية.

ولقد بدأ جيشنا يعطي الدليل على أنه يستطيع القيام بهذه الاعباء باقدامه على انجاز بعض المشاريع الاقتصادية والاجتماعية، في الوقت الذي ينهمك في مشاكله التنظيمية

وهكذا يتجلى من اعمال المسؤولين وتصريحاتهم ان حصانتنا القوية ورأسمالنا النفيس في هذه الظروف الدقيقة التي يجتازها وطننا هي في التماسك الوطني، والامتثال للخطة المتحدة والمرسومة من قائدنا الموفق جلالة الملك.

وان روح هذا الامتثال الوطني هي التي يجب ان تحدد لكل

عنصر من عناصر الامة الحد الذي يجب ان يقف عنده، محترما حقوق العناصر الاخرى وواجباتها في جو من الاخاء الصادق والانسجام، شأننا في ذلك شأن الدول التي تنشد الاستقرار والازدهار، وتريد ان تضمن لنفسها النجاح بتلافي كل خلط بين الحقوق والحدود، والضرب بقوة وحزم على يد كل من يخل بقانون الطاعة والانسجام.

ولقد صدق سمو ولي العهد اذا قال في خطابه أول امس

ومن بشائر الخير وآيات النجاح ان جميع العناصر الصالحة السليمة البناءة في هذه البلاد من سياسية ونقابية وان اختلفت مشارب تفكيرها وتعددت طرائق عملها تسير متوازية متكاثفة حيث تلتقي عند مركز الدائرة وقطب الرحى جلالة الملك الذي يرسم الخطط، ويضع البرامج، ولا يألوا جهدا ولا يدخر وقتا في الارشاد والنصح والتوجيه لترقية هذا الشعب روحيا واجتماعيا وماديا.

العلم : 18 / 5 / 1957

مع الصحافيين

سعدت بالاجتماع بالزملاء الصحفيين الذين يزورون المغرب من مصر وسوريا ولبنان.

وقال الاستاذ محمد عبد القادر حمزة مدير تحرير جريدة «المساء» المصرية

لقد زرناك في وقت المعركة

وما كاد الزملاء يستقرون على مقاعدهم حتى انهالت علي الأسئلة.. ليس من أفراد عاديين، وانما هي من اخوان تمرسوا على استخراج ما وراء الكلمات، بالرغم مما قد تغلف فيه من غموض.!

اسئلة عن جلالة الملك، وعن الدور السياسي الذي يقوم به في البلاد.

واسئلة عن حزب الاستقلال.. وعن المرحلة التاريخية التي يمر فيها الآن بعد ان خرج منتصرا من معركة الكفاح ضد الاستعمار..

واسئلة عن الحكومة.. عن سياستها، عن أهدافها، عن مشاكلها في الداخل والخارج..

وأسئلة عن اتجاه المغرب، ومدى الوعي الذي يواجه به الدعايات العابثة، والهادمة التي تصور المغرب على غير الصورة التي رسموها في أذهانهم خلال تتبع مراحل كفاحه ضد الاستعمار والاقطاعية.

وطال الحديث، ولمست في الزملاء ادراكا دقيقا لجوهر المشاكل التي نواجهها في هذه الظروف، ولطبيعة العوامل التي تجعل سلوكنا قابلا لاكثر من تفسير !!

واذا كنا ــ والى وقت قريب ــ نشكو من بعض الصحفيين الذين ينظرون الى المغرب نظرة سطحية، ويصدرون احكامهم في غير

ترو ولا تفكير، فقد عبرت للزملاء عن السعادة التي كنت احس بها ونحن جلوس نتحدث.

لقد وجدت اخيرا من يفتح عينيه، وجميع حواسه ليدرس المغرب الجديد.. المغرب الذي لم يقاوم الاستعمار ليخلفه باستعمار آخر..

المغرب الذي فك اسار الاستعباد من عنقه، وحطم اغلال الاسترقاق من رجليه، وانطلق يبني، ويرمم، ويقيم الانقاض.

المغرب الصريح، الذي لا يعرف الدجل، ولا التدليس، ولا الغموض.

المغرب المسلم، الذي حمى الاسلام من الغزو، ثلاثة عشر قرنا.

المغرب العربي، الذي عجز دهاقنة الاستعمار ان يختطوا له طريقا غير طريق العروبة، ويولوا وجهه وجهة تتنافى مع الايمان الراسخ، الذي يزخر بالاعتزاز، ويزهو فخرا بهذه العروبة الصافية التي تتدفق في عقله وقلبه وعاطفته.

هذا هو المغرب، وهذا هو التراث المجيد التالد الذي يتكتل حوله المغرب ملكا وحكومة وشعبا.

واذا كانت سنون الاستعمار قد أرهقتنا، فان الاستقلال قد بعثنا من جديد ونفخ فينا روحا عارمة، نزاعة الى المجد، طامحة الى ربط الماضي بالحاضر لبناء مستقبل تتحقق فيه آمالنا في ازالة الحواجز بيننا وبين اشقائنا العرب. وبعث الوحدة العربية المنشودة..

ليست هذه احلاما وانما هي المبادئ التي غرستها الحركة الوطنية منذ ثلاثين سنة في الوجدان المغربي.

فمرحبا بالزملاء الصحفيين العرب، في أرض عربية.

العلم 23 / 5 / 1957

ذكرى استشهاد الزرقطوني

... وكانت المأساة التي حسبها الاستعمار نهاية شعب فكانت بداية انبعاث.

لقد بلورت المأساة المهمة الحقيقية لحزب الاستقلال الذي تستند رسالته على روح ثورية صريحة، عاشت معه منذ كان حركة سلفية الى ان استوعب الضرورات الشعبية نتيجة تكتل طوائف الامة حوله.. فاصبح حزبا شعبيا عتيدا تحمل أعباء الكفاح بجانب الملك الثائر.. وفي شعب الحزب كان الرواد يبشرون بالثورة..

الثورة من أجل الحرية

الثورة دفاعا عن القومية المغربية

الثورة حفظا لاسلام هذا الوطن ومقدساته

وعقب مؤامرة 20 اغسطس 1953 ارتفع صوت الحزب من زعيم الحزب في القاهرة يدوي بالحق فمادت أرض الوطن تحت اقدام رسل الشر والدمار والموت، ورسخت تحت اقدام الشعب الثائر على الشر والدمار والموت.

وكان السجل التاريخي الذي يحفظ أسماء الشهداء علال بن عبد الله، محمد الزرقطوني، حمان الفطواكي وسوى هؤلاء من الذين تعمق فهمهم للحركة الاستقلالية الثورية فانطلقوا يصيغون معانيها في دلالات واقعية استوعبها الشعب وربط بينها وبين اهداف حزب الاستقلال:

الله الوطن العرش.

وكانت الملاحم الثورية التي قادتها حركة المقاومة وجيش

التحرير. متحدية الخطر المستطير في غمار المعارك الرهيبة التي طوحت بالاستعمار وأعادت مشعل الثورة الفدائي الاول محمد الخامس الى عرشه والى شعبه.

واليوم حين تمر بنا ذكريات هذا الكفاح المجيد في الذكرى الثالثة لاستشهاد البطل محمد الزرقطوني نجد الاحداث المتوالية لا تزيدنا الا ايمانا بالمبادئ التي ضحى هؤلاء الابطال لتحقيقها.. والا تمسكا بالقيم والمثل والافكار التي بشرت بها الحركة الاستقلالية.

---

18 / 6 / 1957

الرجال مبادئ

الرجال بدون مبادئ، اشجار جرداء، وصحاري قاحلة..

انهم أشبه بالواحة التي ترجو فيها فيئاً ظليلا، حتى اذا اقتربت منها كوت اقدامك رمالها، وضربت رأسك شمسها المحرقة.

الرجال بدون مبادئ ؟!

وهل هناك أزمة أعنف من تلك التي نتقلب في جحيمها حين نجد العمالقة يتحولون الى أقزام، والأقزام ينقلبون عمالقة ؟!

وحين نرى الفاشلين وقد مدت لهم اسباب النجاح.. هكذا في سرعة، وبدون مقدمات، يخيل الينا أن مقاييس الكفاءات قد أصابها ذهول !!

وكم من افراد تعلقت بهم الآمال.. فاذا بهم «يتداخلون في بعضهم» حتى يصيبهم مسخ الشياطين، وانتهازية الوصوليين، وجشع المتملقين وحقد الناقمين، وغطرسة العاجزين، ونفاق الكاذبين، وعربدة المتحللين، وتنطع المتمردين، ونكسة المرتدين.

الرجال الذين خيل اليهم ان في التمسك بالمبادئ مضيعة للوقت ، فتملقوا، وأسرفوا في التملق حتى ليتوهم الانسان ان الملق ليس رذيلة معنوية، وانما هو بشر مثلي ومثلك ومثل الآخرين.. انه كائن حي، له كل الخصائص البشرية !!

وحين ينسلخ الرجل عن مبادئه، أو حين يتخذها سلما يصعد عليه، حتى اذا وصل.. داسها تحت رجليه، وتنكر لها، وتبرأ منها — حين يفعل الرجل كل ذلك، أو بعضا من ذلك، فانه يسهل عليه ان يرتكب من الموبقات ما تأنف منه تيوس الانعام حين تمجن وتفجر.

وتصل الغطرسة ببعض أشباه الرجال الى الاعتقاد بان الاوضاع قد استقرت برغم ما في جملتها من زيف، وما في تفصيلها من بهتان، وبمزيد من التبرير ــ والانسان اقدر الحيوانات على تبرير أفعاله ــ لا يدري الواحد منهم ــ من أشباه الرجال هؤلاء ــ حقيقة الواقع الذي أصبح يعيش فيه، وحقيقة التحول الذي طرأ عليه، وعلى أفكاره، وقيمه ومثله في الحياة، لأن الافكار والقيم والمثل.. كل أولئك قد انصهر في الوضع الجديد، واكتسب منه تعريفات اخرى، ودلالات جديدة لا تجد غير هؤلاء ــ أشباه الرجال ــ من يعتقد فيها، ويتخذها مقياسا يزن به حقائق الحياة.

وبالرغم من النجاح الذي يمكن ان يحرز عليه هؤلاء في غفوة المبادئ، فان المبادئ ستبقى دائما عقيدة المخلصين، ونبراس العاملين وكما ترفع المبادئ المؤمنين بها، فانها تنتقم منهم يوم يجحدونها.

وما اكثر الذين سوف تنتقم منهم كرامة المبادئ !!..

العلم 15 / 6 / 1957

حرب ... ومقاومة

برهن الشعب خلال الشهور الأخيرة على الروح النظامية التي يسير عليها في بناء مستقبل المغرب، بالرغم من الحرب النفسية التي يشنها اعداء الاستقلال لانهاك القوة الجبارة التي نتسلح بها، والتي تمكنت من احباط هذه المؤامرات رغما عن تعدد اساليبها، وتنوع الوسائل التي تلجأ اليها.

واذا كان سيرنا الحثيث نحو الاستقرار هو الذي يثير خصومنا على اختلافهم، فان ذوي النيات الحسنة قد تختلس منهم هذه النيات فيتخذون اداة لترديد الاراجيف المعادية للوطن والشعب، لهذا لابد ان نتسلح باليقظة والوعي لمنع تسرب البلبلة الى افكار الشعب فنضاعف من انتباهنا للوقوف ضد الحقد الذي اصبح يشيد كنظام.

ان السلاح الوحيد الذي نستطيع ان نجابه به هذه الحرب المستمرة هو تكتل جميع القوى الحية، البناءة، الواعية، وراء جلالة الملك الذي كان ولا يزال رمزا للقيم التي نعمل لتحقيقها، وللمثل التي نومن بها.. وايضا تجنيد منظماتنا الوطنية في كل مكان بالمغرب، فبالاتحاد والعمل سنتمكن من احباط المؤامرات، والانتصار على العراقيل، وتخطى الاشراك التي تنصب لنا يوميا وفي كل حين.

لقد كان المعرض الدولي فرصة لكثير من الصحفيين الذين زاروا المغرب، فشاهدوا انبعاث الشعب، ولمسوا التقدم الاقتصادي الذي صنعناه بايدينا رغم المتخلفين.

واذا كانت المنجزات التي حققها الشعب بايمانه ونشاطه قد انتزعت اعتراف واشادة وتنويه عدد لا يحصى من الذين يتتبعون اعمالنا، فان هدف اعدائنا هو تحطيم هذه المنجزات، والتقليل من قيمة تباشير هذا النجاح.

واذن، فالاستمرار في العمل، ومواصلة الجهد هو الرد البليغ الذي نقدمه الى هؤلاء الذين يدعون الوطنية، والى هؤلاء الذين يرضيهم ان يحطموا رجاوة الشعب وآماله، والى هؤلاء الذين يكررون ويواصلون التنويه بالصعوبات الحالية، مشيرين الى ان العبء الذي ورثناه من المعهد البائد لم يصف بعد.

اننا نكبر أنفسنا عن النزول لهذا المستوى من الادعاءات المرجفة، لان الاعمال الجدية التي تتطلب تفكيرنا، وحشد قوتنا حولها كثيرة.

لقد وضعنا نظاما تدريجيا لحاجياتنا، وخططنا برامج من شأنها ان تعيننا على الوصول اليها، وتحقيقها، وبارادة قوية سنطبق برامجنا، ونحقق اهدافنا دون ان يشغلنا عنها اي شيء.

لن نسمح لانفسنا ان تخوض معركة الارتجال، التي لن تكون نتيجتها الا سقوطنا في الهاوية.

وهذا ما يريده اعداء المغرب.

ان اسس النجاح التي نؤمن بجديتها هي: النظام، والعمل، والمناهج.

وتجاه هذه الاسس الثلاثة ستتلاشى كل المحاولات التي تحاول ان تنال من معنوية الشعب، كما سيتلاشى امام قوتها كل حقد وضغينة.

العلم يوليه 1957

الموسيقى

دار بين وبين صديق حديث عن الموسيقى وأثرها في الترفيه عن النفس، وفي السمو بالذوق وتهذيبه .. ووصلنا بحديثنا الى الموسيقى العربية، وهل تؤدي رسالتها ام انها تعيش بمعزل عن الانسان العربي، وعن الوضع الذي يعيش فيها حائراً مضطرباً قلقاً..

وافترقنا وبقيت اصداء الحديث تضطرب في نفسي. ان الفنون الجميلة ــ ومنها الموسيقى والشعر ــ هي أيضاً لها اهداف، ولها وسائل لتحقيق اهدافها.

واذا كان الشعر ــ مثلا ــ يعتمد على الكلمة الموحية، وعلى النغم الموسيقي في غزو نفس الانسان، فان الموسيقى ايضاً ــ وقد سبقت الشعر في الوجود ــ لها ايضا وسائل تعتمد عليها.

واذا كان من الضروري للشاعر ان يدرس وسائل الشعر بالاضافة الى الملكة الشعرية فان الموسيقى ايضاً في أشد الحاجة للدراسة، ومن خلال دراسته يستطيع ان يصل الى ان التعبير بالموسيقى.. باللحن والنغم، قد يكون ابلغ تأثيراً في النفس من الكلمة المقروءة أو المسموعة

فاللغة ليست الا رمزاً للتعبير وهي في أغلب حالاتها تعجز عن نقل الانفعال، وعن تصوير الفكرة.. ولعل هذا احد اسباب ظهور الرمزية في الشعر والنثر، باعتبار كون اللغة وسيلة لنقل الايحاء النفسي من شخص الى آخر. والموسيقى تقدر بوسائلها المنوعة ان تكون اقرب الى نقل هذا الايحاء.

واذا كان اعلام الموسيقى الغربيون استطاعوا ان يتغلبوا على مشكلة التعبير، وعلى الخروج بالموسيقى من التصوير المحلي الى الفضاء

الفسيح.. الى التغلغل في اعماق النفس الانسانية، وتصوير هواجسها واحلامها، فتارة تستفزك، وطوراً تخدر اعصابك فتشعر بتنميل يسري في جسمك دون ان تفكر في المؤلف او العازف بل تنساق مع اللحن ومع النغم، وانت في هذا كله لست ايطالياً ان كان الموسيقار ايطالياً، ولست المانياً ان كان هو كذلك، اذ تمحي هذه الفوارق، وتبقى الخاصة الانسانية التي تجمعك به رغم اختلاف الزمان والمكان.

فهل استطاعت الموسيقى العربية شيئاً من هذا ؟

مع الاسف الشديد ان معظمها لم تستطع، وحتى موسيقانا المغربية، والتي يسمونها عصرية.

ولهذا لن نكون طامعين في الاستماع لزمن طويل لموسيقى مغربية حية.

الأديبُ الرّاحِل

عدت الى منزلي في الواحدة بعد منتصف الليل، وكانت اعصابي لا تزال مستيقظة فألقيت بنفسي على السرير واخذت جريدة (الاهرام) اتصفحها.

وفي الصفحة السابعة من الجريدة رأيت ربع عمود نشرت فيه صورة الدكتور محمد حسين هيكل، وبضعة أسطر تنعيه الى القراء..

وهكذا مصير الانسان.. بضعة سطور في زاوية مهملة من الجريدة.. واذا بكل شيء قد انتهى

الدكتور هيكل الرائد العربي الاول للقصة. والصحفي الشهير الذي كانت مقالاته لا تمضي الا ووراءها زوابع وعواصف وانواء.

وللدكتور الراحل مؤلفات خالدة (حياة محمد) و(الصديق ابو بكر) و(الفاروق عمر) وكتب ادبية (كثورة الادب) الذي يعد من اهم الكتب النقدية. وآخر انتاج للاديب الدكتور هيكل قصته (هكذا خلقت)

كان صحفياً من ابرز كتاب الصحافة في مصر حيث كان محرراً في «الجريدة» ورئيس تحرير جريدة «السياسة» وكان ايضاً وزيراً للشؤون الاجتماعية، ورئيساً لمجلس الشيوخ.

وفي آخر حياته كان يكتب مقالات اسبوعية في جريدة «اخبار اليوم».

هذا التاريخ الحافل كانت نتيجته صورة في عمود بزاوية مهملة من الجريدة، وبضعة سطور.

لكم هي جحودة هذه الحياة

مستقبل التعليم

انتهت السنة الدراسية في مجموع أنحاء البلاد، ولا شك أن النتائج التي نشرت عن هذه السنة، لم تكن مثمرة كما كان يجب ان تكون. ولست هنا في هذا الحديث القصير بصدد شرح الأسباب الحقيقية لذلك، لأني اعتبر السنة الدراسية الماضية كسابقتها، من حيث كونها ميدانا لتجربة الاستقلال.. واذا أتت النتيجة غير مرضية، فمرد ذلك إلى ضعف الامكانيات وقلة الوسائل... الا أنها على أية حال مرحلة انتهت، وكان يجب أن تنتهي، وتطوى معها سياسة قد تكون رشيدة لفترة انتقالية، حتى نستعد لمواجهة تصميم محكم، يلبي حاجة البلاد أولا ولتكوين إطاراتها المنتجة ثانيا.

ولعل الشرق قد سبقنا في ميادين الخبرة والتجربة، حيث كانت له ظروف تشبه الى حد بعيد ظروفنا القائمة. وأوشكت الدولة ان تفقد سيطرتها على التعليم، وعلى برامجه، واصبحت تُعنى بالكم لا بالكيف، وبالكثرة لا بالاختصاص. حتى وجدت الدولة نفسها آخر الأمر تكية لآلاف من الذين يحملون شهادات، ولكنهم لا يحملون خبرة ولا تجربة. وبالتالي لا يحملون تكوينا سليما وثقافة تساعدهم على أن يكونوا عونا للدولة لا عالة عليها.. أو عاطلين عن العمل عالة على عائلاتهم، فلا أخطر على الدولة من عاطل يحمل شهادة!.

وإذا كنا في هذه المرحلة الانتقالية قد أعطينا للتعليم اهتماما خاصا، فان الاحصاءات التي بين يدي وأنا أكتب هذا الحديث تجعل من الضروري الأكيد مضاعفة هذا الاهتمام..

فالاحصاءات التي وضعتها مصالح وزارة التهذيب الوطني لا تدل الا على حقيقة واحدة، هي أننا نسير في نفس الطريق التي سارت بها معظم الدول الشرقية في أول اخذها بالنظم التعليمية الحديثة.

ولكن التصميم الذي حضره السيد عبد الرحيم بوعبيد «وزير الاقتصاد الوطني» سيقطع خط الرجعة على الذين يمنون أنفسهم باستمرار الفوضى القائمة..

وتصميم وزير الاقتصاد لا يعتمد على نظريات فلسفية غامضة، ولكنه يعتمد على الاحصاءات التي تنص في مجلها على أن التعليم يسير نحو الاتجاه النظري، لأنه أسهل وسيلة لعامل الكسب الفردي الحر، في حين أن البلاد في حاجة الى نفنيين واداريين، يشغلون اطارات الدولة، ويحررونها من السيطرة الأجنبية.

إن مجموع الطلبة الذين يتابعون دراستهم في فرنسا يصل الى 483 طالب، من بينهم 12 فقط يدرسون العلوم، والباقي في الطب والصيدلة والحقوق والآداب

وفي التعليم العالي بالمغرب يوجد في أقسام الآداب أربعة وسبعون طالبا. اتدرون كم بين هؤلاء من المغاربة؟... انهم أثنان وستون.

بينما كلية العلوم تضم 466 طالب من بينهم مائة مغربي فقط...

أي أن طلبتنا يؤثرون التعليم النظري، لأنه أوفر كسبا في المستقبل..

لهذا يجب على الدولة أن تشرف على التعليم... تشرف على البرامج، وتشرف على البعثات، وتقيد المنح الحكومية، فلا تصرف الا للذين تختارهم الدولة، وتعين لهم الفنون والعلوم التي يجب أن يدرسوها.

أما ما عدا ذلك فهو مضيعة للوقت، واهدار للمال العام، واحباط للأجيال القادمة، إننا نضع ثقتنا الكاملة في تصميم الأخ عبد الرحيم، ونعده باستمرار المساندة والتأييد.

حديث أذيع في شهر جوان عام 1957

اليوميات

هو.. وهي..

جلس هو، وهي على كرسيين مريحين، وقد امتد الفضاء امامهما رحبا فسيحا.. جذب اليه بصر آدم، فحاول أن يخترقه ليرى ما وراء الجنة التي يتذوق أطايبها..

ولم تدر حواء ان آدم يفكر فيها.. بل خيل لها الوهم انه يفكر في سواها.. قالت حواء:

ـ فيم تفكر ؟..

ـ أفكر فيك

ـ اني بجانبك !

ـ ولهذا أفكر فيك

ـ اذن فيمن تفكر حين لا أكون بجانبك

ـ في أشياء أخرى

ـ في امرأة غيري ؟

ـ ان المرأة ليست «شيئا»

ـ هذا مجرد تضليل

ـ لا أعتقد

ـ انك تخيفني

ونظرت اليه، ونظر اليها.. لم يفهم نظرتها.. وعجزت عن اختراق عينيه، فارتد اليها بصرها حاسرا.. فأخذت تتلهى بالعقد الذي يتدلى في زهو على صدرها.. بينما انشغل تفكيره مرة أخرى، ولم يشعر بآهة ندت من صدره وكأنها كانت في سجن.

فقالت

ـ لماذا هذه التنهدات ؟.

ـ بكم اشتريت العقد ؟

ونسيت انه لم يجبها على سؤالها.. فافتر ثغرها عن ابتسامة سرعان ما اعادتها الى مكانها بعد ان لمحته يبتسم !

ونظرت اليه بزاوية عينيها الذكيتين وقالت

ـ لماذا ابتسمت ؟

ـ كنت أجيب على ابتسامتك

ـ لو لم نكن وحدنا لاعتقدت انك كنت تبتسم لغيري

ـ الحمد لله

ـ على اننا وحدنا

ومرت بيدها على شعره، وكأنها تراه لأول مرة وقالت

ـ لماذا تركت الحلاق يفسد شعرك ؟

ـ لاني كنت افكر أثناء الحلاقة.

ـ فيمن كنت تفكر ؟..

وقبل ان يفكر في الجواب، أقبلت احدى زميلاتها، وما كادا ينشغلان في الحديث عن الناجحات والراسبات.. وعن أشياء، وأشياء، حتى انسل «هو» من بينهما، ليفكر.. ويتنهد.. ويبتسم دون رقيب !!

الصَّداقة

ما اكثر الذين اعرفهم، وما اقل اصدقائي فيهم.

فالصداقة فناء فيمن وقع اختيارك عليه صديقاً، فناء تنعدم فيه كل الاعتبارات فاذا بك عندما تحدثه تحس احساساً صادقاً انك انما تحدث جزءاً من نفسك، فلم يعد صديقك انساناً يحمل اسما آخر، وانما هو انت، وانت هو.. اسمان لكائنٍ واحد، وعنصران لمادة واحدة. قد تحللهما فتجد لكل منهما خواصاً منفردة، فاذا اجتمعا وانصهرا تكون منهما تركيب جديد ليس فيه خواص المفرد.

تفرق بينكما الايام، فاذا بكما على البعد اشد ما تكونان قرباً، وتتوالد الايام فاذا بها سنتان او اكثر، ولا يبقى بينكما الا هذه الاوراق التي يحملها البريد.. على تفاوت في الشهور.. ولكنك مع ذلك تحس بوجوده قريباً منك ويشعر بوجودك كالامس القريب، تناقشه أو تبثه شكاة نفسك..

هؤلاء الاصدقاء ممن يتكونون ؟

ولم اختار فلاناً بالذات، ويختارني هذا الفلان.

لماذا لم اخطئ في الاختيار ؟

وقد تكون هناك اختلافات كبيرة في المستوى الاجتماعي وفي التفكير الذي درج عليه كل واحد منا، ومع ذلك يختارني واختاره، ويصادقني واصادقه.

في حياتي ثلاثة او اربعة من هؤلاء الاصدقاء، لا ابخل على احدهم بأي بذل او عطاء..

فماذا يكون موقفي لو ان احداً من هؤلاء اساء الي من حيث

يشعر، او من لا يشعر ؟

هل اجافيه ؟ هل اقطع الأسباب بيني وبينه ؟

ان مجرد التفكير في ارتكاب جريمة من هذه الجرائم — وانا اعتبرها جرائم — لدليل على ان صداقتي له لم تكن من العمق بحيث تسمو عن هذه الجزئيات.

وقد امتحنت في هذا اليوم امتحاناً عسيراً في علاقتي بصديق.. ولكني تحملت وتحملت في صبر عجيب.

ان الصداقة نادرة، فلماذا نعمل على التفريط فيها متى وجدناها؟

لحظة الانطلاق

قد نعيش السنوات الطويلة في رتابة وملل، راضين بأوضاعنا، ملتصقين بالمكان الذي ربطنا فيه، مقتنعين بمستوى معين من التفكير، ومن الحكم على الاشياء.. وتمضي الايام.. وتصبح شهوراً وسنيناً، ومع ذلك لا جديد.. تبحث في عقلك فتجده كالبركة الآسنة يجتر طحلبه، ويأكل ديدانه.. فتغور الى عاطفتك فاذا هي قاحلة كالصحراء، جافة كرمالها... فاذا حاولت استثارتها اهتزت اوراقها الجافة اليابسة بين يديك وتفتت على الأرض.

وتعود الى رتابتك وخمودك، وتنسيك احداث اليوم احداث الامس، وبين الماضي والحاضر تبقى مجرد شيء من هذه الأشياء التي تزداد تفاهتها كل ما قل انفعال عاطفتنا وارتجاج عقلنا.

لا حيرة ولا قلق، لا ألم ولا شقاء، لا رعونة ولا تمرد.. كل شيء صامت كالقبور هامد كالاموات..

وفي الصحراء تنفجر الآبار الرعناء، وفي قعر البحار الهادئة تسكن الحيتان المتوحشة، وفي حياة الانسان تحدث مصادفة.. مجرد مصادفة.. فاذا به انسان آخر، وكأنه كان ينام على شحنة من الديناميت اشتعلت فتيلاتها.

وقد تكون هذه المصادفة تحية عابرة، لا تحتمل تفسيراً بعيداً.. وقد تكون ابتسامة رقيقة من هذه الابتسامات التي ألف الناس ان يلقوا بها بعضهم البعض.. وقد تكون نظرة خاصة فيها اكثر من معنى.. فيها نداء.. وويل لنا حين نلبي النداء..

اننا نبيع حريتنا، وهي أعز ما نملك، ونعطي راحتنا، وهي أثمن ما نسعى اليه ونهب ماضينا وهو اغلى ما نحب.

حين نلبي النداء، ونرفع الراية البيضاء.. نضع بذلك نهاية للسلام، وبداية للمعركة، معركة العقل والقلب جميعاً، ومعركة الانسانية والبشرية ومعركة (الانا) و(النحن)

نهب شيئاً لنمتلك أشياء، ونعطي الموت لنأخذ الحياة. ويا لها من حياة أرحم منها الوحدة النائية مع الطحلب والديدان، ومع الصحراء القاحلة والرمال الجافة.

حين يحدث هذا في حياتنا تنمحي السنون، وينعدم الماضي.. وتبقى هذه اللحظة، التي تعدل في ميزان الحياة كل الايام، وكل الشهور، وكل السنين الماضية..

فهل في حياتك هذه اللحظة ؟

اذا لم تكن في حياتك فابحث عنها.. حاول ان تعيشها فسوف تهب لك زاداً للمستقبل الذي لا تعرفه، ستشعر بها تشد كتفيك لتطلب منك مزيداً من العمل ومزيداً من الطموح، ومزيداً من البذل والعطاء..

ستحس بالاعباء تثقل ظهرك فتقول: اللهم لا تخفف عني، ولكن هبني ظهراً قوياً.

في الطفولة

اهداني الصديق عبد المجيد نسخة من قصته الرائعة.. «في الطفولة»... ولم اكد افتح الكتاب حتى تجسمت أمام مخيلتي ذكرى ارتبطت بهذه القصة ايام كنت في مصر.

كان ذلك في سنة 1953 وكان الصديق عبد المجيد قد اعطاني نسخة خطية للقصة.. واستحوذ عليّ اسلوبها السهل الممتع وبراعة السرد.. كان انسياب الكلام يجرفني معه ويمتلك علي حواسي. وحين وصلت الى الفصل الذي يحكي فيه الصديق عبد المجيد موقفه حين أدخل على والدته في انجلترا فوجدها مسجاة على الفراش وقد زالت عنها حمى الحياة.. شعرت بوخزات في قلبي وكأن وحشاً كاسراً جائعاً ينشب اظافره في صدري فيمزقه.

تركت القصة وعدت بذاكرتي الى وطني، الى المغرب تذكرت أمي.. وتصورتها على فراش الموت وانا بعيد عنها.

في هذه اللحظات دخلت الخادمة تحمل في يدها رسالة من المغرب.. وفتحت الرسالة ولم اكد امر ببصري على سطورها الاولى حتى ذهلت.. كانت تحمل نبأ وفاة والدتي إثر الوضع..

وظلت قصة «في الطفولة» مفتوحة فوق مكتبي.. حيث ماتت والدته ووالدتي. وعندما زارني الصديق عبد المجيد ليعزيني ويواسيني لاحظ ان سطوراً من القصة قد محتها الدموع..

كانت السطور الممحية هي التي وصف فيها وفاة والدته ثم اغلق الكتاب ووضعه على رف الكتب.

ان الصديق لا يزال يحتفظ بهذا المخطوط الذي محت دموعي جزءاً من سطوره.. اما انا فقد اصبحت لدي قصة «في الطفولة»

مرتبطة بهذه الذكرى الاليمة.. ولذلك احبها لاني احب الألم.

وقليل من الناس يحبون آلامهم، فقد درجوا على التفكير في الراحة والاطمئنان، وانا اكره الراحة والطمأنينة.

الطبيبُ .. الصّحفي

لا تراه الا يقظاً متحفزاً وكأن له مع الناس ثأراً قديماً فهو لا يلبث اذا حدثك ان ترى جميع حواسه تتحدث.. فمه ورأسه ويديه ولعل. اهم مميزات شخصيته النشاط الدائب والحركة الدائمة والاستعجال. كل.. شيء يجب ان يتم بسرعة ووفق ما يريد.

كان يتابع دراسته في الطب في فرنسا لولا ان السياسة جرفته في تيارها، فكان في مكتب حزب الاستقلال في باريس ومراسلا لجريدة العلم.. ثم اصبح رئيساً لقسم الصحافة في القصر الملكي، وأخيراً صار وزيراً للأنباء والسياحة.

وانا لا اتصوره في غير الصحافة التي تتطلب من محترفيها الصفات التي اجتمعت في السيد احمد العلوي.

ترى لو استمر في دراسة الطب ونجح فيه ـــ ولا شك انه كان سينجح ـــ ماذا يكون مصير الذين يضعون حياتهم بين يديه. ؟

انا شخصياً لا تزال عندي رغبة في الحياة برغم ما فيها من مثبطات، ولهذا لم يكن من الممكن ان اسلم اليه هذه الحياة يعالج مرضها بالسرعة التي يعالج بها الشؤون الصحفية.

أليس كذلك ايها الصديق الصحفي ؟

العالم لايزال بخير

ان العالم لا خير فيه، كل الذين يعمرونه قد تمزقت نفوسهم بالانانية، واكتظت افئدتهم بالحقد والضغينة.. وامتلأت عقولهم بالطمع والشره..

لا هدف للانسان في مراحل حياته سوى تحطيم غيره واتخاذه سلماً للصعود عليه.

البشرية فطرت على الظلم وجبلت على الشر، بحيث لم ترعو برسالات الانبياء والمصلحين ولم تهتد بتعليمات السماء، لانها تتمرغ في حمأة قذرة من الشهوات والدنايا والسفالة.

لكل هذا لا تؤمن بشيء.. كن محترساً في معاملتك مع سواك، لأنه هو ايضاً محترس منك يتربص بك الدوائر لينكل بك، ويعصف بآمالك ومطامحك.

هذا كلام لا أومن به أنا، ولست قائله.. ولكنه الاديب الفرنسي المشهور (إميل زولا) احد رواد المذهب الطبيعي.. الذي انتشر في فرنسا خلال القرن الماضي واوائل هذا القرن.

ولا شك ان الأديب الفرنسي كان يعاني ازمة نفسية قاتلة، جعلته يرى الدنيا بهذا المنظار الاسود الشديد القتامة.

وبالأمس شاهدت فيلماً مقتبساً من قصة «لاميل زولا» وتكاد حوادث الفيلم بما فيها من عنف وما في حوارها من فضح للنفسية البشرية حين تفقد ايمانها بالله والحياة وبالانسان ان تجعل من الانسان مجرد آلة مسخرة في يد الشيطان.

وقضيت ليلتي محموماً أقلب الرأي في مدى صحة اسس المذهب الطبيعي، بعد أن نفضت يدي منه في السنة الماضية بمصر وأديت الامتحان في المذاهب الادبية، وغامرت بمستقبلي حين حاولت

كشف عيوب المذهب رغم تحمس الاستاذ الذي كان يحاضرنا فيه لهذا المذهب..

وفي الصباح وصلتني قصة من كاتب في الدار البيضاء لا تكاد تختلف في موضوعها عن قصة الفيلم، وان كانت قد كتبت بأسلوب آخر..

ووضعت القصة امامي بعد قراءتها وجعلت اناقش نفسي.. اذا كانت الحالة العامة في فرنسا خلال القرن الماضي واوائل هذا القرن تدعو الى ان يكون في تفكير ادبائها شذوذاً عنيفاً.. واذا كانت معطيات البيئة الفرنسية ليس غريباً عليها التعقيد والانحلال فما هي بواعث هذا التفكير القاتم في مجتمعنا؟

ان لنا عيوباً اجتماعية. هذا حق لا شك فيه، ولكنها ليست من الخطورة بحيث ينجم عنها اليأس والتفكك والوحدة... والشعور بالعزلة عن العالم.

ماذا كان يكون مصيرنا لو ان كل واحد منا اهتز للازمات التي تعترضه في حياته ؟

ان الصخور تسد الطريق على الضعفاء.. اما الاقوياء فيرتكزون عليها ليصلوا الى القمة.

ونحن لسنا ضعفاء لا لأننا نتمتع بأجسام العمالقة، ولكن لأن المستقبل الذي نبنيه بعرقنا ودموعنا لن نشيد دعائمه الا اذا كنا نحس بالقوة تندفع من عقولنا، وتتدفق من عواطفنا، وتنساب من احاسيسنا.

اننا امة وليدة.. في حاجة الى حقن قوية ولن يكون ادب اليأس والانعزالية والمرض بلسماً للجروح العميقة التي نكأها الاستعمار في جسمنا.

اضحك امام الازمات، واتخذ منها ركيزة للتقدم، فالعالم لا يزال بخير.

مصر التي أحبها

قضيت فيها اربع سنوات ونصف، تفتح فيها قلبي للحياة وعقلي للمعرفة.

اربع سنوات ونصف عشت كل لحظاتها برغم الخصاصة والجوع وبرغم الغربة والبعد عن الوطن سعيداً.

وبين نخليها ونيلها تعرفت الى اخوان واصدقاء لا ازال اكن لهم الحب، واحس بالفراغ الذي تركوه في قلبي.

وانغماري في العمل لم يترك لي وقتاً افكر فيه بمصر وايامها وكلما وجدت فراغاً طفقت مندفعاً بدون وعي الى التفكير في مصر.

لا يزال حنيني اليها يطغى على قلبي.

اصحيح انها اصبحت مرتعا للعدوان.؟ وان مرح شعبها قد انقلب الى حزن عميق يعصر نفوسهم، ويصرفهم عن الحياة التي درجوا عليها ويحول بينهم وبين الانطلاق الذي يعهدونه في نفوسهم.؟

والمعادي ؟

هل ضاعت ابتسامة سكانه الودعين، وسقطت اوراق اشجاره الخضراء. واغبرت شوارعه العريضة.. وأقحلت صحراؤه التي تحرسه.

لا أكاد أصدق، ولي في المعادي من أعتبرهم أهلا.. وجدت في قربهم عزاء لوحدتي، وفي عطفهم وسادة كانت تنسيني آلامي.

مصر بجيزتها ومعاديها، مصر كلها تعاني ازمة وتقاسي محنة، ولو وجدت السبيل لكنت احد فدائييها ولكني هنا في الميدان كذلك في جزء من العالم العربي الذي تكون مصر منه قلبه وروحه.

الأسطورة الحقيقيّة

في الاساطير اليونانية حكاية طريفة، لعلها تلخيص لحياة كل واحد منا.. نحن الذين كتب علينا ان نمرض بحمى الحياة.

تقول الاسطورة

ان الالهة حكمت على (سيزيف) ان يحمل على عاتقه صخرة كبيرة، ويصعد بها الى قمة الجبل. ولكن المسكين لا يكاد يصل الى القمة حتى تتدحرج الصخرة من بين يديه وتسقط الى السفح.. فينزل وراءها، ويحملها على كتفه ولا تكاد قدمه تطأ قمة الجبل حتى تسقط الصخرة من جديد.

وكلنا ذلك البطل الصابر الذي يحمل على عاتقه صخرة العذاب، وكلما حاول ان يضعها.. ويأخذ أنفاسه تدحرجت من يديه.

كلنا نحمل الصخرة.. وانما نتفاوت في نوع الصخر الذي نحمله على كتفنا؛ بعض الصخور من الصوان، وبعضها من الجرانيت، ونوع ثالث من طين يبسٍ ماؤه فتكوم على نفسه حتى صار يخدع الناظر اليه، فيتوهمه صخراً، وما هو الا صلصال.

واغرب ما فينا نحن الذين نعيد حياة «سيزيف» ان الذين يحملون الصوان والجرانيت، لا يشتكون، ولا يتأففون، ولا يمدون يدهم لأحد رجاوة معونته.. بل يصبرون في اصرار، ويقاومون في عناد، ويغرسون اظافرهم في نتوء الجبل، ويتركون على كل صخرة منه سائلا من دمائهم.. ومع ذلك يبتسمون، وبالرغم من ذلك يستهزئون بالحياة وتصرفاتها، ويضحكون عليها مرة في اشفاق، وتارة في سخرية.

والذين يحملون الصلصال، يملأون، الدنيا ضجيجاً وصياحاً وترتفع اصواتهم تطلب النجدة والخلاص.. ممن؟ من الذين يحملون صخور الصوان والجرانيت..

وهناك نوع آخر من الصخر ينوء به هؤلاء الذين لم يستطيعوا وضع الصخرة على الأرض.. صخرة الماضي بذكرياته الضاحكة والباكية، بما ذاقوا فيه من نعيم، وما ابتلوه من شقاء.

هؤلاء لم يجدو في حاضرهم سلوى عن الماضي ولا يؤملون في مستقبلهم عزاء لما نكبوا به في آمالهم ومطامحهم.

ما مصيرهم اذا عجز المستقبل ــ كما يعجز الحاضر ــ عن ارواء عاطفتهم وعقلهم هل يظلون حاملين للصخرة؟ وما ذنب الآخرين ــ والمشكلة دائماً هي مشكلة الآخرين ــ الذين سوف يكونون في مستقبلنا ؟..

هل نحملهم صخورنا ؟ وقد تكون لهم ايضاً صخور ؟ ما العمل ؟.

لست ادري ؟..

ليكن الله في عون الذين شدّ في ارجلهم حبل يجر اثقال الماضي، ويؤمنون بأن المستقبل ليست فيه يد رحيمة تقطع الحبل، وتمسح من عقولهم ذكريات الماضي..

فهل هذا ممكن ؟..

اذن، فليحمل كل واحد صخرته على ظهره، ويتسلق الجبل..

غداً.. ستشرق الشمس

وانطلقت السيارة تطوي الأرض وتلتهما في نهم شديد، وكان يمكن ان تلهيني زرقة البحر الممتد عن يميني. وأن أحس بالدفء لاشعة الغروب المنتحرة.. او أغمض عيني لانفعل مع النغم الذي كان ينبعث هادراً كالموج يتكسر على الشاطىء.. عاصفاً كالقدر الذي يتلذذ عابثاً بي. او استجيب الى الابتسامات التي كانت تطفح بها عيناها.

ولكن شيئاً آخر كان يجذبني اليه

وشيئاً آخر كان يضاعف من شرود ذهني

وشيئاً آخر كان يجثم على صدري كالكابوس الثقيل.

لم يكن هذا الشيء حسرة على الماضي

ولم يكن استهانة بالحاضر

ولم يكن خوفاً من المستقبل.

كنت اعيش في لحظة من تلك اللحظات التي ينمحي فيها كياني المادي، وأتحول الى مادة اخرى، قد تكون صالحة لكل شيء الا ان تستجيب لواقع الحياة...

فيم كنت افكر ؟.

لا ادري ؟.

ولو انني حاولت ان استرجع الخواطر التي صرفتني عن البحر والغروب، وعن الموسيقى والابتسامات لاسترجعتها باهتة خافتة باردة، لاتنبض بالانفعال الذي اثارها ولا تعبر عن الاحاسيس العميقة التي كان قلبي يضطرب لها.

لعلي كنت افكر في الماضي. وهل يستطيع الانسان أن يجرد

وجوده من تأثيرات الماضي؟.. ان الانسان في معظم حالاته النفسية يكون موجوداً في المكان الذي لا يوجد فيه بالحقيقة.

فهل أنا من هؤلاء ؟

وهل كنت أفكر في الحاضر ؟؟

أن حياة الانسان ــ عند التدقيق ــ مجردة من الحاضر ولعل الذين قسموا هذه القسيمات الزمنية كانوا يهدفون الى حقيقة مناقضة للافتراض الذي اصبح حقيقة وهو ان الزمن ماض، وحاضر ومستقبل... وقد كانت لهذه التقسيمات دلالالت منطقية حين كانت تجارب العقل البشري بسيطة لا تعقيد فيها.. يسيرة لا عسر فيها.. ولعلها ما تزال ميزة الانسان، الذي لا يزال على الفطرة أو على وضع يشبه هذه الفطرة.

وهل كنت افكر في المستقبل ؟

المستقبل ؟.

اذا جردته من اصراري على أن يكون كما اريده أنا فما قيمته ؟

ووقفت السيارة في غابة تعانقت أشجارها، وامتلأت أرضها بالاوراق الجافة الميتة.

وقالت

تحدثت في مذكرات الأمس عن الربيع والورود والطيور وعن شروق الشمس وغروبها.. وها نحن الآن نشيع الشمس الى مثواها..

ألبس أليماً ان يقتصر هذا الشعور عن الانسان !

ــ ماذا تقصدين ؟

ــ الا تسمع هذه الموسيقى الحزينة التي يعزفها حفيف الغصون، وتغريدات الطيور ؟

ــ نعم اسمع ذلك   غداً في الصباح لن تكون موسيقى حزينة غداً ستشرق الشمس من جديد.

الرَّبيع

اقبل الربيع بوروده وازهاره، وتفتحت قلوب العذارى للحب، وانتفضت الطبيعة في نشاط لتزيح عن نفسها كآبة الشتاء وغيومها. وتفتحت مسام الحياة تستنشق العبير المعطر، يفوح من وردة مفتحة، وشجرة مورقة.

وتدفقت الدماء صافية نقية الى الخدود فتوردت وجناتها وزاغت نظرات الكائنات الحية تبحث عن الري وعن الاخصاب.

وقد الفت ان اشاهد لآلىء الندى على اوراق الورود والزهور واتشمم عبير الصباح.. واجلو الجمال صاحياً في بكور، واستمع الى موسيقى الطيور المغردة في اوكارها وعلى فروع الشجر، واشاهد النحل يرشف عصير الازهار

كنت هكذا في الماضي.. حين كنت استمد حياتي من الطبيعة.. حين كنت خالي القلب من الحب، وخالي الذهن من التفكير.. وخالي النفس من مشاكل الناس ومشاكلي الجديدة.

ولكنني اليوم حرمت من متعة الربيع

حرمتني الحياة التي قذفت بي بعيداً الى متاهة لا ورود فيها. وانما هي تضج بصليل الآلات، وسواد الحبر وزرقته، واكوام الورق التي لا اتخلص منها في الصباح حتى تتراكم بمرور الدقائق والثواني.

كانت اسعد ساعة عندي هي التي اخلو فيها الى نفسي. الى افكاري، الى وحدتي الى كتاب اندمج في سطوره فأنسى الناس وانسى نفسي.. الى قصيدة اسبح فيها مع الشاعر في دنياه.

واصبح الآن لزاماً عليّ ان اعود نفسي على غير ما تعودت عليه خلال السنين الماضية كنت واحدا فأصبحت اثنين.

وهذه هي المسألة فقد صار من المحتوم ان لا أتمتع بالربيع وحدي.

تقرير المصير

ألفَ رجال السياسة أن يستعملوا عبارات اوشكت ان ترتبط في اذهان الناس بمفهومات خاصة بها، فاذا ذكرت انصرف التفكير آلياً وبدون ترو الى دلالاتها السياسية، مثل كلمة تقرير المصير.

وهكذا تكتسب مفردات اللغة معاني مستقرة بكثرة الاستعمال.. وحين يواجه الواحد منا بموقف جديد في حياته ويريد التعبير عنه، لا يجد منأى عن سلخ المعنى المتداول من التعبير الذي التصق به خلال استعماله، والرجوع به الى دلالته العامة التي تحمل هذا المعنى وذلك من المعاني التي تضطرب في ذهن الانسان، ويحس برغبة دافعة في ابرازها بالتعبير عنها

وقد واجهتني هذه المشكلة منذ عشرة ايام

واجهتني حين قررت مصيري غيرت وضعية اجمع الناس على انها شاذة ولم اكن الاحظ فيها اي شذوذ.

والانسان يجد نفسه مضطراً في بعض الاحيان للنزول عند آراء الناس فيه وان كان عنيداً.

قررت مصيري، اما كيف تم ذلك فهذا ما لا ازال افكر فيه.

واذا قررت مصيرك، فقد اخترت جديدا.. وليكون اختبارك سليماً لابد ان تتخلى عن القديم.

قد يكون القديم فكرة، أو مثالا، أو شخصاً.

ومشكلة الانسان دائما أنه لا يستطيع التخلي بعد الاختيار لأن التخلي معناه التجرد من الماضي بذكرياته الجميلة، وآلامه اللذيذة وأحلامه العذبة، واشواقه الحائرة.

الماضي .. الذي غذيناه بدموعنا، واصبح جزءاً من حياتنا، لأننا نحن الذين صنعناه.

قد يكون من السهل على دولة ــ مثلا ــ حين تقرر مصيرها حين تختار اتجاهها السياسي ان تتخلى عن الاتجاه المغاير

ولكن الانسان ؟

كيف يتأتى له ان يتخلى ؟..

إن من اسباب صراع الشخصية الانسانية مع ذاتها انها لا تستطيع التخلي بسهولة فلا تنفك الافكار الجديدة التي تغزو عقل الانسان، والاشخاص الذين يتسللون الى قلبه وعاطفته يتصارعون مع الميراث القديم الذي استحوذ من قبل.

لقد قررت مصيري، واخترت طريقي.. وبنفس الشجاعة التي دفعتني لتحقيق هذه الامنية سأنتصر على الماضي.

سأفرغ له مكاناً خلفياً في قلبي أهدهده فيه، وأستمد منه القوة لمواجهة الحياة الجديدة.. الحياة التي ارتضيت ان اعيشها..

ومعذرة لعواطفي فالذي يختار لابد ان يتخلى ؟..

تعبير ومسؤولية

ان عملية التعبير بالنسبة للكاتب كعملية الوضع للحامل سواء بسواء.. تمر به تجربة من تجارب الحياة، او تقذف به الظروف في موقف من المواقف، فإذا بالتجربة تنمو في ذهنه، واذا بالموقف كالجنين الذي أتم شهور نموه يتمخض في عاطفته ووجدانه ليطلق سراحه، فيرى النور، ويستنشق عبير الحياة.

وما أكثر ما يتصارع في ذهن الكاتب من معان سامية وافكار تافهة، الا انها بالنسبة للكاتب لا تتميز عن بعضها.

قد يكون للمرأة ولد ذميم وولد جميل.. ولكنها تحب الاثنين، وتحنو على الاثنين، وتعتز بالاثنين،.

وكذلك الكاتب بالنسبة لما يكتب.. لا فرق عنده بين الجيد والرديء، وبين ما يوافق ميول الناس وأفكارهم وما لا يوافق. انه يكتب لنفسه أولا. أو بعبارة اخرى تنتابه أزمة لا يتخلص منها الا اذ صارت أسطراً على الورق.

فأنت لا تستطيع ان تجعل من الكاتب آلة تتيح كلاما او افكارا كلما نقرت عليها بأصابعك.

وأنت لا تستطيع ان تفرض على الكاتب افكارا لا تتفق وما يؤمن به من قيم ومثل في الحياة وفي الناس كذلك.

وأنت لا تستطيع أن تجتلب له العواطف التي يتغذى منها قلبه وشعوره واحاسيسه ... نعم قد تثير غرائزه فتستيقظ دوافعه الفطرية، وينزع الى سلوك معين لا يتفق معه كإنسان يسيطر على هذه الدوافع الفطرية ويسمو عليها، ويتحكم في سلوكه ليوافق الوجدان الاجتماعي العام.

ان الحرية هي الرحيق الذي يمتص منه الكاتب اكسير حياته كإنسان. والحرية ليست هي الفوضى.. وهنا تبرز مسؤولية الكاتب.

واذا كانت هذه المسؤولية تفرض عليه أن يكون في الطليعة فإنها نفس المسؤولية التي تدفع به الى الثورة على الاوضاع المتعفنة، خالقاً من عبقريته الطامحة عالماً افضل. يرتاده في خياله ثم يصوره للناس.. وقد يثور عليه الناس ــ وهذا طبيعي ــ ويصفونه بأقبح الصفات وأرخصها ولكنه لا يعبأ بهم ما دامت الآفاق التي يرتادها ــ ولو خياليا ــ آفاقاً سليمة.

ان مشكلة التعبير عند بعض كتابنا انهم لا يفهمون عما يعبرون، ونتيجة لهذه الضحالة الفكرية والعاطفية والشعورية يتخبطون في كتاباتهم بين مختلف الأهواء والمطامع، أو ينزلون بمستواهم الفكري إلى حضيض يسف بهم، وبمكانتهم عند القراء.

وارجو ان يظل قلمي بمبعدة عن هذا الحضيض السافل: بالرغم من الاستفزازات القذرة.

العشاء الأخير..

كانوا اربعة

هي ، ووالدتها وعمها وهو

وكان قد مضى على آخر اجتماع لهم عامان كاملان.

واثناء العشاء قالت له السيدة والدتها

ـــ ليتك لم تأت.

ونفرت هي كالغزال الشارد وقالت، وفي عينيها اكثر من سؤال:

ـــ لماذا ؟.. لم أعتبره غائباً ابدا.. ويخيل لي ان السنتين المنصرمتين لم تكونا سوى ليلة أو بعض ليلة.

ونظر هو اليها في استغراب، وقد خيل اليه انها تستهين بالليالي الطويلة التي عاشها بعيداً عنها.. سوى هذه الرسائل التي يحملها البريد من وقت لآخر منها اليها، ومنه اليها:

كانا يحرصان في رسائلهما على ان يتجنبا الحديث عن الفراق، وعن الظروف التي تحكمت في مصيرهما، ورسمت لكل واحد منهما خطاً عريضاً في الحياة.. واثقلت ظهرهما بمسؤوليات كان يخفف من وطأتها ما يشجع به أحدهما الآخر، وما يغريه به من ضرورة الكفاح من أجل هذه المثل والقيم التي ألف الناس ان يتحدثوا عنها في اطناب شديد.

وفي بعض الاحيان، كانت تتشكك كثيراً في هذه القيم والمثل، وتبعث له برسائل ملتهبة مستنجدة.. ضارعة، ان يصارحها بالحقيقة، اذا كان ثمة حقيقة.

ما هي القيم ؟..

ما هي المثل ؟

ما هي الاخلاق ؟..

هل هي اشياء لا وجود لها الا في مخيلتنا ؟..

وهل يستحيل ان نخرج بها من دائرة الامكان الى حقيقة الوجود.. الى الواقع ؟

وفي رسالة اخرى قالت له

ان الناس ينفضون من حولي... لاني اتمسك بهذه القيم المجردة... او التي اصبحت اتخيل ــ انا كذلك ــ انها اشياء مجردة

فهل اتنازل عن مبادئي ؟

والواقع اني اعتبر نفسي قد تنازلت عنها، لأني مشلولة... مقيدة لا استطيع تحقيق اي شيء.

الا ترى من حقي عليك ان اطلب منك رأيك ؟

ورفع رأسه من صحن الأكل، ونظر اليها، وقد طاف بذهنه كل هذا الماضي.. فاذا بابتسامتها لا تزال مشرقة، واذا بعينيها السوداوين لا تزال ابتسامتهما تعبر عن اكثر من معنى

وقال لها

ــ انهما سنتان.

ــ اعرف ذلك

ــ ألم تكونا طويلتين.

ــ ولكنهما انتهيا.

ــ ألم يخلفا اثراً ؟

ــ بدون شك

وتكلم عمها، فقال

ـــ انا معها، نحن الذين نعطي للزمن كل هذه القيمة. فنفترض ان له سلطاناً على تفكيرنا، وعلى نظرتنا للاشياء..

وانتهى العشاء

وطالت السهرة واخيراً وقفت تودعه.

وعند الباب قال لها

ـــ آمل أن لا يكون هذا هو العشاء الاخير ؟

وقالت في عتاب

ـــ لماذا هذا التشاؤم؟ انني واثقة اننا سنرى بعضنا قريباً.

ولم يرد عليها، بل صافحها، وتقدم الى السيارة لينزوي في ركنها، بينما وقفت تلوح له بيدها.. وعلى فمها ابتسامة، وفي عينيها دموع.

وانطلقت السيارة تنهب الارض، ولم تستطع الاضواء المترامية على جانبي الشارع ان تثير انتباهه.. كان يخيل اليه انه تجرد عن الزمان والمكان.. واصبح في مكنته ان يختصر الزمن فيجعله يومين.. وان يحدد المكان بالحديقة.. والصالون.. وغرفة الطعام.

ووقفت السيارة عند مكان سكناه..

وقال له السائق

ـــ هل ستزورنا غداً يا سيدي ؟

ونظر اليه نظرة غامضة واجابه.

ـــ غدا ؟. كلا ليس غدا قد يكون ذلك في يوم آخر

المُثل والقيم

منذ وجد الانسان، وصنع لنفسه قيماً اخلاقية، ووضعت له السماء مثلا عِليا، وهو يصارع نفسه برغباتها الجامحة في تحدي القيم والمثل، والانطلاق مع النزعات المتحررة التي لا تجد رجاوتها في غير التمرد على المعاني النبيلة الكامنة في حنايا القلوب، واغوار العواطف.

فهل للقيم والمثل تحديدات منطقية وعملية يتفق الجميع عليها ؟

وهل يعتبر الانسان المتمرد عليهما انساناً بالمعنى الشريف لهذه الكلمة؟

اظن ان البشر — في كل مكان — اصبح لهم من المرونة ما يكفي لاخضاع هذه القيم والمثل وتكييفها مع الظروف حتى ليحار الانسان في تعليل وجود فرد واحد — من بين ملايين البشر وملايينهم ومئاتهم وعشراتهم وافرادهم — لا يزال له من بعد النظر ما يجعله متفائلاً ما يدفعه الى التمسك بما يعتقد انه حق وانه فضيلة، وانه خير، وأنه مثل، وان قيم..

لقد اصبح من السهل على اي دجال، أو مشعوذ، ان يدعي انه يدافع عن هذه الفضائل الانسانية.. وكان لتعقيد الحضارة الحديثة، ولهذا الصراع الذي اصبح يمتاز به فرد عن فرد، وجماعة عن جماعة ودولة عن دولة، اثر في تكييف هذا التمزق، وازالة كل ما كان يستره من زيف.

اني لأدوخ في بعض الاحيان، حين افكر في هذا التناقض العجيب الذي نعيش فيه. ولا يعزيني سوى اني كلما خلوت بنفسي اجدها لا تزال تؤمن بهذه الفضائل.. تؤمن بالصداقة رغم الطعنات التي توجه لي من اقرب الاصدقاء.. وأؤمن بالخير، رغم الشر الذي

اجده اينما وليت وجهي.. وأؤمن بالحب، رغم البغضاء التي تستر نفسها بالابتسامات الصفراء، والضحكات المفتعلة.. أؤمن بها قيماً، لاننا حين ننزل بها بهذه الفضائل الى سوق المساومات تفقد مثاليتها، وتصبح شيئاً مادياً لا يصلح للاستعمال الا بمقابل.. قد يكون هذا المقابل نفاقاً، وقد يكون جحوداً، وقد يكون غير هذا وذلك من هذه الرذائل التي تغرينا ببريقها.. فإذا فحصناها وجدنا انها مزيفة.. وما أتعس الناس حين تكون حياتهم مزيفة، وفضائلهم مزيفة، ومبادئهم مزيفة.

منذ خمس سنوات

في مثل هذا اليوم من سنة 1952 غادرت المغرب الى مصر

كان الصراع على ضرواته بين الوطنية والاستعمار .. بين شعب يريد ان يتحرر، وان ينطلق مع الاحرار، وبين اكتساح استعماري يريد ان يزيد في قيودنا، وليحول بيننا وبين الحرية.. وبيننا وبين الانطلاق..

واستمر الصراع يأخذ مظاهر متعددة حتى انتهى بانتصارنا.. بعد معارك وطنية خلفت لنا انقاضاً من الترمل.. واليتم.. والازمات.. والمشاكل.. والدموع.

ولكنها خلفت لنا كذلك الحرية التي ستحوّل الدموع الى ابتسامات

غادرت المغرب في ظروف تجمعت فيها كل قوى الشر لتجهز على كل المقدسات التي يعتقد فيها الشعب، ويدافع عنها.

ورجعت الى المغرب، وما كنت اعتزم الرجوع اليه.. وحتى الآن لا ادري لماذا رجعت.

واذكر ان الصديق عبد المجيد ظل سبعة اشهر في السنة الماضية يقنعني بالعودة فلم اقتنع.. وفجأة وجدت نفسي اغادر مصر التي احببتها.. والتي سأظل احبها.. بوحي من هذا الحب كتبت انقد الذين يريدون ان يفسدوا علاقتنا بمصر.. وان يشككوا اخواننا المصريين في استقلالنا وعروبتنا، ليجدوا مجالا للجعجعة والتهريج.. وكتبت انتقد الذين يغيرون علينا هذه الغيرة المصطنعة.. الهزيلة. وسأظل دائماً بالمرصاد ضد الذين يحاولون ان يعبثوا بهذه العلاقة سواء من هنا او هناك.

ان مصر كافحت بجانبنا، وايدت كفاحنا، وآثرته على بعض مصالحها.. وهذا عمل يوطد ما بيننا.. ولكن من مصالح علاقتنا معها ان تكون مبنية على الفهم الواعي لمشاكلنا نحن الاثنين.

وفي كل ازمة مرت بمصر كنا معها.. بقلوبنا، وامكانياتنا..

ناصرناها دون ان نسمح لانفسنا في مناقشتها.. او التدخل في شؤونها.. لأنها منا ونحن منها.. ولانها ادرى بمصالحها من اي احد، وكل عمل تقدم عليه لا ننتقده لاننا لا نراه بأعينها. كما ان كل سياسة يمكن ان ننهجها فسنستوحيها من مشاكلنا الخاصة، ومن ظروفنا، ووضعيتنا.. وضمن الاطار العربي العام.

منذ خمس سنوات غادرت المغرب.

ومنذ تسعة اشهر رجعت اليه

ولست ادري اكان ينبغي ان اعود ام لا ؟

وحين رجعت هل حققت ما اريد، او بعضاً مما اريد ام لم احقق شيئاً ؟..

لست ادري ؟

الألم ..

ماذا يكون طعم الحياة لو خلت من الالم ؟..

وكيف نشعر بهذه اللحظات من السعادة التي تمر عابرة في حياتنا كنسائم الصيف، لو لم يخزنا الألم بحرابه الحادة المسنونة بين الآونة والاخرى ؟

ان الالم هو عنصر الحياة في تكويننا، وما صرخة الوليد عند ميلاده الا تعبيراً عن هذه الحقيقة.

نصرخ متألمين حين تقذف بنا الارحام الى الأرض، لو كنا نملك وسيلة للتعبير غير الصراخ عند الولادة لاحتججنا بها على الوجود

وأي وجود هذا الذي نعيشه بعد الولادة ؟

لماذا وجدنا، ولماذا سنعدم ؟

ما هي الحياة، وما هو العدم ؟

يقال ان الحياة هي انتفاء العدم والعدم هو عدم الوجود.

تعريف تافه انهك البشر عقولهم في تحليله، ومع ذلك لا فائدة.. وسيظلون ما شاء الله ينهكون عقولهم في هذه التفاهة العلمية، التي لا تنفي اننا وجدنا بقضاء وقدر.

وهذا لباب المأساة

ولعل اللحظات التي تعقب الولادة هي الحقيقة الوحيدة التي يجب ان يعترف بها العلم، وان تقر بها الفلسفة.

لحظة الصراخ لحظة الاحتجاج لحظة الالم

وما بين لحظة الاحتجاج عند الوجود، ولحظة الاختناق عند العدم، ليس سوى مرحلة يتجسم فيها الشذوذ البشري بكل نقائصه

ورذائله، نبرره تبريراً لا ينسجم ــ غالباً ــ مع الهدف الذي خرجنا بسببه من العدم الى الوجود ــ اذا كانت فترة النمو والتكوين في الرحم لا تعد وجوداً ــ

وما تطور الحياة البشرية الا نتيجة الاحساس بالألم، والرغبة في التغلب عليه.

ومن هذا الاحساس وجدت الاكتشافات العلمية وتحققت هذه الحضارة العاتية التي تجد نفسها الآن عاجزة عن الانتصار على الالم ..

ومع ذلك يوجد في الناس من يتفاءل في بلاهة.. ولو اختلى كل بنفسه، وواجهها بدون مغالطات، لتأكد من ان عنصر الحياة هو الالم، ولحرص اشد الحرص على اللحظات السعيدة العابرة التي تمر في حياته كنسائم الصيف.

دخان الماضي..

طرق الباب في رفق، وعرفت من الطارق، فقد تعودت هذه النقرات الخفيفة الهامسة منذ ان كنت في القاهرة، ومنذ ان توثقت الصداقة بينه وبيني

وما كدت افتح الباب حتى قال الصديق عبد المجيد

ــ اشم رائحة قلوب تحترق ؟

ــ انها اوراق فقط

ــ لا اراك الا تكتب اوراقاً او تمزق اوراقا اخرى.

ــ ليس باختياري.

والتقت عيناه بعيني ..وسكتنا.

لقد ألفنا خلال الاربع سنوات الماضية ان يكشف كل واحد منا نفسه للآخر، وتعمقت صداقتنا فأصبح التفاهم بيننا في غير حاجة الى كلام..

واخرج سيجارته، وراح ينفث دخانها في الفضاء، ومن خلال الدخان وصلني صوته الهادئ يقول

ــ هل يعني حرق الأوراق ان رواسبها قد زالت ؟.

ــ انها اوراق تافهة تراكمت لتهاوني.

ــ تخدع نفسك   ليس بمثل هذه السهولة ينظف الانسان ادراجه.. ان قلبك ليس درجاً من الخشب تزيل منه ما تشاء وتملأه مما تشاء.

ــ وما دخل القلب في الموضوع؟.. انك تعطي المسألة أكثر مما تستحقه.

ــ لا أظن، لكن ألم تترك هذه الاوراق اثراً في نفسك؟

ــ وهل من الضروري ان يترك مثلها اثراً ؟

ــ دائما تجيب على سؤالي بسؤال آخر.

ــ بدون قصد.

ــ تحرق الماضي وهذا هو موطن غرابتي لو تخلص كل واحد من ماضيه لأصبحت حياتنا تافهة.

ــ او لأصبحت أكثر واقعية.

ــ بالنسبة لك ؟

ــ ولغيري

ــ خذ

وناولني سيجارة واشعلتها وسكتنا.

وقام الصديق عبد المجيد، وفتح (الفونوغراف) ووضع فيه اسطوانة، سرعان ما طغت انغامها على اصواتنا الهامسة..

وانتهت الاسطوانة، ومن غير ان ينظر الي قال

ــ اذكر يوم كنت تذهب الى (مكتبة الفن) في القاهرة وتقعد في الحديقة مع تماثيل (مختار) لتستمع الى هذه الموسيقى ؟

ــ نعم اذكر ذلك، وكأنه يحدث اليوم.

ــ فهل اذا حطمت الآن هذه الاسطوانة، ستحطم ذكرياتك، ستمحو من ذهنك ايام مصر ؟.

ان الماضي جزء من تكويننا العقلي والنفسي فإذا حاولت تحطيمه، فانك انما تمسك المعول لتحطيم نفسك.

ــ أني مؤمن بكل هذا، ولكن يمتعني ان اشاهد دخان الماضي يحترق كما احترق الآن.

وقمت اتم احراق اوراقي.

نحنُ وَالزّمن

اينا الحقيقة واينا الخيال ؟.
نحن البشر ام الزمن ؟
من الذي يلتهم الآخر نحن ، أم هو ؟
انا نقول

مضى من الزمن كذا من الوقت، وكذا من السنين.. معنى هذا اننا مستمرون.. دائمون.. وهو الى.. فناء، وموت.

واذا كان هذا الفرض، او الاحتمال صحيحاً، فإن حياتنا اذن ذات قيمة، لها هدف تسعى اليه، ان لم يكن السيطرة على الزمن وقهره، فانه فرض الوجود.. وتأكيد هذا الوجود.

وكل واحد يطمح لتحقيق وجوده بوسيلة او بأخرى.. تماماً كما تصنع الدول، حين يذهب الطغيان ببعضها الى ان تعتقد انها اصبحت محور الحياة.. لا حركة ولا سكون، الا ما كان صادراً من هذا المحور.

وحين يذهب الفناء ببعضها الى ان تصبح خيطا رفيعاً جداً، يتنازع دونه هذا المحور او ذاك.

الانسان.

الزمن.

قوتان مخيفتان بما تبعثان في النفس من جلال، وما توحيان به من معاني الصراع الابدي بين الوجود واللاوجود.. بين الممكن والمستحيل.

الانسان يمني نفسه بامكانية السيطرة على هذه القوة العاتية..
الزمن

والزمن دائب الاصرار على قهر امكانيات الانسان..

ترى لو لم يكن بينهما هذا الصراع، اكانت الحياة تلذ لنا؟

لو استطاع الانسان مثلاً ان يقهر الموت.. وينتصر عليه.. ماذا كان مصيرنا ؟ وماذا يكون طعم هذه الحياة التي لا تفنى ؟..

ان احداً ولا شك لو خير في حياة دائمة لرفض هذه الحياة.. وآثر عليها سكون الابدية، وهدوء العدم.

لان الموت هو عزاؤنا الوحيد في عالم افضل.. في دنيا جديدة نعلل انفسنا بها عن هذا الواقع المرير الذي نصارع فيه حتى انفسنا، وكان يجب ان نسالمها ونهادنها.

ان الموت ليس عدماً.. لهذا لا اخافه، وان كنت لا احبه.

ليس عدماً، لانه نتيجة الحياة

ولا اخافه لاني لست واثقاً من ميعاد زيارته.

ولا احبه لانه سيفقدني اشواق الماضي، وحيرة الحاضر.. وآمال المستقبل.

ونحن حين نتجرد من الشوق والحيرة والآمال.. نتجرد من خصائص الانسان، ونصبح شيئاً تافهاً..

ولا أحب ان اكون تافها.

حضارة الطين

اهداني صديق مجموعة من الاسطوانات للموسيقى الراقصة التي غزت قلوب الشبان والفتيات في كل الدول.

وقضيت ساعتين استمع الى الروك اندرول، والمامبو، وسواهما من هذه الاسماء التي لا اذكرها

قضيت الساعتين في ذهول عن نفسي وعما حولي ان في هذه الموسيقى شيئاً جديداً.. شيئاً لا يقره دعاة الاخلاق.. والمحافظون على الرزانة والوقار، لان كل نغمة نداء منهوم، وكل كلمة صرخة جائعة، تتمطى فيها النبرات وتهتز المفاصل في جموح متحفز، تريد ان تنطلق ان تقذف بوعي الانسان الى الفضاء ليضيع مع الصراخ والضجيج والنواح.. ليحيا دون وعي، ودون تفكير.

كانت الانغام تنمحي في دوائر الاسطوانة، ولا املك الا ان احرك رجلي، حركات لا ارادية .. لم اعرف مدى احساسي بدلالاتها؟

هل تعبر عن تجاوب عميق في نفسي ؟

ام انها مجرد انسياق مع الانغام الثائرة.. الملتهبة ؟

قد يكون هذا وقد يكون الباعث على هذه الاهتزازات الجسدية دافعاً آخر.. ولكنك لا تملك السيطرة على حواسك.

والشيء الذي يدعو الى مزيد من الاهتمام بهذه الموسيقى، هو انها مستوردة من بلد واحد هو امريكا

فلماذا امريكا بالذات ؟.

لقد فشلت كل المحاولات التي بذلتها بعض الدول لمنع تسرب ما سمته (بالسرطان) سرطان الروك أندرول.

ففي باندونغ تدخل البوليس لفض المظاهرة التي دبرتها 31 منظمة من منظمات الشباب ضد الرقصة الجديدة.

وفي الملايو اعلن احد علماء الدين ان نسبة الطلاق زادت بسبب الرقصة الجديدة المجنونة.

والذي اعتقده ان هذه الرقصات الجديدة انما تعبر عن روح العصر..

عن القلق الذي يفتك بالعقول والقلوب

عن الخيبة المريرة التي مني بها شباب هذا العصر

عن الفشل الذي قذف بالانسان الحديث الى مفازات سوداء تنهش القيم التي كان يحلم بها.. وتهوي بمعاولها على العالم المثالي الذي نشيده بين جدران المدارس، وصفوف الجامعات.

مسرحية غير مكتوبة

ما ازال شغوفا بالأدب المسرحي، لانه اقرب الفنون الادبية الى واقع الحياة في مختلف الازمان والعصور، والصقها بحياة الناس فيما يأخذون من هزل الحياة وجدها وما يذرون، ذلك ان الانسان ممثل بطبعه وبتطبعه باصالته وتقليده، وانما يختلف الناس في مدى اتقانهم للتمثيل أو فشلهم!.

ولعل ما اقراه من مسرحيات غير مكتوبة ولا منشورة اوفر غنى، واصدق تعبيرا، واقرب الى واقع الناس من تلك التي ينسجها فكر مبدع، او خيال كليل !.

والمسرحية التي أقرؤها في هذه الايام كل واحد من شخوصها يعتقد انه البطل، وانه محور الاحداث، ذلك ان عبقرية المؤلف تتجلى في انه مزج في مسرحيته بين الاصول الفنية للمأساة الكلاسيكية المقيدة بوحدة الزمان، ووحدة المكان، ووحدة الموضوع، وبين الاصول الفنية للملهاة التي ورثت امجاد المسرح الكلاسيكي و لم تتقيد باصوله وقوانينه، فكانت مزيجا غريبا لا لون له، ولكن له موضوع!

أم البنين

ام البنين غير راضية علي، وهي تخفي عدم رضاها بعتاب الاولاد، نصف زينة الحياة الدنيا التي منحنا الله، اما النصف الآخر فقد عوضنا عنه بالرضى والاطمئنان وبالباقيات الصالحات.

قالت ام البنين

ان الاولاد عاتبون عليك، فقد حجبتك عنهم الاخبار والانباء، والاذاعات والصحف، ولم يعد لهم من اوقات فراغك من نصيب، حديثك لهم بالهمس، وكلامهم معك بالاشارة، كي لا يفوتك خبر، او يضيع منك تفكير.

وقلت لأم البنين

لقد عصمني الله بك من الضياع، وعوضك من شغلي بالأولاد، واني بك لفي نعمة، وبالاولاد لفي فتنة، فعسى ان تكون نعمتي اقوى من الفتنة، وسكنى اقرب للرحمة، حتى لا يتسع العتاب وينقلب الى نقمة.

وسكنت ام البنين راضية مطمئنة، وتحلق الأولاد من حولها يضجون، واعطيت للضجيج اذنا غير صاغية، وانصرفت لشؤوني والشجون.

الثورة الثقافية

يقولون ان في الصين ثورة ثقافية، تحولت الى فتنة يقودها الايفاع والفتيان، ضاق بهم الناس وضجوا، فما وجدوا منقذا ولا نصيرا.

ويقولون ان ما يجري في الصين ليس ثورة ثقافية، وانما هو عبث صبية يلهون ويلعبون.

ويزعمون ان الايفاع والفتيان، يمزقون الكتب، ويكسرون الاسطوانات، استهزاء بالتراث الانساني في مجالات الفنون والموسيقى لان كل ذلك رفاهية الطبقة البورجوازية، التي لا مكان لها في مجتمع البروليتاريا التقدمي.

واربا بنفسي عن تصديق كل ما يقال انه يحدث في البلاد ذات السبعمائة والخمسين مليون من الناس، لان الثقافة ليست فتنة، ولان التقدمية ليست رجوعا بالانسان الى عصور الجاهلية الاولى، ولأن الثورة لا تحتاج لتهور الصغار، وانما تعتمد على رزانة وحكمة الكبار، وماوتسي تونغ ليس انسانا جاهلا، لان الجهل لا يقود ثورة، فقد يقود فتنة، ولكن ما حدث في الصين منذ عشرين سنة لم يكن فتنة، وانما كان ثورة حررت ملايين الناس من الافيون، والحشيش والضياع.

ماوتسي تونغ الشاعر، العاشق، الذي كان ينسى انه قائد ثورة في بلاد عريقة الاصول الحضارية، فيخلو في الجبال والكهوف والادغال بحبيبته يسكب في اذنيها اروع الشعر واجمله، ويحدثها عن ماضي بلاده وامجادها.. وفي امسيات اخر، حين يرهقها المسير، وحين يحط رفاق المسيرة التاريخية ارحالهم، يسري عنهم البطل فيحدثهم تارة عن الفن المعماري، وتارة عن فن الرسم، وطورا عن الموسيقى.

هذا الانسان لا يمكن ان يقيم نهضة بلاده على انقاض التراث الانساني عبر الاجيال والعصور. ان ما يحدث هناك شيئ غامض، وما ينقله الرواة يصعب تصديقه، وللمصالح السياسية قدرة عجيبة على المبالغة والاختلاق.

دفاع عن الشريعة

قبل ان يتفضل الرئيس الاستاذ علال فيهديني نسخة من كتابه، «دفاع عن الشريعة» قرأت تعليقات ضافية عن الكتاب في صحف عراقية ولبنانية، ولقد تملكني العجب ان تردد صحف اقطار عربية صدى الكتاب، ولا تتعرض له جريدة في المغرب بالتعليق والتحليل، وازداد عجبي حين علمت من عدد من المكتبات الاقبال الذي لقيه الكتاب، حيث اوشكت طبعته الاولى على النفاد، و لم يمض على نشره سوى شهر واحد. وذلك ادعى للتعليق والتعقيب !

ولقد ارتفع الاستاذ علال بكتابه هذا الى مصاف كبار المفكرين الاسلاميين الذين لا يقفون امام تحديات العصر الحاضر موقف المتردد او المتهيب، بل يندفع بايمانه وعلمه، وفكره المتبصر، ليحلل ويقارن ويستنتج.. ويجتهد، وتلك ميزة من ميزات العقل الصافي الذي لم تؤثر فيه التيارات الجارفة التي شلت حاسة الابداع لدى كثير ممن تصدوا للدفاع عن الشريعة الاسلامية، او وقفت بهم في منتصف الطريق مخافة اتهامهم بالجمود والرجعية حيث تمكن الاستاذ علال من جعل هذا الاتهام نقطة انطلاقه في معركته الاسلامية ليواجه خصوم الفقه الاسلامي، وليفسد بالمنطق والمقارنة والاستنتاج جميع الاسس التي اقاموا عليها دعاواهم في وصم الشريعة بالتخلف عن مقتضيات العصر الحاضر، وعن تطور قوانينه وسنن الحياة فيه، لان الاسلام ليس دين العمل للآخرة فحسب، وانما هو دين الحياة ودين الآخرة، ان الاسلام عقيدة وشريعة، ولذلك «لا يقبل منا ان نكتفي بالايمان بالله ونصلي ونزكي ونقوم بالحج والصيام وفعل الخيرات، ولكنه يطالبنا بان نفعل ذلك ونفعل معه تطبيق احكام الشرع في معاملاتنا وفي قضايانا وادارتنا

وحكومتنا «ان الاسلام لا يقول بعلمانية الدولة كما فعلت بعض الدول الاسلامية والعربية.

ان كتاب دفاع عن الشريعة دليل جديد على نبوغ المغاربة في تحليل الفكر الاسلامي، والدفاع عنه. فعسى ان يجد الكتاب ما هو جدير به من قراءة متمعنة، واقتداء سليم.

العلم 1969

فولكلور

بودي أن أعرف الحالة المدنية والاجتماعية للسيد الفاضل الذي يقدم على الشاشة الصغيرة برنامجاً قال انه يمثل الفن الشعبي ويقدم لمتبعي التلفزيون نموذجا رائعا من الفولكلور المغربي، ثم شعر هذا السيد المحترم بشيء من الحرج والخجل والتردد وهو يقدم لنا ما سماه برقصة محتشمة لا يأنف المرء أن يشاهدها مع أهله وأولاده — كما زعم لسانه — وانزاح الظلام عن الشاشة الصغيرة على مناظر — لا أراكم الله مكروها — تخدش الفضيلة، وتثير كل ذي ذوق سليم، أجسام مكتنزة العجائز، منتفخة البطون، كأنها تشد إلى جنباتها قربا ممتلئة، توشك أن تقع من شدة ما تحمل من لحم مترهل وشحم مكتنز، تهتز أكراشها وتكرع سيقانها على نغمات رتيبة تنفر وعي الصحو، وتغرى بالاسترخاء البليد. أو بقذف الجهاز بما تصل إليه اليدان.

لو كنا سواحا نتفرج على مخلفات البدائيين الذي لم تصقل أذواقهم حضارة، ولم يقوم سلوكهم دين، ولم ترهف أحاسيسهم أخلاق، وكان مقصد السيد المحترم مقدم «الحلقة» أن يرفه علينا ولو بالبذاءة والعهر، لالتمسنا له العذر، ولكننا لسنا سواحا، ولم نسف بعد إلى هذا المستوى من الانحطاط الذوقي والفني.

لو كنا سوائم بشرية، وحيوانات لا تستجيب الا لنداء الغريزة، وسواء الجنس لطلبنا إثارة حسية فيها فن وذوق وإغراء. ولكننا لسنا سوائم وحيوانات، وإنما نحن بشر هذبت الحضارة والدين والأخلاق غرائزنا فنطمح لما تنفعل به عواطفنا، ويسمو به ذوقنا، ويثري أحاسيسنا من آداب وفنون، وفي تراثنا البربري والعربي والانساني ما يفعل كل ذلك ويزيد، لو كان لبعض المشرفين على هذه الفنون حس مرهف ووجدان سليم.

الفنون الشعبية ليست هزة بطن، وارتعاشة جفن وغنج حواجب، والا لبحثنا عنها في الكباريهات المعتمة، وفي الحواري المظلمة، لا في منازلنا، وهي حصون الاخلاق والفضيلة، ولا في اجهزتنا الاعلامية، وهي منابر توعية وتسلية وتثقيف.

العلم

تصريف الأفعال

لعلنا من ابرع الشعوب المتكلمة باللغة العربية في معرفة القواعد النحوية والصرفية لهذه اللغة، وبراعتنا اغرت كثيرا من مؤرخي الادب على الزعم بان وضعنا الجغرافي والاجتماعي صدنا عن النبوغ في الادبيات، واهلنا لنكون نوابغ الفقه والنحو والصرف.

واذا كان هذا الزعم صحيحا، فاخشى ان تكون عبقرية المتأخرين منا تتجلى في تصريف بعض الافعال، في مواسم وفصول معينة، فتتردد مشتقات هذه الافعال على السنة الناس جميعا، في الادارات والمقاهي، وفي المتاجر والمعامل. وفي السهرات والمنتديات.

ولبعض الافعال جاذبية خاصة لدى الناس، فلا تكاد تنسى، حتى تثار من جديد. واذا هي حديث المجالس، يسامر الناس بها بين طامع متطلع، وحزين يتألم، ومتشوف يترقب، ومتخوف يتهيب، يثيرها الحرمان كما يثيرها الجشع. عند بعض الناس وسيلة فيما يرغبون، وعند سواهم غاية لما يطمحون، وهي لغير اولئك وهؤلاء مبرر لدفع السأم، وتزجية الفراغ وطقطقة الاحناك.

اذا اصبحت الفيتها حديث الجرائد، واذا اضحيت وجدتها ملتقى الاحاديث واذا امسيت رأيتها اطياف استرخاء، واحلام نوم، تريح اعصاب قوم، وتزعج اطمئنان قوم آخرين.

بعضهم يريد تصريفها أملا في التعديل، وغيرهم لا يريد تصريفها خوفا من ان تعدل بهم، وبين اولئك وهؤلاء طائفة لا خبرة لها بعلم تصريف الافعال، ولكنها ترجو تصريف الاحوال.

29 يناير 1944

قرأت اليوم ما حرصت على جمعه من اعداد «العلم» صدرت اثناء انشغالي عن مقالاتها وابحاثها باجتماع لجنة التوفيق الافريقية في مدينة طنجة، وكان معظم ما نشرته العلم في تلك الفترة مرتبطا بحوادث يناير 1944 حين هب الشعب يطالب بالاستقلال، ويعيد الكرة على صورة عنيفة مع المستعمرين، وتتلقى اجساد المواطنين ما قدر لها من رصاص استشهد به كثيرون فداء للوطن واعزازا له.

وكم اتمنى لو تتاح لي فرصة من الوقت أفرغ فيها الى ذاكرتي، واستخرج منها ما التقطته من صور وأحداث لايام فاس في شهر يناير 1944.

فمعظم ما قرأته اليوم عن احداث ذلك الشهر كان مناظر متقطعة ينقصها الربط والدقة والوضوح، واذا كنت في ذلك العام ما أزال اعثر في نهاية طفولتي العابثة فان غيري من الراشدين ـــ ايامئذ ـــ ما يزال قادرا على تسجيل احداث ذلك الشهر الذي تحول الى رمز شاهد على عراقة التمرد على العبودية لدى الشعب المغربي.

ان الصور تتداعى في مخيلتي عن اناس عرفتهم تلك الايام واعرف بعضهم اليوم، ولكن كثيرا منهم طوتهم كثبان النسيان، عندما تظاهروا تأييدا لوثيقة الاستقلال كانوا يعلمون ان المطلب عزيز، والقوة غير متكافئة، ولكن ريح الحرية حين هبت عليهم استشعروا انهم اقوى من مستعبديهم منهم محمد الشاوي النجار في الحدادين، وعبد الرحمن فارس الدباغ في جرنيز، والتهامي الفيلالي الخراز في الصفارين، وبائع الحلوى في الشماعين نسيت اسمه، ولكن صورته والدماء تنزف من وجهه ونحن ذاهبون به من باب القرويين الى الضريح التيجاني ما

تزال رائحتها تضمخ خياشيمي، وسوى هؤلاء ممن كانوا ممددين وراء ستار من الحصر في ساحة الضريح يئنون في نشوة من الالم، والدماء تنزف اجسادهم... وصاحب فرن درب الطويل الذي هزته اصوات المهللين والمكبرين، فحمل عصي الفرن وتركه، وشرع يوزعها علينا لنصد بها بنادق افراد الفرقة الاجنبية...

وعشرات الصور البطولية التي يوشك جيل الخنافس والميني جوب والستيريوهات اي لا يعرف عنها شيئاً، واخشى ان يتحول الى جيل يستهين بآبائه وأجداده لانه لا يعرف ان هؤلاء الاجداد والآباء هم الذين صنعوا حاضره بالتضحية والبطولة والفداء.

فحتى ينصف الآباء انفسهم، فيسجلوا هذا التاريخ لاولادهم واحفادهم عساهم يعتبرون ؟..

العلم يناير 1966

في ربوع الأطلس

عندما تغيب الشمس غن مدن المغرب وقراه، وتهدأ الحركة، وتلفظ المقاهي مروجي الاشاعات، ومصرفي الافعال، لا تجد اماك مسرحا او ناديا، وانما تتحرك قدماك الى بيتك.

وفي بيتك لا تجد مكتبة فيه تشغل فراغك بما يفتح الذهن، وينمي ملكات الادارك، ويوسع آفاق المعرفة، ويربط تفكيرك وعاطفتك بتفكير وعاطفة ملايين الناس المنتشرين في انحاء المعمور.

في بيتك أنت مرغم ــ ان لم تكن من هواة القراءة، أو هواة لعب الورق أو هواة نبش حياة الناس ــ على الاستماع الى الراديو ان ملكت جهازه، أو مشاهدة الشاشة الصغيرة ان استطعت شراء جهازها.

ومن هنا كان لهذين الجهازين دورهما الخطير في تسلية المرهقين، وتوجيه المواطنين، وملء فراغهم بما يفيد، فهل كثير علينا ان نطلب من المشرفين على الاذاعة والتلفزة تقدير تبعات الحمل الذي ناءت به ظهور سبع وزراء او نواب كتاب الدولة، وسبع مديرين خلال عشر سنوات؟.. فقد بذلوا جميعا من جهدهم وكفاءتهم وحسن نيتهم بالقدر الذي يستطيعون لتكون هذه الاجهزة في مستوى الرسالة التي يراد منها ان تؤديها للدولة والوطن.

كذلك، هل كثير علينا نحن المستمعين والمشاهدين أن نضيق بجوانب الضعف في هذه الاجهزة، فننبه اليها، بالقدرة التي نملك والجهد الذي نستطيع، عساها ان تصير منابر توعية وتسلية وتثقيف؟...

هل كثير علينا ان نمارس حقنا ــ بالحجم الذي نؤدي به واجبنا

ـــ في النقد وابداء الرأي مع استمرار تقديرنا لمعظم الذين يشتغلون في الاذاعة والتلفزة على اختلاف مساهمتهم ومستوى مسؤوليتهم.

بعد هذه المقدمة، ولعلها أطول مما أردت لها ـــ أعود الى الحديث عن برنامج «في ربوع الأطلس» الذي شرعت التلفزة في تقديمه كل يوم أحد منذ أسبوعين، وسأكون حسن الظن بنية ودوافع الذين يعدونه، ويستقدمون راقصاته وراقصيه من أقاصي سكناهم، واعتبر عملهم خالصا للفن ولاهدافه!

انهم يقدمون ما نشاهد وما نسمع على انه «فن شعبي» او كما يسمونه «فلكلور مغربي»، والفولكلور كما لا احتاج ان افسر كلمة اطلقت في اواخر اربعينيات القرن الماضي على مجموعة العادات والتقاليد والحرف اليدوية والخرافات والاساطير، والفنون لدى شعب من الشعوب.

والغناء والرقص الجماعي من أبرز هذا التراث الشعبي، وهو يتطور ويتقدم حسب ما تدخله عليه الاجيال من اسباب التطور والتقدم، فيزدهر حين تكون الشعوب آخذة بسبيل الازدهار، ويتكمش ويتخلف ويسفل ويسف حين يصيب الانكماش والتخلف والسفالة والاسفاف سلوك وتفكير الناس.

وعنيت النهضة الحديثة في أوروبا والشرق الاوسط خاصة بالرقص الشعبي فادخلت عليه مقاييس وأساليب التطور والنمو، حتى صارت أبرز الفنون وأسماها لدى هذه الشعوب وأصبحت دراسات علماء الآثار، والباحثين عن مخلفات الماضي مراجع أساسية لعلماء الاجتماع يدرسون من خلالها اخلاق الشعب وعاداته وتقاليده.

ومن تتبع التطور الذي صاحب الرقص الشعبي سواء كان فرديا أو ثنائيا أو جماعيا تكشف لعلماء الاجتماع ومؤرخي الفن ان هذا الرقص لم يكن أبدا فن خلاعة وميوعة وجنس، على نحو ما قدم الينا.

وقد آن الأوان لنفرق بين الرقص الشعبي المعبر، وبين الخلاعة التي كانت تقدم في حفلات المراقب المدني أو العسكري، للترفيه عنه وعن زواره، فالتحريف الذي أدخل على فنونا قصد الاساءة اليها، يجب ان يقوم، ليعود فننا الشعبي الى منابعه الصافية، وأصوله السليمة.

واذا كان تقويم السلوك، وكبح جماح الغرائز، وتوجيه النشئ نحو الافضل والاسمى يتعثر خارج البيت، فلمصلحة من يراد الانحلال والتفسخ ان يغزوا الناس داخل بيوتهم، وهي ما بقي في حصانة من أخطارهما ؟...

العلم 1966

بين السياسة والأدب!

من اليسير ان تنفذ الى سريرة أديب، وتتعرف على جزء كبير من تفكيره، ومن العسير ان تنفذ الى سريرة السياسي وتطلع على نواياه وأفكاره، انه ملتزم لاهدافه القريبة والبعيدة، لا يجد من جموح سلوكه سوى المرونة التي تتحكم في اتجاهاته ومواقفه، وأما الاديب، فانه كواجهات المتاجر تستوعب ما فيها بنظرة عابرة، انه واضح الالتزام للافكار والفئات التي اختار ان ينحاز اليها، ويتمسك بها.

تلك هي القاعدة، فاذا عثرت على ما يخالفها اعتبرت ذلك شذوذا في السلوك، وابتعادا عن الخط العام الذي أخذ يسير عليه أدباء عالميون أكسبتهم ظروفهم شهرة مدوية يكاد يغمى عليهم كلما فكروا في البداية كيف كانت، والمصير أين انتهى!

يوم أمس قرأت في صحيفة على لسان السيد ليندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية قوله

«عندما أذهب الى فراشي كل مساء أشعر أنني فشلت لأنني لم أضع حدا للحرب الفيتنامية».

وكل انسان يقر الرئيس الامريكي ــ اذا كان ما نقل على لسانه صحيحا ــ فانا أيضا أشعر كل مساء بفشل السياسة التي تعجز عن وضع حد للحرب في فيتنام سواء كان مصدر هذه السياسة واشنطون، أو موسكو، أو هانوي، أو بيكين.

وكنت لا أشعر بأي اشمئزاز لو سمعت من الرئيس الامريكي ــ ما يدعو الى الاستمرار في هذه الحرب، لان للسياسة مقاييسها ووسائلها وغاياتها، ولكل جانب مسوغ يقيس به مواقفه وسلوكه، ولكن ما يدعو للاشمئزاز والتقزز ان اسمع الدعوة للاستمرار في

الحرب، والتحريض عليها من أديب قامت مكانته الادبية على مواقفه في الدفاع عن الانسان البسيط، الانسان العامل، الانسان الفلاح، الذي لا يملك سلطة ولا نفوذا، وانما يعطي السلطة والنفوذ لمن يتفوق على سواه في اغرائه، والسيطرة على عواطفه، ذلك هو الكاتب الامريكي جون شتاينبك.

فمنذ شهر سافر شتاينبك الى فيتنام الجنوبية وشرع في كتابة «تحقيقاته» الصحيفة عن الحرب هناك وأخذ يوجهها كرسائل الى فتاة ابتدعها خياله وسماها اليشيا، وفي احدى الرسائل يقول شتاينبك

«عزيزتي اليشيا، لو رأيت رجلا امريكيا يدعو الى السلام في فيتنام، فأرجوك أن توجهي اليه لكمة في أنفه تحية مني... يجب ان يكون المرء غبيا لكي يكون له ضمير يحول بينه وبين قتل الناس».

ولقد أبنته مجلة «اكسبرين» فقالت

ان جون ايرنست شتاينبك قد مات في فيتنام في نظر جميع قرائه، وأصبح واحدا من ضحايا الحرب هناك»...

صحافة الارتزاق

كلما زرت القاهرة سعيت الى الصديق محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الاهرام، او سعى الي، فقد توطدت علاقتنا، برغم اختلافنا في الحكم على سياسة الحكومات العربية ومواقفها، كل منا يصدر حكمه بوحي من مبادئه وافكاره واعتقاداته، وكل منا تؤثر في تفكيره عوامل بيئته وتكوينه وارتباطاته السياسية والاجتماعية، وما ثبت ان تمكنت الظروف، رغم دقتها في كثير من الاحيان، ان تحول بيني وبينه، بل ان دقة هذه الظروف كانت تدعونا في مناسبات عديدة الى ان يكشف كل منا اوراقه، في محاولة جادة للبحث عن الحقيقة.

نقعد في مكتبه اسأل ويجيب، ويسأل واجيب، ينفعل في جداله، واحتد في المناقشة، ثم نفترق مطمئنين الى ان الانفعال والحدة كانتا من اجل هدف، ومن اجل حقيقة. وعلى كثرة ما تنزلق بعض الاقلام العابثة في الاساءة الى اوضاع البلدين والى بعض قادتها الوطنيين، كان محمد حسنين هيكل يأسف ويعتذر اولا، ثم ينساق مع طبيعته الصحفية، وعقيدته السياسية يبرر كل مقال، وكل نقد من غير ان يحاول اقناعي. لذلك كله احترمه ككاتب، واقدر فيه وفاءه واقتناعه بما يكتب وما يوجه وما يوحي.

وفي الاسبوع الماضي كانت لي معه جولة ابتدأت في مكتبه، ثم استمرت في سيارته، وتوقفت عند مدخل بناية جامعة الدول العربية، وكان موضوع الجولة حرص القاهرة على تقوية علاقتها مع المغرب، وحرص المغرب على الابتعاد عن مزالق الصراع في الشرق العربي، وابعاد هذه العلاقة عن كل ما يسيء اليها، فلكل من البلدين ظروفه ومشاكله، ومن حق الشعبين المصري والمغربي وحدهما ان يختارا من الاتجاهات والمواقف ما يلائم ظروفه ومشاكله، وكان يعتقد

ان المغرب مؤهل ليقوم بدور ايجابي وفعال في تخفيف التوتر الذي يسود علاقات بعض الدول العربية وفي بذل مساعيه الحميدة توحيدا للجهد العربي، وتعبئة لطاقات الشعب العربي لتواجه الخطر الذي يحول بينها وبين التقدم والرفاهية والوحدة، وكان بذلك يعقب على النشاط الذي كان يقوم به السيد وزير الخارجية، والمحاولات التي سعى بها لوضع اجتماع مجلس الدفاع العربي في اطاره الصحيح، حتى تجد قراراته مجال التطبيق والتنفيذ، ولا تبقى حبرا على ورق، وملفات محفوظة في مكاتب جامعة الدول العربية.

ذلك هو محمد حسنين هيكل المسؤول عن المؤسسة الصحفية في الجمهورية العربية المتحدة والموجه لسياستها، وكاتب الصفحة الاسبوعية في الاهرام التي تنقلها وتذيعها الاذاعات ووكالات الانباء ومعظم الصحف في العالم العربي. ولكن يبدو لي ان تعدد مسؤوليته يحول بينه وبين الاشراف المستمر على ما ينشر في الاهرام، فيعمد بعض الحاقدين من غير المسؤولين الى الزج بالاهرام في مواقف لا نعتقد انها تعبر عن وجهة نظر المسؤولين، لان هذا الصنف من الصحافيين الذين تراهم في بعض البلاد العربية يعتقدون ان براعتهم في الطعن، وتفننهم في النقد وقدرتهم على الكذب والاختلاق والافتراء كفيلة بان تقربهم من رؤسائهم، فهم المداحون النقادون، المتملقون المفترون، ولكنهم ليسوا بصحافيين، لان الصحافة هي وسيلة للبحث عن الحقيقة والعمل على نشرها، وليست وسيلة للارتزاق، ولو عن طريق الافتراء، ان الكاتب الذي يبيع ذمته، ويعرض جريدته وبلاده للهزء والسخرية مقابل قنينة عطر مستوردة لزوجته، او ربطة عنق، مستعد نفسيا ليبيع مصلحة وطنه، ويمرغ سمعتها، وما اكثر هؤلاء المرتزقة في العالم العربي مشرقه ومغربه.

العلم 1966

مسرحية ومهزلة

في اسبوع واحد شاهدت مسرحية في القاهرة ومهزلة في الرباط.

في القاهرة، وفي مسرح صغير لا يسع ازيد من مائة متفرج شاهدت في «مسرح الجيب» احدى ثلاثيات الكاتب اليوناني اسخيلوس «اجاممنون» نقلها شعرا الى العربية الدكتور لويس عوض.

ولقد هزني العرض، واخذتني روعة الاداء وشد الممثلون بصري الى شفاههم تنطق باللغة العربية فيستخرجون اعنف المشاعر وارق العواطف من حروف الكلمات، كل حرف بين شفاههم له ايحاءاته في نفسك، وتأثيره في عاطفتك، وسحره في مشاعرك، حتى ليخيل اليك ان المعاني لا تتكون من الجمل المفيدة، وانما من حروف الكلمات التي يحسن الانسان نطقها والتعبير بها.

وحينما تعود الى مأواك ترجو ان تتحرر قليلا من ضغط المشاهد على مخيلتك.

انها احدى روائع الادب المسرحي اليوناني الذي كان منبعا للآداب الانسانية في عهود نهضتها وانفتاحها، لم تنل السنون من اصالتها ماضيا، وستحتفظ بهذه الاصالة في المستقبل.

وفي الرباط، شاهدت في مسرح محمد الخامس مهزلة.. على خشبته الفسيحة وهندسة بنائه وامكانياته الفنية، قدمت مهزلة ضحك المتفرجون من شخصياتها كثيرا، وقهقهوا ودمعت اعين المكروبين منهم، وحاول المخرج ان يستخرج من النص المهزلي، حركة جديدة، فاختلط عليه المسرح بالحلاقي وهو مشكور على جهده، فتلك طاقته وطاقة النص الهزيل بين يديه. ماذا يستطيع انسان ان يستخرج من

نص ساقط الاسلوب، ركيك اللغة، سفيه المعنى، يستحي الشيطان ان ينصت الى بعض غمزاته واشاراته؟ وهل تقدر الاصوات الحادة على التعبير الهامس المشحون بالانفعال؟

فحرام ان يتحمل الفنان العلوي عبء المهزلة، ويضيع جهده الذي بذله عن صدق ليرتفع بعمل غير مهيىء للرفعة.

لا يكفي ان ترصد الامكانيات الضخمة لتدعيم المشاريع الميتة، لان الفشل هو الفشل، والكفاءات لا تصنعها الاعلانات، وانما تصنعها الثقافة والجهد والمران، ومشكلة الفن عندنا انه اصبح له رؤساء ومكاتب.

وبات الفنان طالب عيش يسعى اليه، وليس حامل رسالة يفني في تبليغها ويشجع لأدائها.

العلم 1966

أدبُ المقاومَة الفلسطينية

صدرت وثيقة جديدة من أدب المقاومة في فلسطين المحتلة أخرجتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية، للاديب الفلسطيني غسان كنفاني، المقيم في لبنان، والذي يعد صحفيا لامعا من أسرة تحرير جريدة الانوار.

ويحمل الكتاب الجديد لغسان كنفاني عنوان «الادب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948 ــ 1968.

ولقد احسن المؤلف صنعا حين اكد في مقدمة الكتاب على ان دراسته هذه للادب الفلسطيني لا تعني اكثر من تقديم وثيقة جديدة عن هذا الأدب، فهي اذن لم تعن عناية كاملة بتحليله ثم مقارنته بسواه من الانتاج الفكري في بقية البلاد العربية، مع اعتبار مؤثرات الظروف التي يوجد فيها الاديب الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة، والدراسة الجديدة اذا اضيفت لما سبقها تعد وثائق هامة للقيام بهذه الدراسة التحليلية بعيدا عن الجو الانفعالي العاطفي الذي تكوم حول هذا الانتاج الفلسطيني، وخاصة بعد كارثة حرب يونيه.

والقاء نظرة عاجلة على محتويات الكتاب تظهر السرعة التي كتب بها، والاستعجال الذي تميزت به دور النشر العربية، وفي لبنان بالخصوص، لتعطي للقارئ الفهم المنفعل لكل ما له علاقة بفلسطين المحتلة، والقسم الثاني حلل فيه المؤلف بالسرعة التي يقتضيها العمل الصحفي ما سماه أدب المقاومة، ثم ضمن القسم الثالث نماذج من الانتاج الادبي في ميادين الشعر والقصة والمسرح.

ومشكلة الباحث في الأدب الفلسطيني في العشرين سنة الاخيرة هي مشكلة المراجع حيث لا يوجد منها سوى المراجع الاسرائيلية من كتب ومجلات وجرائد ومنشورات، وكلها تكشف

بشاعة الاحتلال الصهيوني، وممارسته لكل عمل يفضي في النهاية الى تدمير الشخصية العربية، والقضاء على كل مقوماتها لدى الانسان العربي الذي يعيش تحت الاحتلال الصهيوني، كي يذيبه في المجتمع الجديد، بعد ان يقطع كل صلة له بتراثه وتراث أجداده.

والدولة الصهيونية لا تمارس هذه السياسة في السر، وانما تباشر خطة الابادة بكل اصرار، ولا يخفي الكتاب الاسرائيليون هذه السياسة، وقد عبر عنها بوضوح وصراحة أحد كتابهم حين قال:

أعتقد ان الكيان القومي هو فوق كل اعتبار، حتى فوق الاعتبارات الخلقية، وان وجود اقلية عربية في اسرائيل يشكل اكبر خطر عليها اذا لم يكن الآن، وفي المستقبل القريب، ففي المستقبل البعيد، وحتى نحول دون وقوع هذا، علينا أن نفعل كل شيء بشكل لا يثير الاحتجاجات العالمية، علينا ان نتجاهل الرأي العام، علينا أن نقصر خطواتهم، وان نأخذ أراضيهم، وكل عربي ينهي الدراسة الثانوية أو الجامعية، لن نعطيه عملا ولندعه يبحث عن عمل سنة أو سنتين أو ثلاث حتى ييأس، ويفهم أنه لا مكان له في هذه البلاد، وليبحث عن بلاد اخرى».

وهذا الموقف الذي يقفه المفكرون الصهيونيون لتدعيم الدولة العنصرية في فلسطين هو أساس الصراع بين المتطرفين في اسرائيل وبين المعتدلين، أو بين من اصطلحوا على تسميتهم بالنسور، وبين من يسمونهم بالحمائم. ففيما يدعو موشي دايان وأنصاره الى ضم الأراضي المحتلة كلها وطرد سكانها، وتهجير اليهود بكل الوسائل لتعميرها، يدعو الجانب المعتدل الى التخلي عن المناطق المزدحمة بالسكان والاحتفاظ بغيرها.

وسط هذا الظلام المخيف تقف نخبة من المثقفين العرب داخل اسرائيل في حدودها قبل حرب يونيه موقف الاستنفار المستمر لفضح

عنترية الدولة الصهيونية، وكشف سياستها أمام الرأي العام العالمي، رغما عن السجون والمعتقلات، والفصل من العمل، والتهديد الجسمي والنفسي حتى استطاع أدب هذه النخبة أن يتجاوز الحدود، ويجد مكاناته في الادب العربي المعاصر، ومن بين هذه النخبة، حنا أبو حنا، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد وسواهم.

وابرز خصائص انتاج هؤلاء هو الربط بين الموقف الفكرية والمواقف السياسية في النضال الفلسطيني، بالاضافة الى انه أدب لا يأس فيه ولا دموع.

العلم 1968.

كرة القدم

كنت في صغري من هواة كرة القدم، وكان لنا بجامعة القرويين فرقة تلقى منها الفرق المحلية عنتا شديدا، بعض هذا العنت يعود الى وجود عناصر قوية في فريقنا، ومعظمه يعود الى الوهم الذي غذيناه بالدعاية المنظمة المستمرة في احياء فاس وازقتها، ومصدر الوهم اشاعتنا ان مرمى فرقتنا محصن بالجن والعفاريت، فلا تستطيع الكرة ان تخترق الحصن وتدخله، خوفا من شمهروش رئيس الجن السليمانيين.

ولقد حقق فريق القرويين ــ ومعظم افراده الآن قضاة ووكلاء دولة واساتذة ــ انتصارات عاشت الفرقة على امجادها مواسم عديدة، وجعلت كثيرا من الناس يحترمون كرة القدم ولا ينظرون الى لاعبها نظرة الاحتقار والامتهان باعتبار انها مضيعة للوقت، ومفسدة للاخلاق ولا ادعي انهم كانوا يحترمون لاعبها، ولكنهم سكتوا على مضض، احتراما منهم لطالب القرويين، دارس العلم ومريده، والعارف ما بينه وبين الله، الذي يلعب الكرة بلباسها وحذائها يوم الجمعة، ثم يتجلبب ويتأبط لبدته وكتبه يوم السبت ويرتاد جامعة القرويين نهارا، ويسهر مع افراد خليته الوطنية ليلا.

وتطورت اللعبة، واوشك المغاربة اجمعون ان يصبحوا من هواتها. وبعد ان كانت في ايامنا تلك القريبة رياضة تتنفس فيها رئتانا وطوبة جدران القرويين، وازقة المدينة، اذا بها اليوم نحل ومذاهب، وتفنن اللاعبون في اساليبها، وصارت لها مدارس كمدارس الادب والاقتصاد، وافردت لها الجرائد صفحات عديدة، وتخصص كثير من المحررين في الشؤون الرياضية، واستطاعت ان تؤثر على «العلم» فتقرر اصدار عدد يوم الاثنين كي لا تبلى انباء الاحد الرياضية. وان عبد الجبار ليفخر بان العلم اصبح له صفحة رياضية عقائدية

بافتتاحيتها، واخبارها الرئيسية، وانبائها الثانوية، وانقسمت الاسرة الواحدة الى طوائف يتعصب كل قبيل لفرقته ولاعبه، فتجد داخل البيت الواحد، الرجائي، والجيشي، والاتحادي والودادي وما لا اقدر على عده واحصائه، وصرت لا استبعد اليوم الذي تصدر فيه الجرائد والمجلات التي لا تنشر شيئا غير ما يتعلق بكرة القدم، وعساها ان تجد من الرواج والانتشار ما لا تجده الصحافة الجادة. وغذت الحكومات حب هذه الهواية والتدله بها، تنفيسا للطاقات المكبوتة، وصرفا لها عن ان تبقى سجينة الصدور، وجعلت من التعصب للفرق مختبرا لرصد اتجاهات الرأي العام، ومعرفة ميوله، واوشكت الفرق ان تقوم مقام الاحزاب السياسية في البلاد التي تأخذ بنظام الحزب الواحد، وفي البلاد التي الغت نظام الاحزاب، وقد يشجع ذلك بعض الدول فتستغل تعصب الهواة للاعبين وترشحهم في انتخابات برلماناتها ومجالس شيوخها، ضمانا للنجاح، ويتطور الامر فتفوز فرقة كاملة، ويدعى عميدها لتأسيس حكومة، ويرى العالم حكومة ريالية، وحكومة بنارولية، وغيرهما من الفرق العالمية الشهيرة. ولله في خلقه شؤون.

العلم 1968

الاستعمال اللغوي

اللغة العربية من انذر اللغات دقة في استعمال الاسماء والحروف، وتكاد لدقتها تعسر حتى على المتخصصين في نحوها، وبيانها وبلاغتها، وبالاحرى على الذين وقفوا لدى دراستها عند الجزء الاول من النحو الواضح. والانسان الذي يكتب بها او يعبر، يجب ان يكتسب جزءا كبيرا من اسرارها، حتى تسلم كتابته من الركاكة والتعقيد، وحتى يتمكن من افهام القارئ او السامع ما يرغب في افهامه له.

ولا يخطر على ذهني ان القي دروسا في النحو في هذه المذكرات، ولكن ما اريده هو ان الفت انتباه المذيعين بالراديو والتلفزة الى انهم يستعملون بعض الحروف في غير الاستعمار الدارج في لغة عربية سليمة البناء النحوي والبلاغي.

مثلا، قال المذيع في نشرة اخبار ان مستشار المانيا الاتحادية ليس جبارا، او جبانا، والمذيع يقصد فيما فهمت، الوصف الثاني، ولكنه حين زل لسانه لم يعتذر اولا للمستمعين، وتلك فضيلة انسانية، و لم يستعمل الاداة اللغوية التي يستدرك بهازلته، بل استعمل «أو» الذي ليس الاستدراك من بين استعمالاته وهي تزيد على عشرة. فحرف او، يكون للتخيير، والابهام، والشك، والاباحة، والاضراب، والتقسيم، وبمعنى الى كقولي: سأنتقد المذيعين أو يستقيم لسانهم. أي: الى أن يستقيم لسانهم.

وبعض المذيعين، يخيل الى كلما استعمت اليهم ان في فمهم علكة يمضغونها.

وبعضهم يستعيض عن بلع ريقه ببلع حروف الكلمات.

واغلبيتهم لا يعرفون تقطيع الجمل، ولا يفرقون بين الوقف

الكامل، والوقف المعلق.

وكل ذلك سهل يسير لا يحتاج الا الى استعمال آلة النطق استعمالا صحيحا. وانصحهم بالاستماع المستمر الى المقرئين وهم يرتلون كتاب الله. فيستفيدون مرتين.

العلم 1968

لا .. لم ندفن بعد الماضي!

الاخ الاستاذ عبد الكريم غلاب قمة من قمم الادب الملتزم، والفكر الواعي في هذه البلاد، فبالاضافة الى غزارة انتاجه وتنوعه، يمتاز باستقامته الفكرية، قد تختلف معه في كثير من الاتجاهات، نتيجة تنوع المؤثرات التي تتحكم في تفكيرنا وفي سلوكنا، وفي نظرتنا الى المشاكل الحياتية التي نحياها حياة وتصورا، ولكنك لا تملك الا ان تحترمه، وتكبر فيه اخلاصه لافكاره، فقد استقر على نهج معين واضح في تفكيره وانتاجه واسلوبه في التعبير والسلوك.

في شهر مارس الماضي جاء الى بيروت الاخ غلاب بمخطوطة روايته «دفنا الماضي» باحثا عن ناشر يطبع الرواية ويوزعها، فامكانيات بيروت لا حدود لها، اسواقها واسعة، ومنافذها للبلاد العربية مفتوحة، وذلك ما يعجز عنه سوق المغرب الذي تحتكر فيه وسائل التوزيع شركة قد لا يعنيها امر الانتاج المغربي، وتولي المكتب التجاري نشر الكتاب وتوزيعه، وتمتلئ اليوم واجهات المكتبات في لبنان والبلاد العربية بكتاب «دفنا الماضي».

والرواية اول انتاج يسجل مرحلة التحول في تاريخنا الحديث، مرحلة انتقال المجتمع المغربي من مجتمع تتحكم فيه «دار بن كيران» وعقلية الحاج محمد التهامي، ودار الباشا الى مجتمع متطلع لحياة جديدة منطلقة من اسار عصور التأخر والتخلف. انها كما يقول المؤلف في مقدمتها انبعاث لرواسب عديدة في فترة المخاض التي عاشها المغرب، هي فترة عاشها شعب المغرب بكل وعيه وتفتحه على العالم الجديد، ولكنها ككل فترات المخاض كانت مجال صراع نفسي وفكري ومجتمعي.

وكم أتمنى لو تمكنت الإذاعة والتلفزة من تقديمها بإمكانياتها الواسعة مسلسلة، تمتع الفكر، وتحرك العاطفة، وتصور بصدق فترة عاشها جيلنا بكل انفعالاته، وما تزال رواسب تلك الفترة تتحكم في المغرب الجديد الذي تمخض عن الجيل الذي تفنى أجساد بنيه من هذه الدنيا، وتبقى كثير من قيمه وأفكاره تسطر لجيلنا ــ بإرادة أو بغير إرادة ــ طريق سيره.

العلم 1966

مرحبا أيها الشتاء

صباح الخير ايها الشتاء

مرحبا بك راويا لأراضينا الجافة، منبتا لسنابل القمح الطيبة، دافعا عنا غائلة الجوع والخوف والجزع.

مرحبا بك املا في النفوس، واطمئنانا في القلوب، وفرحة للذين غبت عنهم في السنة الماضية، فعريت اجسادهم، وعرقت جلودهم، وشردت انعامهم فضلت على وجوهها تبحث عن العشب المفقود.

مرحبا بك ايها الشتاء رحمة من الله بالضعفاء، ونجدة منه لعياله الضائعين.

مرحبا بغيومك الداكنة، فانها ارحم بالناس من غيوم بعض من تمنحهم الخصب والحياة.

ومرحبا ببردك القارس، فانه ايسر على الانسان ان يتحمله، من ان يبحث عن القمح فيجده عزيزا.

مرحبا، بزكامك، فان «روميسين» زهيد الثمن والقيمة، ولكن جفافك عالي السعر، يعز علينا ان لا نتخلص منه الا بذل السؤال، وفائدة القروض، ودلال الممولين والمقرضين.

مرحبا برياحك الهوج، ورعودك الرعناء، وبرقك الذي يكاد يخطف الابصار وامطارك التي يبتل بها نسيج الانجليز، وحياكة الفرنسيين، وجوارب الاسبانيين. واحذية الايطاليين، واتمنى ان يكون باستطاعة كل مغربي ان ينتعل من روما، ويتجورب من مدريد، ويقيس ثيابه في باريس، ويشتري قماشها من لندن، فيستوي الناس في الغنى، ويعمهم خير الشتاء وبركاته.

العلم 1968

ركود المسرح

ليس المسرح وحده ما اصابه ركود ــ وما يحتاج الى انتفاضة فكل فنون القول منيت بضعف واسفاف ما كان متوقعا ــ بعد ان زال الحجر على الفكر، واتاحت الحرية للانسان المغربي ان يفكر بصوت مسموع، وكان يفكر بصوت خافت مهموس، لا يكاد يفصح ويبين حتى تطاله الرقابة فتقصه او تحجبه فتحول بينه وبين الانطلاق والنمو والتفتح.

وليس مجال هذه اليوميات ان تعيد تاريخا بلوناه فقاومنا سيئاته، وانتصرنا على جبروته، ولا ان تتباكى على الادب الذي ذوى، والفكر الذي نضب، والثقافة التي هزلت، حتى سامها كل مفلس. فقد كفانا ما نقرأه، وما نسمع، وما نشاهد، مؤنة التدليل على التقهقر الذي يوشك ان يصمنا بالعقم، وبالتحجر الذهني، وبالقصور عن استيعاب الفكر المعاصر، وبالعجز عن التعبير الواضح السليم عن افكارنا وخلجات افئدتنا، وما يتفاعل في مجتمعنا من افكار وتحولات اخشى ان نكون غير قادرين على رصدها وتقييمها والتعبير عنها وتوجيهها في قنواتها السليمة كي لا يضغطها الكبت فتتفجر.

ولولا طائفة اخلصت للفكر على قدر ما تستطيع، ووفت للثقافة على استطاعة ما تقدر، لبقيت ساحة الثقافة والفكر مرتادا للمتطفلين والمتقلبين والمشايعين.

وهذه الطائفة منها فئة شغلتها اعباء الدولة حكما وتسييرا، فما تستطيع ان تجمع بين الفضيلتين، وكانت الى زمن قريب رائدة فكر وثقافة وتوجيه.

اما الفئة الاخرى فمنها الصامد في وجه الاغراء، المستنكف عن

التحول والتقلب ومنها من خارت مقاومته فاستسلم مكرها لظروفه، وآثر ان يعيش بهامش فكره وثقافته وتطلعاته.

وليس يسيرا ان نتجاهل دور الدولة في رعاية الفكر وتشجيعه على نحو ما قدرت على ذلك دول رعت الفنون والآداب، والفكر بعامة، ورصدت من ميزانيتها ما ارتفع بمستواه، وساعد في انتشاره على مستوى الجماهير.

ولعل الدولة بعد التجارب التي مرت بها محاولات عديدة فردية وجماعية قادرة على تجميع هذا العمل ومده بالعون المعنوي والمادي، كي لا تبقى الثقافة حبيسة صدور، وقعيدة صالونات، بل تتفتح امامها عقول وقلوب المواطنين يعبون منها وينهلون، فتتفتح امامهم آفاق المعرفة.

العلم 1966

المعقول .. واللامعقول

في المغرب حركة ادبية نشيطة، لي عليها ملاحظة عسى ان لا يختلف معي حولها كثيرون، وهذه الملاحظة هي ان محور ما تروج من بضاعة في سوق الادب والفكر والثقافة هو المحور الادبي، وهذا يعني أننا نضيق مجال الانتاج.الادبي والفكري في عصر تعددت الثقافة فيه هذا الطور، بعد ان خلق لها التقدم العلمي مجالات رحبة لا يكاد الادب والادباء يشغلون فيها غير حيز ضيق توشك الاعين ان لا ترمقه الا بصعوبة بالغة.

كذلك بينما يشغل المثقف في العالم المتقدم تفكيره بدراسة الفوارق الشاسعة، والتفاوت الكبير في تقدم العلوم، ما نزال نحن نتناقش في الادب المعقول واللامعقول، وفي منشأ الوجودية ومدها وجزرها، وما نزال نقتل الوقت في دراسة نص أدبي وهل طغى فيه الشكل على المضمون، وهل هو أدب ملتزم أو غير ملتزم، الى غير ذلك مما يراه العقل الحديث مضيعة للوقت، واستنزافا لطاقة الانسان، وصرفه عن متابعة ركب الانسانية المتطور والمتقدم باستمرار.

الثقافة الحديثة تبحث عن وسائل تحرير الانسان، والدول المتخلفة أو النامية يجب عليها ان لا تعيد التجربة من جديد، لان الهوة تتسع باستمرار بين الدول المتقدمة والدول النامية.

فالدول المتقدمة تشغل نفسها بموضوع الهوة التكنولوجية التي تتسع بينها يوما اثر يوم. ولعل أقرب مثال على ذلك هو هذا الصراع المحتدم في هده الايام بين دول اوربا وبين الولايات المتحدة الامريكية حيث ان دول اوربا المتقدمة فكريا وحضاريا، والمزدهرة صناعيا أخذت تحس بتخلفها وراء امريكا في عالم اصبحت تحكمه القوة النووية والعقول الالكترونية والصواريخ التي تسبح في الفضاء. في

عصر الانسان الذي يتدرب لينزل على القمر بعد شهور.

ذلك هو ميدان الحركة الفكرية في الندوات والمحاضرات والمجلات والصحف، وهو بدون شك لا يشبه من قريب او بعيد الميدان الذي نتناقش نحن فيه ونتجادل. ولعل سبب ذلك هو ان اتجاهنا الثقافي ينحصر في الدراسات الادبية واللغوية وما يتفرع عنها من علوم، اما النظرة الشاملة للثقافة كوسيلة من وسائل الحياة فما نزال بعيدين عنها. وليس هذا البعد مقصورا علينا في المغرب، فان اخواننا في المشرق يتساوون معنا في محنة التخلف الثقافي بمعناه المعاصر، متساوون في التعرض لغزو تكنولوجي لم نستعد له، وأخشى أن نكون محتاجين لعديد من السنين لنحصن أنفسنا ضد هذا التخلف الخطير.

ولا يبدو اننا سنعتبر من الظروف التي ادت الى انهيار المقاييس القديمة، بل سنمر بالتجارب القاسية التي مر بها سوانا، سواء في اختياراتنا الفكرية، أو في مناهجنا الدراسية او في جدالنا حين تناقش الافكار والمناهج وحين يتطلع طموح النخبة الواعية نحو تحقيق توازن بين التزاماتنا التاريخية وبين مقتضيات العصر الذي يتطور بسرعة تفوق — بدون ريب — سرعة طموحنا وتفكيرنا. وهذه هي القضية التي تنبهت لها الدول الاوربية فأخذت تقتدي بمناهج الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي حيث ان الدولتين الغربية والشرقية، ذات النظام الحر، وذات النظام الموجه، زوجتا بين الجامعة والصناعة والادارة، وأوشك التعليم ان يصبح تعليما صناعيا فنيا تكنولوجيا اداريا اكثر منه تعليما ينمي ملكات الذهن، ويعد الانسان ليكون قادرا على الكلام والحديث والجدال والمناقشة والمناظرة.

فهل سيبقى المناخ الفكري في العالم العربي مناخا يناقش ما يرد عليه من الغرب من افكار ونظريات في حين ان هذه الافكار والنظريات لا تناقش كثيرا في بيئتها الاصلية، وانما تصبح واقعا معاشا قد يستمر في الحياة، وقد يلفظه المجتمع فينتهي أمره.

العلم 1966

اليوم.. وغداً

عام انتهى اليوم. وسواه يبدأ غدا.
وامل مات اليوم، وآمال تهفو للغد.

وبين اليوم والغد تزكو مطامحنا، وتتطلع ابصارنا نحو المجهول، العام الذي ينتهي اليوم، كان عاما مجدبا لقلبي، امطرتني شهوره تجارب قاسية، وحملتني فصوله اعباء مضنية، وحالت ظروفه بين قلمي وقلبي، بين قلمي وعقلي، بين قلمي وايماني، بين قلمي ولساني

اصبحت صراحتي واهنة، واضحت شكوكي يقينا، وامست مسلماتي احتمالات، وباتت نفسي ترتاب شاكة، وتشك مرتابة. ترتاب في مطابقة الاسماء للمسميات، بعد ان خدعتني المظاهر ولدغتني الابتسامات، وضللتني الاماني.

عام تطويه الاحداث، واودعه بالامل والتفاؤل. لأستقبل صباح غد عاما جديدا بقلب ليس فيه غل، وصدر ليس فيه حقد، وعاطفة ليس بها خسة واسفاف، وعقل ليس به جحود ولا غلو، ويقين لا يشوبه شك، وايمان لا تطاله الحيرة.

وداعا ايها العام الذي ينقضي، ومرحباً بك ايها الوافد بالطهر والصفاء، والسمو واليقين، والايمان والاطمئنان.

وقال محدثي

وامتدت السهرات بالجموع المذكرة والجموع المؤنثة، وتمايست القدود فرقصت، وفارت الحاجات والخواطر انتشرت، وامتزجت الانفاس والعطور عبقت، وتقوصت الايدي والخصور طوت، وتهامست الشفاه والوعود أعطت، وذبلت العيون واحمرت، واترعت الكؤوس والاخيلة انطلقت، وعوى النفير، وتلوت اجساد الكواعب

الاتراب، وامتدت الألسن تبل الشفاه العطشى، ودقت الطبول فانخلعت الألباب، واشتد خفقان القلوب، وزاغت النظرات وزال النعل والحذاء ونزل البهيم للساحات ينط ويئن، يقبل ويدبر، يميل ويترنح، وفي اعماقه وحوش تنهش اعصابه، وتأكل عاطفته. وتخفت الاضواء وترتفع الاهات والانات، وتصفر وجوه وترتعش اطراف، وتحمر وجنات، وتتشابك الاصابع في وناء واستجداء واستسلام!

وقلت لمحدثي

أمن الاعاجم هؤلاء أم من سواهم ؟...

فقال

اما الاعاجم فقد أموا مرتفعات وجبالا ينشدون راحة جسم، وهدوء فكر، بعد ان ازهم ضجيج صبية، ورعونة مراهقين وهوس متخلفين.

فقلت له

حين يختلط الحابل بالنابل، والوارد والشارد والمقيم والغارب، والفاسق والقاسط عليك نفسك فاحفظها، وكرامتك فصنها، وفضيلتك فاحرسها، حتى يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه.

العلم يناير 1967

رسالة الى ولدي

ابني العزيز محسن

منذ اسبوع دخلت الى غرفتي، وأوصدتها دونك، ثم خلوت الى نفسي مفكرا في مصيرك ومصير اخوتك، وبقيت تنتظرني لأراجع معك دروسك، واراقب فروضك، وعندما يئست من خروجي جمعت كتبك ودفاترك ثم اسلمت عينيك لنوم هادئ مريح، وسهرت معك ومع اخوتك محاولا كشف الغيب، واختراق الاعوام، واستطلاع المستقبل، لأرى مكانك فيه، ومكان اخوتك وجيلك..وكانت رحلة شاقة تلك التي قمت بها في ادغال الحاضر، وظلمة المستقبل، واستعرضت قبلها حياتي، كيف بدأت، وكيف سارت، واين استقرت. فوجدتها حياة مضنية، أشابت الرأس، وأوهنت العظم، ولكنه ضناء شرفني ان اتحمل صابرا تشرده وبؤسه وجوعه وكفاحه، وكثيرون يتمنون لو عاشوا حياتهم بالطول والعرض، وبالساعات والثواني كما عشتها في نهاية طفولتي، وبداية شبابي... وحتى الآن.

ولكنك انت ؟

ما مصيرك في الادغال والظلام ؟

واي سلاح يجب ان تتسلح به لتعيش حياتك الى ان يصل الكتاب اجله ؟

بالتحدي قهرنا الجهل، وبالتحدي غلبنا الظلم، وبالتحدي انتصرنا على الطغيان، وبالتحدي هزمنا الاحتقار والمحتقرين، واقمنا للانسان في هذا الوطن شخصيته التي شرفها الله وكرمها، ورفع هامتها مديدة شامخة في وجه الظالمين.

فهل تقبل يا ولدي ان اترك هؤلاء ينتقمون مني ومن جيلي فيك وفي رفاقك ؟..

هل ترضى ان تعرف تاريخ عظمائهم وقوادهم وفاتحيهم، وانت لا تعرف شيئا عن تاريخ وطنك وامتك وعظمائك وقواد دينك والفاتحين ؟..

انك لا ترضى ذلك، فقد سبق ان رفضت الوقوف في الفصل ورسم الصليب على صدرك، وقلت لهم انني مسلم، ولم تفعل ذلك تعصبا، وانما لان الله قد اختار لك دينك، واتم عليك نعمته، ولا اكراه في الدين.

في تلك الخلوة الطويلة التي خلوت فيها بنفسي، استعرضت اقوال المشيرين.

قال بعضهم عن حسن نية

كن واقعيا، وادخل اولادك الى مدارسهم، لتضمن لهم مستقبلهم، ان مصير بلادنا واولادنا قد ارتبط فكرا وحضارة وعيشا بهؤلاء، ولا يمكن لاولادنا ان يجدوا لهم مكانا فوق هذه الارض اذا لم يسيروا على نهجهم.

وقال هؤلاء

حتى الذين يبشرون باللغة العربية ويدافعون عن عروبة هذا الوطن يدخلون اولادهم الى مدارسهم.

وقال آخرون

انك سترتكب جريمة في حق اولادك، دعهم يتسكعون في الازقة والشوارع اذا لم تجد لهم مكانا في المدارس، ولكن لا تكن انت من يدخلهم لمدرسة لا تعلم لغة الآباء والاجداد، ولا تلقن تاريخ الدين والوطن، فبالجهل سيحافظون على مواطنتهم، وبالتعليم الاجنبي سيتنكرون لهذه المواطنة، ويكونون غرباء في بلادهم.

وانتصر الفريق الاول، وادخلتكم الى مدارسهم، وكنت احسبها كزميلات لها في بيروت حيث كنت تقرأ لغتك ولغتهم في حصص متساوية او تكاد، وحيث ان مناهج التعليم كانت وفق برامج وزارة التربية الوطنية اللبنانية او تكاد. وحيث بدأت بعد عام واحد تتكلم لغتهم بطلاقة او تكاد، وحيث شرعت في تكوين مكتبة خاصة بك، وشرعت في حفظ قصار السور من كتاب دينك وقرآنك.

ولكنهم هنا لا يتعلمون شيئا من ذلك. وكنت بعد سنوات لن يكون لك من وطنك غير انتسابك له بحكم قانون الجنسية، وبحكم الرسم العربي زائد اتقانك للدارجة المغربية، كما كان يتقنها المراقبون المدنيون، وكما يتكلم الانجليز العربية بعد تخرجهم من مدرسة شملان في لبنان.

في تلك الخلوة الطويلة استشرت سهول المغرب الخصبة، ونخيل مراكش، وأرز الاطلس، وزيتون فاس، وجبال تازة، وقبائل البرانص، ومقابر زرهون، ومدافن المرابطين، وآثار الموحدين، ومساجد سجلماسة، ومدرسة الشراطين، وجزيرة مدغسكر، وانسيرابي، وسجن العلو، وكاريير بن مسيك، وقصبة تادلا، وجامعة القرويين... ثم أويت الى فراشي، وقد اطمأنت النفس، وهدأ الروع، وجاء اليقين بعد الشك والقلق.

وفي الصباح اخذتك واختك، وذهبنا حيث كان يجب ان اذهب بكما في فاتح اكتوبر.

واليوم وانا وأم البنين نتعاون معكما على استدراك ما فاتكما، اعتقد اني اجتهدت، ولعلي لن اكون مخطئا في اجتهادي، وغدا، حين تكبر ولست ادري ما يخبئه لك القدر ــ ولرفاقك ــ سوف تعلم اني كنت مخلصا لك ولهذا الوطن الذي اعطيته شبابي، واعطيه اليوم

بقية الشباب، من غير من ولا افتخار، وحرصت على ان اسلك بك السبيل الذي يجعل منك مواطنا صالحا لان هذه الارض الطيبة لم تنبت الا الصالحين من الرجال. وعساك ان تكون احدهم، وفقك الله واخوتك ورفاقك.

العلم يوم 19 / 11 / 1966

كتابة التاريخ

وددت لو تخلفت عن الكتابة في هذا العدد الخاص من المجلة الرزينة «دعوة الحق» التي تعتز به الحركة الفكرية في المغرب، وذلك أنه عدد سيحفل بالدراسات التاريخية عن الدولة العلوية التي ترتفع بنسبها الشريف الى الامام علي رضي الله عنه، فليس من اختصاصي كتابة التاريخ، ذلك علم له أصوله وقواعده ومناهجه التي يتلقاها الباحث قبل ان يمارس تجاربه في كتابة التاريخ، ومن المؤسف أنني فقير أشد الفقر في معرفة تلك الاصول والقواعد والمناهج، وليس من عادتي ان أتطفل على ميدان غيري اجدر بخوضه عن جدارة، ولكن ما حيلتي امام الحاح السيد رئيس التحرير، الذي يعتقد عن حسن نية ان من يكتب في الادب والسياسة يقدر على كتابة التاريخ على نحو ما يفعل كثير من كتابنا الذين تجد لهم في كل فن من فنون القول والكتابة صولات وجولات، يكتبون في علوم الفضاء والطب والهندسة والحساب بنفس الاتقان والجودة التي يكتبون بها في اللغة والادب والتاريخ، وتلك فضيلة لم يهبها الله لكثير من الناس، وانما خص بها طائفة منهم.

وكتابة التاريخ من أصعب الموضوعات التي يمكن ان يتصدى لها باحث، ومن أدق المسالك التي يتعرض فيها الدارس للتيه والضياع، والتأثر بالمصادر والمراجع، فتكون تصوراته واستنتاجاته موضع ريبة وشك، بل قد ينزلق الباحث نحو الاضطراب فتختلط عليه المؤثرات الاجتماعية التي كان لها التأثير المباشر في سير أحداث التاريخ ولكنا قريب عهد بالحديث الذي استمعنا اليه عن السلطان محمد بن عبد الله في ليالي رمضان، حيث قدم لنا الاستاذ المحاضر مشاهد متقطعة من حياة السلطان محمد بن عبد الله، لو أخذناها على النحو الذي

قدمت لنا به لتضاربت أحكامنا على تلك الفترة من تاريخ أمتنا، ولاختلفنا خلافا شديدا في سلوك الدولة آنئذ، لان الاستاذ المحاضر وقف بحثه على ما قرأه وجمعه من المصادر ثم قدمه لنا حكايات وصورا ومشاهد لحياة انسان لا استقرار لسياسته ولا لسلوكه، ولا صلة بين هذه السياسة والسلوك وبين شعب صامد أمام الفتنة في الداخل، وتجاه محاولات الغزو من الخارج، مع ان الصلة كانت وثيقة محكمة، وبفضل التفاف الشعب من حوله تمكن من القضاء على كثير من الفتن والمؤامرات.

تلك بعض صعوبات كتابة التاريخ، وتلك بعض أسباب ندرة المتخصصين في كتابة التاريخ، فقد دخل تغير كبير على مناهج البحث والدراسة، خصوصا بعد التطورات التي لحقت بعلم الاجتماع وعلم النفس، وهما علمان أصبحا مادة رئيسية في كتابة التاريخ، لا يستغنى عنها مؤرخ جاد لمعرفة العوامل البيئية والنفسية التي تؤثر في انهيار الدول والنظم ونشوء دول ونظم على مسوغات ودوافع جديدة.

واذا نحن أخذنا نشأة الدولة في المغرب كمثال، فانه لم يعد كافيا مطلقا ان يتحدث المؤرخ عن شرفاء سجلماسة، وقيام بعضهم على الحكام المجاورين وغلبتهم، ثم التوسع في الفتح الى ان استتب لهم الامر في النهاية.

فالمؤرخ الحديث يبحث أولا عن البيئة التي بذرت بذور التمرد على الحكم الذي كان قائما، وينقب عن الظروف الداخلية التي كانت تتحكم في سلوك الافراد والجماعات وتدفعهم للرضى بالحكم او التمرد والثورة عليه.

ويبحث ثانيا عن الظروف الخارجية، وهي ظروف شديدة التعقيد، فالدولة العثمانية من جهة كانت تحاول ان تجد لها طريقا في

صحراء المغرب من الجزائر الى المحيط الأطلسي وهي السياسة التي كان يدبر لها بعد ذلك بقرون الاستعمار الفرنسي حين كان يعتبر الجزائر امتداداً لفرنسا، وأنه سوف يأتي عليه حين يترك المغرب، ولذلك اقتطع من اراضينا اجزاءها الصحراوية وضمها الى ادارته في الجزائر، ليجد له منها طريقا الى المحيط الاطلسي، ولعل هذه السياسة لم تمت اليوم عند بعضهم كما لم تكن ميتة من قبل !

وفي الجانب الآخر من المغرب كانت هناك النهضة الاوربية بعد سبات القرون الوسطى، حيث تمكنت الطبقة البورجوازية من فرض وجودها مستعينة بالاكتشافات العلمية، وبالنظريات الفكرية التي هزت المجتمع الاوروبي وغيرت تكوينه عموديا وأفقيا، وكان لابد لهذه النهضة ان تبحث لها عن مجالات للتوسع، بل لعلها في البداية كانت مهتدية بالفكر والعلم الى ان ترتاد افاقا جديدة، فضلت سبيل الفكر والعلم، واستوت على طريق ساقها الى التسلط على بلدان عجزت عن الصمود أمام اختراعات الفكر والعلم.

في هذه الظروف، قامت الدولة العلوية بالمغرب ولم يكن المغاربة بعيدين عن رؤية هذه الظروف، ولكنهم كانوا — تأكيدا — بعيدين عن فهم تياراتها الدافعة فتحاشوها بالتردد ثم بالخوف، واخيرا بالعزلة، وانصرفوا الى سد جميع النوافذ التي يمكن ان يتسرب منها أثر من تيار، وصمدوا في صد الغزو، وحماية الحدود، وفي فترات القوة والاستقرار كانوا يحررون الثغور التي كان يستولي عليها بعض الغائرين.

ولقد نجحت هذه السياسة الى حد بعيد في صد العدوان والاحتلال عن المغرب، وكان لوعي الدولة وصمود الشعب وبطولته اثر قوي في الحفاظ على الوحدة الوطنية، وعدم تفسخها، الى ان وجد نفسه أسير حماية فرضت عليه بالكيد والحيلة، ولكنها لم تتمكن من

كيانه فسرعان ما قضى عليها واسترد سيادته على بعض أجراء كيانه، وما يزال بسبيل الكفاح لاستخلاص ما سلب منه من اجزاء.

فهل يسير على بحث أو مقال أن يستوعب دراسة وتحليلا بعض ظروف نشأة الدولة العلوية ؟

وهل يسير على باحث او كاتب ان يستبطن في صفحات تاريخ شعب في فترة توشك ان تستكمل ثلاثة قرون ؟...

ان هذا العدد من مجلة «دعوة الحق» سوف يجيب على هذا التساؤل، وأرجو ان يوفق الله المشاركين فيه لالقاء الضوء على هذه القرون الثلاثة، وعسى ان يكون ضوء ينير جميع جوانبها وخفاياها، فان عجزوا عن ذلك فالمغرور من لا يلتمس لهم ألف عذر.

حديث كتب لمجلة دعوة الحق في شهر مارس 1967

منابع الثقافة

إن الثقافة الحديثة تمثل العقل المؤمن بذاته، والانسان المتحرر من عبودية الجهل وأسر التخلف، وباتت الفوارق واضحة بين الشعب المثقف والشعب الجاهل... ولكن الفروق التي لم تتضح بعد، هي التي بين مجالات العمل والطموح، فإذا كانت للثقافة الحديثة من أزمة تعاني منها، فهي أنها عجزت عن الملاءمة بين الضروريات الروحية للإنسان وضروراته المادية، وان الانسياق مع التيار المادي للحضارة يوشك أن يزعزع ايمان الناس بكل القيم الخيرة التي تقوم عليها فضيلة التفسير والسلوك، وبالتالي فإن المشكلات الروحية للانسان المعاصر قد طغت عليها الحوافز الاقتصادية والسياسية ولونتها، وكادت أن تخفيها تحت ضروراتها الملحة.

وانه وإن يكن إنسان العالم المتقدم قد ضاع في أزمته المادية واستقر في ضياعه، فإن الانسان العربي بعامة، والمغربي بخاصة، ما يزال مترددا بين عالم آبائه وأجداده، عالم التسليم والاستسلام، والتقليد والاتباع، والقناعة والرضى، والتفويض والاتكال، وبين عالم الأبناء، عالم التمرد والشك، والحيرة، فأي العالمين هو عالمنا نحن الذين لسنا من عالم الآباء، ولا من عالم الأبناء ؟.

نحن الجيل الذين يعيش بين المرحلتين، نتطلع وراءنا فنرى الشك والحيرة والتمرد، ونتطلع أمامنا، فنشاهد القناعة والرضا، والاستسلام.

ما رسالة الذين منحهم الله موهبة الفكر، فصقلوا الموهبة بالتمرس والدأب والصنعة، فصاروا مفكرين، وأدباء وكتاباً، وموجهين؟ الجيل الذي يمضي كان جيل الأبطال حقا، جيل الفضيلة والصبر والتضحية، لم تقعد به همته، ولم يبطره انتصاره، وما يزال

قسم كبير منه يؤدي رسالته على نحو من الانحاء لا نتهمه بجمود، ولا نصفه بتخلف، لانه عبر عن ظروفه فكرا واسلوبا، ومن التقدير لجهده ان نقر وفاء وتقريرا بثقل العبء الذي لم ينأ تحته ابدا، انه الجيل الذي نضج ذهنه واستوت قيمه وافكاره في الثلاثينيات والاربعينيات وحتى الخمسينيات من هذا القرن، وجاهد ليبقى مع القافلة دليلا ورائدا حافظ على اللغة العربية، ودافع عن القيم الدينية، وحارب الزيغ والتحلل والفساد، ونشأ في كنفه وبرعايته جيلنا نحن الذين نعد وسطا بين الجيل الذي كبر، والجيل الذي يكبر. ولقد كان دورنا شاقا، وعسيرا، لاننا بحكم تأثير ظروفنا، أقرب الى الجيل الصاعد شكا وحيرة وتطلعا، وطموحا، ولكن فهمنا العقلي لملابسات المرحلة التي يمر فيها وطننا تطورا وسلوكا، يقيد من حدة انفعالاتنا، من غير ان يؤثر في اصالة وعمق هذه الانفعالات.

ذلك واقع لا مناص من الاقرار به لنمد جسرا للقيا بين اجيال هذا الوطن فلا تنقطع الأوشاج الواصلة بين التفكير الذي في الخيال، وبين الطموح لتغيير الفكر النافذ عسى ان نريح طاقتنا من الاستنفاد في صراع لا يكتسب الفكر منه ثراء ولا غنى.

أنتقل بعد هذا الى التعرف على مظاهر الحركة الثقافية والفكرية، حيث ان مظاهرها ــ عموما ــ تتجلى في التوسع المستمر لكل ما يصقل الفكر، وينمي الاحساس بالجمال والاستمتاع به.

وذلك في ازدياد عدد المدارس والمعاهد والجامعات لتستوعب كل طالب علم ومعرفة، وفي المحاضرات العامة على مختلف المستويات، وفي عدد المجلات والجرائد المتخصصة والعامة، وفي عدد الكتب المتنوعة التي تخرجها المطابع، وفي تعداد الجمعيات العلمية والنوادي والمعارض، والمسارح، والمؤتمرات الثقافية، وتوسع العلاقات الثقافية

ونمو الحياة الاقتصادية وارتفاع مستوى المعيشة، وتجميل المدن والقرى وتحسينها، وانتشار استعمال الآلات الحديثة، وتخفيض ساعات العمل... كل ذلك مظاهر لجدية الامة في نشر المعرفة، وفي مساعدة الانسان على ان يتطور بعقله واحساسه، فيصبح انسانا مثقفا اي متحضرا، لان الانسان هو الحضارة والحضارة هي التعبير عن الارتقاء المعنوي والمادي للانسان.

فأين هذه المظاهر الثقافية في حياتنا ؟

أين الذين يكتبون، وأين الذين يقرأون ؟

ما عدد المجلات والصحف التي يقرؤها المواطنون ؟...

أين يقضي الناس أمسياتهم وعطلهم ؟...

هل في المسارح، وقاعات المحاضرات والندوات، أم على أرصفة الشوارع في المقاهي، أو بين الجدران ينحرون الوقت ويسخرون من الاحداث ومن الناس؟ وأين يلعب الاطفال ويمرحون، أفي الحدائق والرياض أم في وسط الاتربة والوساخة والتعفن ؟..

هل تخصص الدولة في ميزانيتها قسطا لنشر الكتاب وتعميمه وتشجيع مؤلفه وناشره ؟

هل تسخو مؤسساتها مع الفنان والاديب والعالم والخبير ؟

هل تحمى الدولة القارئ من جشع البائع على نحو ما تحمى المواطن من شجع التجار؟... ان الذين يحمون معد الناس، أجدر بهم أن يحموا عقولهم.

على اني لست متشائما، ولكنني خلقت من عجل، فعسى ان يواكب تفاؤلي احساس الناس، فيزدهر الفكر، ويكون له أريج، ويسمو ويكون له هدف في الحياة، هدف يرتبط بأهداف المواطنين جميعا، أو يلتقي معهم وذلك أضعف الايمان.

الكرامة والحرية

عرب نحن...

كذلك تقول الجغرافيا... ويقول التاريخ.. وتقول اللغة التي نضوغ بها أفكارنا، ونعبر بها عن وجداننا ومنطقنا...

عرب نحن.. اختيارا، أو اضطرارا، ولكننا عرب، ولن نكون غيرهم الى الأبد.

ذلك منطق الواقع وحكمه... وذلك قدرنا في هذه الدنيا.

من هنا كان حرصي على أن أتعرف على هذا العالم الذي يسمونه «العالم العربي» بكل وسائل المعرفة الممكنة، بالدراسة وبالرحلات، وبالكتاب والمجلة والصحيفة، وبالصداقات والخصومات.

وبالمؤتمرات احضرها، من القمة الى القاعدة... ولكني لم أتمكن من حضور اجتماع للأدباء العرب الا في هذا العام وفي مؤتمرهم السابع الذي انعقد في بغداد في التاسع عشر من شهر أبريل الماضي.

ولقد تهيبت في البداية وبضاعتي في الأدب زهيدة، وصحبني التهيب منذ أن استلمت دعوة الحكومة العراقية الى أن أخذت مقعدي في المنصة استمع الى رجال الفكر العربي يتحدثون عن الأديب العربي المعاصر، وعن المعركة التي جعلوا كل شيء من أجلها شعاراً للمؤتمر. فإذا بي أتخلص من تهيبي كالنائم يصحو من حلم مزعج... وإذا بأشقائنا العرب سواء... لافريق بين رجل السياسة ورجل الفكر... ينهلون من مورد واحد، تأسرهم الكلمة الرنانة، وتهتز أعطافهم للشعار الجميل، وكان الهزيمة الحزيرانية أو اليونيوهية لم تكن كافية لترج الفكر، وتزلزل الكيان...

وانطلق صوت المغرب ليوضح لهم في بساطة، أن الأديب

المغربي لم ينزلق الى هاوية الغموض والابهام وترديد الشعارات ليبتعد عن مشاكل المجتمع العربي الحقيقية. وان الأدباء في المشرق العربي ألفوا أن لايعالجوا القضايا القومية والإنسانية الا أذا صدرت لهم الأوامر بذلك، فانقلب الأديب الى آلة طيعة في يد أجهزة الاعلام العربية، يعبث بها كيف يشاء. وبذلك فقدت الكلمة العربية صدقها وإشراقها، وأخذ المواطن العربي يكذب كل ما يسمع وما يقرأ، فقد اكتشف الانسان العربي أنه كان ضحية للمذياع، والتلفزة والصحيفة والكتاب قبل أن يكون ضحية العدوان الصهيوني.

كان الكاتب العربي، أسيرا للوصاية التي فرضت على فكره وثقافته وانتاجه، بينما نؤمن نحن أنه لافكر بدون حرية، ولا كرامة بدون حرية، ولا حرية ولا كرامة بدون مسؤولية.

فما الحرية التي نطالب بها للأديب العربي؟... لقد مر العالم العربي بكثير من التجارب، وخبر عدداً من النظم والمذاهب في السياسة والحكم، فهل أثبتت هذه النظم والمذاهب أنها كانت في مصلحة الفرد العربي ؟... أم أنه برغمها ما يزال ضائعاً تائها ؟...

موقف بسيط، وكلمات واضحة، وأسئلة موضوعية، كان يجب أن يسمعها الأدباء العرب، وسمعوها، وكأنهم يسمعون شيئا جديداً لا عهد لهم به، أو قدم عهدهم به في أحسن الاحتمالات، وإذا بهم ينتفضون أفراداً وجماعات... وطنيون وقوميون، وبعثيون، فرقتهم الشعارات والمذاهب والمعتقدات، وجمعتهم الدعوة الى حق الانسان العربي في أن يختار بدون وصاية، وان يفكر بدون إلزام، وان يعبر عن اختياره وفكره بحريته الفطرية التي رضعها اجداده في لبان النياق في الصحراء منذ آلاف السنين، واذا بهم الانسان العربي على حقيقته الأصيلة، حتى الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري المتهم بعراقة انتمائه الشيوعي، سجل دعوتنا الى الحرية في قصيدته التي ألقاها

في مهرجان الشعر عقب المؤتمر وقال فيها

ويا فتى المغرب الاقصى به نذر
للشرق لا زيغ فيها ولا أود
سمعت صرختك الغضبى فخلت بها
ما ينفث الغاب اذ يستزأر الأسد
سل باعة الحرف كم تلوى أعنته
وكم تدوس به حقا وتضطهد
أو حدة وعلى الاحرار في بلد
وآخر، وعلى أنفاسهم رصد
نباد عن وطن عشنا مصائره
كما يباد عن المزروعة النقد

وتبنى المؤتمر اقتراحات المغرب وأدرجت في جدول الأعمال، ودخلت في مناقشات مع بعض أعضاء الوفد المصري ومن بينهم غالي شكري، وعبد المعطي حجازي، ويوسف السباعي.

وانتهى المؤتمر بتوصيات غير قابلة للتنفيذ... وبدراسات سريعة يغلب عليها طابع الاستعجال والسطحية، ولست مغاليا اذا أكدت أنها دون مستوى ما قرأته من دراسات قدمها الأدباء المغاربة الى مؤتمر طرابلس، وأن ما ننتظره من نتائج بعد مقررات مؤتمر طرابلس سيكون أثرى وأغنى مما ننتظره من مؤتمر بغداد. واذا كانت الحكومة العراقية قد بذلت جهدا مشكورا في الاعداد المادي لنجاح المؤتمر، فإن الظروف السياسية الخاصة بالمؤتمرين، حالت دونه ودون تحقيق النجاح المعنوي المنشود.

من حديث في دار اتحاد كتاب المغرب بالرباط ماي 1969

صوم الصداقة

الانسان ؟!

هل يستطيع أحد من قرائي ــ اذا كان لهذا الذي اكتبه من قراء ــ أن يعطيني تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا المخلوق الذي يسمى انسانا؟

قيل في تعريفه إنه حيوان عاقل.

ولكن الأبحاث والدراسات اثبتت أنه ليس وحده العاقل بين المجموعات الحيوانية، وقيل في تعريفه إنه حيوان ناطق

وحتى الأطفال أصبحوا يعرفون أن هناك حيوانات غير الانسان لا تقل عنه قدرة في النطق.

وعرفه بعضهم بأنه حيوان اجتماعي، وقال آخرون إنه حيوان انتهازي، فما رأيكم إذا أضفت لهذه التعريفات تعريفا آخر وقلت أن الانسان حيوان مسرحي !...

وإذا لم يسبقني أحد لهذا التعريف، فأرجو الاحتفاظ لي بحقوق الاختراع، وما يترتب عليها من امتيازات الاشهار والدعاية والاستعراض.

وإذا كنت مسبوقا من سواي فعذري أني لم أحاول السطو على حقوق غيري، فمن يعجز عن إثبات حقه وانتزاعه عاجز عن أخذ حقوق الآخرين. فالعجز والقدرة هما محور الصراع البشري.

الا ترون معي أن هذا التعريف للانسان بأنه حيوان مسرحي، اقرب الى حقيقة الانسان؟..

اليس في طبيعته ميل الى حب الاستعراض، وعشق الفرجة، ونزوع الى تقمص العديد من الشخصيات المتباينة في زيها ومواقفها، وعرضها أمام غيرها بما تحمله من تناقض في الفكر والسلوك؟.

ان كل واحد منا لا يمثل إنسانا بذاته وإنما نحن مجموعة من الاناسي في وقت واحد، ومن كثرة ممارستنا هذا التمثيل المسرحي، يمسنا ضياع مخيف، فإذا التقيتك لا أدري أي إنسان أخاصب فيك، وكذلك الأمر بالنسبة لك، فهناك الشخص كما يرى نفسه، وهناك الشخص كما يراه غيره وهناك الشخص كما هو في الواقع لا كما يرى هو نفسه، ولا كما يراه غيره... في اليوم الواحد يمكن أن تكون عدة أشخاص، كل شخص بملامحه وعواطفه وأحلامه لا يمت بأي صلة عمن كان هو نفسه قبل لحظات.

هذا الانسان العجيب، كيف يمكن أن تتعامل معه؟.. لأنه ليس إنسانا واحدا، ولكنه عشرات الأشخاص يستعرضون أنفسهم، وأفكارهم ونوازعهم وغرائزهم على مسرح الحياة الكبير.. في أدوار متناقضة ومتتابعة يمسك بعضها في رقاب بعض.

أليست هذه هي دركة أسفل سافلين التي رد الانسان الله إليها ليبتليه ؟..

الصحوة

سعدت بلقاء كثير من الذين أكرمهم الله، فأدوا مناسك العمرة بمناسبة عيد المولد الشريف.

واجتمعوا باخوانهم المسلمين من جميع أرجاء العالم الاسلامي الفسيح، على اختلاف نحلهم وما يعتقدون.

وكان سروري عظيما بما لمسته عند العائدين من أثر ديني تركه في نفوسهم هذا التجمع الديني العظيم، فقد أخذت الدعوة لتآلف المسلمين وترابطهم تستقيم على الطريق الواضح، بعد ان اجتازت المفاوز المخيفة، وخرجت من الضباب الى الصحو، فاذا بها دعوة لا يحتضنها غير المسلمين، طالبين بها رفع شأن الشعوب الاسلامية، وتقريب المسافات بين مذاهبهم واتجاهاتهم، حتى يواجهوا تحديات العصر الحديث. وما أكثر هذه التحديات التي يواجهنا بها العصر الحديث. تحديات الانحراف من جهة، والتطرف من جهة أخرى.

ان المجتمعات الاسلامية تنمو بالفضيلة، وتعطي للانسان مجاله الحيوي، وفرصه الطبيعية ليحقق ذاته، ويشبع وجوده، فيعيش حرا، آمنا، عزيزا، لا يخشى ذلا، ولا يرهب رعبا ولا تقعد به خصاصة. ومن غير الاسلام يعطي للانسان هذا المجال ؟....

ومن غير المسلمين يستطيعون تحرير الفكر، فيخلقون التوازن الضروري بين الجانب الروحي والجانب المادي في نفسه وسلوكه، فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ؟

ولقد صادفت الدعوة لتمسك المسلمين بتعاليم دينهم، وتعاونهم وتآلفهم من يقاومها، ومن يحرف أهدافها، ومن يدلس عليها، فكان طبيعيا أن تحدث المقاومة والتحريف والتدليس أثرها فيتولد عنها تطرف جاهل أعمى.

تصدى كثيرون لهذه الصحوة على اختلاف نحلهم وما يعتقدون. تصدوا لها خوفا من اجتماع المسلمين على كلمة سواء في مشارق الأرض ومغاربها، فيقاومون الالحاد والزيغ، ويصدون الانحراف والتطرف، ويسدون السبل أمام الذين يستغلون التخلف والفقر والكبت، ليدغدغوا عواطف الشعوب، وليحركوا طموحها لغير ما يجب أن تتحرك له، ويندسوا في صفوفهم، منتحلين الغيرة على الاسلام، والدفاع عن مبادئه، والدعوة لاتخاذه منهجا للسلوك، متهمين مخالفيهم بما لم ينزل الله به سلطانا، محرفين بذلك كلام الله عن مواضعه.

وان المغرب، الشديد التمسك بالاسلام عقيدة ومنهجا، لا يؤثر في شعبه انحراف المنحرفين، ولا تطرف المتطرفين.

فقد تأسست دولته الاسلامية منذ فجر الاسلام ــ وما تزال الى ان يرث الله الارض ومن عليها ــ وقامت حركته الوطنية منذ العشرينات من هذا القرن، على أسس منهجه وهداه، لم تؤثر فيها عواطف الانحراف، وزوابع التطرف، والمغرب كان قبلنا بلدا مسلما، وسيبقى بعدنا بلدا مسلما، لأن تلك ارادة شعبه وارادة الشعوب من ارادة الله، لان الأمة الاسلامية لا تجتمع على ضلال.

العلم 2 دجنبر 1986

المغرب العربي

— 1 —

إن ما كتبه عدد من المعلقين الصحفيين في الجرائد الوطنية عن تصورهم لما يجري في المغرب العربي يعبر عن إيمان راسخ بالمصير الواحد لسكان هذه المنطقة من الحدود الليبية ــ المصرية، إلى الحدود الموريطانية ــ السينغالية. كحلقة ذات خصوصية جغرافية، وتاريخية غير منفصلة عن مناطق عديدة أخرى، لها هي أيضا خصوصياتها الجغرافية والتاريخية، حيث أن بيننا ما يسميه علماء الأصول بالخصوص والعموم الوجهي، فيلتقيان في الهدف وينفرد كل طرف بخصوصياته الإقليمية والقطرية.

ولكي لا ينتشر في الفراغ هباء ما يكتب وينشر، ولكي لا يبقى الإهتمام بما يدور في المنطقة وحولها من صراع إرادات إقليمية ودولية، عاجزاً عن إدراك الواقع، فقد يكون من قبيل إثراء الحوار أن نقوم بإطلالة سريعة على المنطقة، وهي إطلالة لا أدعي لها الإحاطة والشمول، وإنما هي نظرة عابرة يلتقط البصر من خلالها المعالم البارزة للصورة، من غير أن يتمكن من رؤية ما تخفيه هذه المعالم... إنما نظرة من زاوية حادة تضيق مسافات ما بين خطوط الرؤية في مبتدئها، وقد يعجز الفكر عن الحصر والتحديد حين تتسع المسافات بين الخطوط وتطول.

أول ما يلتقطه البصر، تضارب الاختيارات السياسية في دول المنطقة، مما يحدث باستمرار تصادما بين الواقع والأمل، وبين الطموح والقدرة، بين الإمكانات والواقع. فقد نشأنا مؤمنين بالمغرب العربي، وترعرعت أحلامنا ونضجت، مضمخة بأريج دماء الشهداء، وما كدنا

نتملك وسائل تحقيق الأمل، حتى صدمتنا المصالح، وواجهتنا الرواسب التاريخية، وأحاطت بنا مصالح دولية، وإرادات متربصة لخنق الحلم ووأد الأمل، وأصبح قدرنا ان يبقى المشعل وهاجا عسى أن نسلمه لجيل آخر غيرنا وفتيله ما يزال مشعا يضيء أمل الأجداد والآباء عسى أن يحققه الأبناء والأحفاد.

وأول ما يتراءى في هذه الإطلالة، تباين الاختيارات السياسية والإقتصادية والإجتماعية في كل دولة من دول المنطقة، مما يجعل الحوار بينها حواراً تستعمل فيه قواميس متعددة، مفرداتها متغايرة، وكلماتها متناقضة، فلا يبقى مجال لتفاهم قبل توحيد المصطلحات لمغربة اللغة، وجعل لغة التخاطب واحدة.

ما هي جذور التباين؟...

من المسلم به في المجال الدولي أن السياسة الخارجية لأية دولة هي مرآة لاختياراتها الداخلية، وانعكاس لها، فالتفاعل بين الوضع الداخلي والقرار الخارجي ليس بالظاهرة الجديدة في العلاقات الإنسانية والدولية، ويختلف نظام سياسي عن نظام آخر في سياسته الخارجية بحسب أسلوب الحكم الداخلي لكل نظام.

ويبقى للحديث صلة.

العلم 10 دیسمبر 1986

المغرب العربي

— 2 —

إن كون اساليب الحكم في بلدان المغرب العربي تتفاوت في فلسفتها، وتتباين في سلوكها، يؤثر تأثيرا مباشرا على سياستها الخارجية، فاسلوب الحكم في المغرب القائم على تعدد الاحزاب، وعلى اتساع نسبي في الممارسة الديمقراطية، يواجهه في الجزائر حكم عسكري لن تستطيع كل الاردية المصطنعة أن تستر تسلطه عسفا وقسرا على القرار السياسي. وفي تونس اسلوب حكم يقوم على نظام الحزب الواحد تتجمع في يد رئيسه جميع صلاحيات اتخاذ القرار، مع وجود مجلس نواب لا تتعدى اختصاصاته اختصاصات مجلس شوري الحكومة — اذا كان بعضكم يذكرونه، او المجلس الوطني الاستشاري في مطلع الاستقلال بالمغرب. وفي ليبيا نظام حكم لا هوية له، وانما هو نظام فريد يخلط بين الحكم العسكري، واسلوب الاستشارة الشعبية المباشرة.

وتستشعر هذه الانظمة بالحرج والضيق الشديد، والنفور الواضح من الاختيار المغربي، وترى فيه تحديا يخلق لها مصاعب امام جماهيرها، فهي لذلك تواجهه بالمقاومة، وبالتقليل من أهميته، معتبرة إياه نشازا في منطقة تمتد متسعة على طول ساحة عربية وعرضها تقريبا، باستثناء مصر، اختارت أنظمتها اساليب سياسية بعيدة عن رغبة الجماهير الحقيقية وطموحها، بل انها كانت السبب في كل الكوارث والنكسات التي ما يزال المواطن العربي يعيش تحت وطأتها متحملا اصرها والاغلال.

فنظام الحكم في الجزائر لا يريد بجواره مغربا مزدهرا ومستقرا يتمتع المواطنون فيه بحرية الانتماء السياسي، وبحرية معارضة الحكومة او تأييدها، لذلك ستبقى زعزعة استقراره داخليا، والتشويش عليه خارجيا هدفا استراتيجيا للجزائر، ذلك كان تخطيط العقيد هواري بومدين، وذلك سلوك العقيد الشاذلي بن جديد، وذلك سيكون سلوك اي عقيد او جنرال يحكم الجزائر في المستقبل، ما دام الشعب الجزائري الشقيق غير قادر على التعبير بحرية واطمئنان عن رأيه واتجاهه.

ويقوم التخطيط الجزائري في مواجهة المغرب على

— استغلال بريق الثورة الجزائرية في دول العالم الثالث.

— التلويح بالتهديد المستمر لهذه الثورة والتآمر على اشتراكيتها.

— محاولة خدش الجبهة الداخلية في المغرب بالحرب الاعلامية.

— العمل على تصعيد التوتر في المنطقة، والتضخيم الاعلامي والضغط الديبلوماسي من وراء قناع المرتزقة والاشباح.

— استنفار اليسار العالمي، واستغلال صراعاته الداخلية.

— جعل المغرب في حالة استنفار دائم قصد انهاكه اقتصاديا، وتعطيل مشاريع التنمية وخططها فيه.

ذلك تصنيف سريع للاستراتيجية الجزائرية في خطوطها العامة، والتي قد تندرج فيها مطامع وغايات سواها، ستكون موضوع الهموم غدا بحول الله.

العلم 11 ديسمبر 1986

المغرب العربي

— 3 —

ان المسؤولين الجزائريين يؤمنون بأن قضية الصحراء المغربية قد انتهت سياسيا وعسكريا، وان الاجماع الشعبي من الكويرة الى الداخلة، لم يعد فيه مجال للاختراق او التأثير أو التراجع، وان الجزائر لن تستطيع الرجوع بالتاريخ والاحداث الى الوراء، و لم يكن موضوع الصحراء في التخطيط الجزائري الا ورقة من اوراق عديدة لمحاصرة المغرب، وخلق المشاكل له تقليصا لحجمه واضعافا لامكاناته، ودفعه دفعا الى عزلة تفسح لها المجال للاستئثار بالمنطقة، اقتصادا وسياسة، فتصبح بذلك الكوكب الذي تسبح في محيطه نجوم باهتة تستمد ضوءها من الكوكب الساطع.

وفي هذه المحاولة فان اخواننا الجزائريين لم يقرأوا تاريخ المغرب و لم يتعرفوا على ثوابت سياسته منذ استعمل المغاربة الجمال في تنقلاتهم الى عصر الطائرات النفاثة.

ان المغرب قد يحاصر بحرا وبرا، ولكنه يقاوم الحصار ويفكه عنه، وما غزوات الهولانديين والبرتغاليين والاسبان والفرنسيين طيلة القرون الماضية الا صورة لما تسعى له الجزائر اليوم، وقد استطاع الشعب المغربي ان ينتصر على المحاصرين جميعا، وفي ظروف داخلية وبامكانات بشرية واقتصادية ودفاعية اضعف بكثير مما هو عليه اليوم.. كان ينتصر حينا، وينهزم حينا آخر، ولكنه لم يستسلم ابدا، وكان هدفه من مقاومة الحصار وتضحيته الموصولة للقضاء عليه هو رفضه للعزلة، لانه بحكم موقعه الجغرافي لا يستطيع الحياة في عزلة عن

الجنوب والشمال بصفة خاصة، اما من ناحية الشرق، فقد كان دائما صاحب القرار في المشاركة او التراجع، وحين يقرر المشاركة، فلان دوره يكون مؤثرا وفاعلا، لا يتأثر فيه بحسد او غيره، وانما يتأثر سلوكه بحرصه على كرامة امته العربية، وعلى مساهمته في اعزاز كلمة المسلمين، وجمعهم على كلمة سواء.

وما يتعرض لمحاولات الحصار والعزلة، الا لهذا الدور الذي يقوم به خارج حدوده، ويسعى الحكم الجزائري الى تنفيذ ما عجزت القوى الاستعمارية ان تحققه بحشد كل ما تعجز جزائر اليوم عن حشده من قوة لقهر المغرب ووأد رسالته، واذن، فان نقطة البداية والانطلاقة في بناء المغرب العربي، هي ان نفهم حقائق التاريخ والجغرافيا، وان نستوعب ما نفهم، وان يكون سبيلنا لهذا الفهم هو ادراك الواقع، وتحصين مبادئنا واهدفنا، كي يبقى اختيارنا الديمقراطي وسيلة لتعميق ايماننا بالمغرب العربي الموحد، وبأمتنا العربية الواحدة، وبانتمائنا الافريقي، وتفتحنا على العالم من حولنا.

ان التحدي الرئيسي في منطقتنا هو تحد ديمقراطي، وعلينا ان نكون مثالا في سلوكنا الديمقراطي، لشعوب المنطقة التي تتطلع الينا، رغم الكبت والقهر. فالخطوة الأولى لبناء المغرب العربي هي حرية المواطن في التعبير عن رأيه، وحريته في اقامة مؤسساته السياسية، وحريته في اختيار ممثليه، وعدم فرضهم عليه بالضغط والتزوير، فتجربة الحزب الوحيد، سواء كان يرتدي بذلة مدنية، او كان يرتدي رداء عسكريا، واصطناع الاحزاب، يقلص من عدد لافتات الولاء للوطن، او يجعلها لافتات تعبر عن رأي كاتبها وليست نابعة المحتوى من ايمان الشعب وعقيدته.

فحين تعم الديمقراطية في منطقتنا حينئذ يمكن ان نتحدث عن المغرب العربي

العلم 12 ديسمبر 1986

المتنبي

ما اعجب هذا الشاعر الاصيل ابو الطيب المتنبي، فما راودتني فكرة سياسية، او خاطرة اجتماعية، او انتابتني حالة نفسية من هذه الحالات التي تتعاقب علينا متفائلين او متشائمين، هادئين أو ثائرين، راضين او ساخطين الا ووجدت عنده بيتا اغناني عن قراءة مقال أو كتابته، وعبر في صدق عن الفكرة والخاطرة والحالة النفسية.

ولعلكم ـــ او معظم قرائي ـــ ستشاطرونني هذا الاحساس اذا قرأتم ما سأكتب من ذاكرتي مما سيتداعى اليها من أبيات للمتنبي، وستجدون فيها ما يعبر عن همومنا واهتماماتنا المعاصرة، فالانسان واحد، سواء كان في عصر المتنبي أو في عصر المتشاعرين، لا قيمة للزمن، ولا معنى للمكان.

استأذنكم في ان امسك قلمي عن الكتابة، لافسح المجال للذاكرة، وعساها ان تسعفني، فتمتع ذهنكم، وتستفز مشاعركم، فتزدادون حبا لهذا المتنبي ان كنتم تحبونه، أو تكتشفونه ان كنتم لا تعرفونه، ولا أومن بمثقف عربي لا يعرف المتنبي ولا ينفعل وجدانه لسماع شعره

يقول المتنبي

وجرمٍ جرَهُ سفهَاءُ قـوم   وحلَّ بغير جارمِهِ العَذاب

★ ★ ★

نحن بنو الموتى فما بالنـا   نعاف ما لابد من شربه

★ ★ ★

لم يُرَ قرن الشمس في شرقه   فَشَكَّتِ الأنفس في غربـه

★ ★ ★

وأتيتَ معتزِما ولا أسـدٌ ومضيتَ منهزماً ولا وَعِلُ

★ ★ ★

وانما نحن في جيل سواسية شر على الحر من قسم على بدن
حولي بكل مكان منهم خِلقٌ تخطي اذا جئت في استفهامها بمن ؟

★ ★ ★

وقد يتزيا بالهوى غير أهلـه ويستصحب الانسان من لا يلائمه

★ ★ ★

ان السلاح جميع الناس يحمله وليس كل ذوات المخلب السبع

★ ★ ★

ذل من يغبط الذليل بعـيش رب عيش أخف منه الحمـام

★ ★ ★

أفاضل الناس اغراض لذا الزمن يخلو من الهم اخلاهم من الفطن

★ ★ ★

اليك، فاني لست ممن اذا اتقى عضاض الافاعي نام فوق العقارب

★ ★ ★

سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها مُنِعنا بها من جيئة وذهـوب

★ ★ ★

وشكِيَّتي فقـد السقـام لأنـه قد كان لما كان لي أعضـاء

هذه نماذج تداعت متابعة، كل بيت يعبر عن فكرة، أو اثارته حالة نفسية، وما اعتقد ان احدا منا لا تمر به كل يوم افكار وحالات يود لو وجدت تعبيرا يختصر به تفسير ما احس وما وجد.... وما أغزر شعر المتنبي بهذه المختصرات الشعرية الرائعة... ولم يصرفني عن الاستمرار في استدعائها الا ما تداعى لسمعي من كلام وصور في هذا الجهاز الذي امامي، فوجدتني اردد بدون شعور

لك الحمد، أما ما نحب فلا نرى ونسمع ما لا نشتهي، فلك الحمد

العلم 19 ديسمبر 1986

الجامعة !

«الجامعة» هي القيد الذي يشد اليدين الى العنق من الخلف، فيحد من حركتهما، فيصير المغلول «بالجامعة» مشلولا عن الحركة. ذلك هو الأصل في استعمال كلمة الجامعة، ثم تطورت الكلمة فأصبحت تدل على ما نعرفه منها اليوم عند الإطلاق والاستعمال، على عادة العرب في تطويع لغتهم وتطويرها للتعبير عن مقاصدهم المستجدة، حتى وان اختلفت دلالة الكلمة اختلافا جوهريا عن معناها الاصلي، ولكن الاستعمال الجديد لم يلغ من المعاجم العربية، ومن الفكر العربي المعنى الاصلي لها. وعلى عادة العرب — أيضا — في حرصهم على تراثهم والحفاظ عليه من الضياع والاندثار، اقتدى بهم أحفادهم فخلقوا مؤسسة تحفظ لكلمة «الجامعة» معناها الاصلي حرصا عليه من الاندثار والنسيان، فكانت «الجامعة العربية».

فحين يصف مواطن عربي «الجامعة» بانها مؤسسة جامدة مشلولة، فليس ذلك انتقادا لها، او تقليلا من شأنها أو انتقاصا من قيمتها، أو تطاولا عليها، حاشا لله أن يكون ذلك ما يقصده هذا المواطن وانما هو يشرح فقط حقيقة لغوية، ويشير الى فترة تاريخية كانت كلمة «الجامعة» تعني القيد الذي يربط اليدين الى العنق كما تؤكد ذلك معاجم اللغة وقواميسها ومجامعها اللغوية، وان الدول العربية حين ارادت ان تقيد العمل العربي المشترك، وتشله عن الحركة والفعل والتأثير، وضعت له «جامعة» واعتمدت للحفاظ عليها وحراستها مبالغ مالية، يقال انها تتجاوز ثلاثين مليون دولار في السنة.

والذين لا يفقهون فقه اللغة، ولم يسبروا اغوارها، ولم يسبحوا في محيطها لم يكتشفوا الا اخيرا ان من معاني «الجامعة» القيد والغل،

فامسكوا ــ معظمهم ــ عن تمويل الجامد، لان الساكن لا يتحرك، حتى ولو بملايين الدولارات، والعاملون فيها لم يعد شغلهم القضية، وما ادراك ما القضية... وانما يصبحون على ما يمسون عليه من البحث والتنقيب عن السيولة الدولارية خاصة وان كل تأخير في السيولة، يصاحبه هبوط في سعر الدولار، وذلك ما يتنافى مع واجب دعم العمل العربي المشترك، حتى لا يقع شلل في الحركة على الساحة الامريكية، والاوربية والاسيوية والافريقية لشرح القضية، وما ادراك ما القضية؟... وكسب مزيد من الانصار والدعاة لها على الصعيد الدولي، فالنصر النهائي أصبح قاب قوسين أو أدنى. وكل تأخير في السداد، ونضوب في السيولة الدولارية، سيكون سببا في تأخير النصر، وقد أعذر من أنذر.

ومن حين لآخر ينادي المنادي من مكان بعيد أو قريب ان تعالوا لنطمئن على حلقات وأقفال «الجامعة» هل ما تزال قوية منيعة لايطالها خلع ولا كسر... ثم ينصرفون... كل الى همومه واهتماماته مع تواعدهم في الحفاظ على الحد الادنى من الصيانة.

العلم 4 نوفمبر 1986

سياسة التبليد

في المغرب أزمة كتاب ومعاناة صحيفة ومجلة.

ولدى الحكومة اهتمام بمعد الناس وأمعائهم، ولما يستهلكون محتسبون ومراقبون.

وفي المغرب مؤسسات دستورية نسعى لأن تكون بذرة صالحة لديمقراطية سليمة في المستقبل. وأساس هذه المؤسسات هو البرلمان، وسيكون عملا مفيدا ان يسعى البرلمان لسن قوانين تحمي عقول الناس، كما تحاول الحكومة — وفق اجتهادها — أن تحمي معدهم والامعاء...

فكما تسعى الحكومة لتحسين مستوى معيشة المواطنين، على البرلمان — في غياب سياسة حكومية ثقافية وفكرية، أن يسد هذا الفراغ، وأن يسعى لرفع مستوى الحياة الفكرية والثقافية، وذلك بالعمل علي توسيع اختصاصات دعم الحكومة لبعض المواد الاستهلاكية الضرورية حتى تعم المواد الفكرية الضرورية لنمو الفكر والعقل. فالتداول الواسع للكلمة المطبوعة من بين أهم مقومات الديمقراطية لدى أي شعب اختار الديمقراطية سبيلا له، ولسنا في المغرب أي شعب، كما لا أحتاج أن أقول؟

ورفع مستوى الفكر والعقل لا قيمة له الا بتوفر الحرية، حرية التعبير وحرية النقد، حتى لا نقول ان من الافضل لنا أن نبقى أميين...

واذا كان الكتاب والصحيفة مظهرين من مظاهر الديمقراطية، فيجب أن يحظيا باهتمام خاص من قبل الدولة لتعويض التقصير الملموس في الاجهزة الخاضعة لاشرافها المباشر، وقد لا يكون التقصير متعمدا، وانما هو ناتج عن تعدد الميول، وتنوع الاتجاهات، واختلاف الرؤيا

عند الجهاز المشرف على وسائل الاعلام والثقافة.

واذا لم نفعل ذلك، فسنقع في تناقض غريب.

فنحن من جهة ننشرّ الوعي الديمقراطي بواسطة الصحافة غير الخاضعة لأشراف الحكومة، ومن جهة ثانية نجعل من الوسائل الاقوى تأثيرا سبيلا لتبليد العقول، وتعميم الأمية الفكرية، ودفع الناس، ليعبثوا بالوقت الذي يستطيعون اتخاذه وسيلة للاهتمام بعقولهم ومتعهم الفكرية والثقافية...

العلم 5 دیسمبر 1986

الدار البيضاء ؟

ألا تنبهرون حين تجدون أنفسكم ضائعين في مدينة الدار البيضاء؟ انها مدينة المتناقضات، ولعل تلك سمة جميع المدن الكبرى في العالم، فانت في الدار البيضاء لا تدري اهي مدينة الاغنياء والأثرياء، الذين يصح في وصفهم القول المأثور.

قل لي أين ينفق فلان مالــه
أقل لك مـن أيـن جـاء بــه

وانها كذلك مدينة الفقراء والمساكين، بصل التقى ببعض فئات الى حد الزهد الصوفي، ويصل التفسخ بفئة منهم الى الانحلال والتحلل.

في مدينة الدار البيضاء تجد التطرف الدنيوي، يعيش في زحام مع التطرف الديني. اذا تطلعت لوجوه الناس، وتفرست في ملامحهم لا تدري هل ما انتقل من نظراتهم اليكم احساس بالرضا والقناعة، وتسليم امورهم لقضاء الله وقدره يتصرف بها كيف يشاء؟ ام ان وراء الوجوه الهادئة، والملامح الصامتة اسرار مكبوتة لا يعلم احد خباياها، ولا يدري مسارب اتجاهها؟

وانا اتصفح اوراقي وجدت في العدد 210 من جريدة الترقي الصادرة في مدينة طنجة يوم 30 يناير عام 1918 احصائية عن سكان المدن المغربية وكان لا يتجاوز نصف مليون الا ببضعة الاف. وكان نصيب مدينة الدار البيضاء من هذا العدد هو 82,500 مغاربة واجانب. اي انه في سبعين سنة اوشك عدد سكان المدينة البيضاء، ان يصل الى خمسة ملايين نسمة. وبالمقارنة بين سكان المدن المغربية منذ سبعين سنة، فلا اعتقد ان عدد المغاربة قاطبة اذ ذاك وصل الى عدد سكان مدينة الدار البيضاء وحدها في نهاية عا 1986.

ولعل من المفيد للباحثين الاجتماعيين او للمهتمين بالنمو السكاني في المغرب وما يتولد عنه من مشاكل اجتماعية وانسانية واقتصادية... وسياسية، وان يقرأوا الاحصائيات التالية عن سكان أهم مدن المغرب منذ سبعين سنة

الرباط	37,560
القنيطرة	3,250
سلا	20,452
وزان	1,609
فاس	105,855

ان جيلا بكامله قد كان في مرحلة الطفولة في عام 1918، حين كان سكان مدينة الرباط لا يصل الى اصغر حي من أحيائنا اليوم، ولست ادري كيف استطاع ان يتفاعل مع هذا التطور المذهل، وهو محتفظ بتوازنه النفسي والفكري.

اما بالنسبة لي وأنا من الجيل الذي يليه فانني بصراحة، مبهور اذا لم اصف حالتي بالضياع.

العلم 21 ديسمبر 1986

نحن ومصر

أستسمحكم على هذا التطفل، وأنتم حماة الفكر، وسدنة الكلمة ورسل الثقافة، فأنا لست مثقفاً، ولا أدعي أن لي صولة في الأدب أو الفن وانما وجودكم في مقر إقامتي ــ كسفير للمملكة المغربية في جمهورية مصر العربية يفرض علي أن أقول كلمة باعتباري مواطنا يحمل في يمناه هويته المغربية العربية، ويحمل في يسراه هموم هذه الهوية، هائماً بما تحمل اليدان، يتجول بهما في هذه البقعة الفسيحة من مشرق العالم العربي ومغربه، زائغ النظر في أجوائها يبحث عن ثغرة بين سحبها الداكنة عساه ينفذ منها فيجد شعاعاً من المعرفة والفكر يخترق هذه السحب وينشر ضبابها.

ومن سواكم أقدر على فتح هذه الثغرات ؟

ان المثقف في الدولة الديمقراطية رسول يحمل رسالة الدفاع عن مقومات الثقافة وجوهرها، صوناً لها من عبث العابثين، وتسلل المتطفلين، وتسلق الانتهازيين. فالدفاع عن حرية المثقف، وحرية التعبير في جميع المجالات الابداعية للانسان العربي مسؤولية سياسية، وواجب قومي.

إنني ممن يؤمنون بأن للثقافة حدوداً ومعالم جغرافية وزمنية، وإلى أن يتطور المجتمع البشري، في القرون القادمة الى وحدة متجانسة في مشاعرها، وطبائعها، فان المرء سيظل يألف القوم الذين هو منهم، ويعتز في قرارة نفسه بالقومية التي يدينون لها في نشأتهم ويدينون بها في التفكير والسلوك.

ان مسؤولية المثقف في المغرب ومصر قد تكون مسؤولية لها خصوصية لا أجد حرجاً في القول بأنها غير قائمة في غير مصر والمغرب.

وهذه الخصوصية هي مساحة الحرية التي يتنفس فيها الانسان المغربي والمصري، وفي هذه المساحة ــ رغم اختلاف تقديرينا لحجمها واتساعها ــ يستطيع المثقف أن يعمق ايمان الانسان بالديمقراطية الحق، والحوار الايجابي، فبدون ديمقراطية حق، لا توجد حرية، وبدون حرية لن يكون مجال للمسؤولية والمحاسبة، فالمسؤولية وليدة الحرية، فأنت مسؤول لأنك حر... والمثقف في هذه المساحة من الديمقراطية الحق، والحرية الكاملة جهاز إرسال واستقبال، وهو بغير الحرية والديمقراطية جهار استقبال فحسب. ولقد عانى المثقفون الأهوال في كل مجتمع حين أرغموا على أن يكونوا أجهزة استقبال وترجيع لما يريده خصوم الحرية والديمقراطية، وقد آن للمثقفين أن يقوموا بأداء رسالتهم، لينشروا الوعي، ويبشروا بالخير والعدل في غد مشرق جميل.

ارتجلت في حفل أقمته لمثقفين مغربيين ومصريين في عام 1988

رسالة الى حفيد

حفيـــدي العــزيـــز ،

لست أدري من سيكون والدك؟ أهو أحد أولادي الثلاثة، أم هو مواطن من جيلهم على عتبة الجامعة، أو تخطى بقدميه باب المدرسة الثانوية ؟..

انه بدون شك أحد الذين تابعوا حوار ايفران وأيامها التاريخية، وهو أيضا أحد الذين يتتبعون ما يقدمه أبناءنا وأحفاد أجدادنا وجدودك من تضحيات في صحرائنا.

في ايفران كانوا يصنعون لك أبا تفخر به، وفي الصحراء يسيجون لك وطنا تعيش فيه سيدا، حرا في إرادتك وفي اختيارك.

أحد أولادي الثلاثة ــ أو أحد سواهم ــ سيكون لك والد ،

من هـــو ؟

لســـت أدري ؟

ولكن الذي أدريه ان جريدة العلم بعد ثلاث وستين عاما حين تضحي في عقدك الخامس، وحين تكون أحد رؤساء تحريرها فان اسمها وأنت تكتب مقال الاحتفال بمائة عام على صدورها سيكون هو «العلم».

ستذكر وانت تكتب مقالك ذلك أو تمليه ان العلم لم تكن ملك فرد أو هيئة، وانما هي مؤسسة وطنية أنبتتها أرض لا يخرج نباتها الا طيبا.

ليس من ورق اهابها، ولا من حبر كلماتها، وانما هي ابنة تجربة قومية مغربية الأصول والجذور، أراد الغزاة قهرها فما قدروا، وكأنهم

بيننا لا حلوا، ولا نزلوا، لأنها تجربة احتضنتها أمة كان تعدادها يوم ميلاد «العلم» لا يتعدى عشرة ملايين، فلا يغرنك أنك تعيش وسط شعب يبلغ مائة مليون أو يزيد.

ستذكر وانت تتلقى مآت البرقيات والرسائل والأخبار والصور تنقلها اليك الاقمار السابحة في فضاء الله الواسع ان العلم حين صدورها وحتى الآن لا يتجاوز عدد محرريها أصابع اليد الواحدة، وفي فترة من الفترات كان يصدرها شخصان لا ثالث لهما فيما أذكر.

لا يغرنك ايها الحفيد العزيز أن بين يديك أحدث وسائل الطباعة واسرع وسائل النشر والتوزيع، فلو لم تصف مقالاتها واخبارها حرفا بحرف، ولو لم تنقل في عربات تجرها أحصنة، وعلى دراجات متآكلة الأطراف وعلى كواهل المتطوعين لما وصلت اليك، ولما كنت في يومك ذاك الذي أراه قريبا تقتعد كرسيك وتكتب مقالك أو تمليه احتفالا بمرور مائة سنة على صدورها.

ستنزعج من ضخامة فواتر المراسلين والمخبرين ومرتبات المحررين ولكن في أيامنا لم نكن نتقاضى مرتبات ولا مكافآت على ما نكتبه وتنشره لنا العلم.

كنا متطوعين حتى بثمن الحديث معها بالتلفون، فقد كانت غرامنا الذي لا نمل من التهاتف معه.

كانت نافذتنا على العالم، ورايتنا المشرعة في وجه الغاصب والظالم، كانت سلاحاً نافذا ما استطاع دهاقنة الاستعمار أن يفلوا منه، لأن فولاذه صهرته عقيدة اسلامية راسخة، وشحذته قومية مغربية عربية.

حفيـدي العـزيـز ،

لا تتسرع في كتابة مقالك   وافتح قبل ذلك مجلدات العلم،

ولا تخشى على هندامك من غبارها، فليس في مكاتبكم غبار يوسخ أصابعك، ويثير حساسية أنفك.

ستفخر بما سترى في هذه المجلدات.

اقرأ كلمة جلالة الحسن الثاني وهو يضع حجر الأساس لبناية العلم الأولى قبل تسعين عاما في شارع علال بنعبد الله في الرباط، أيام كانت الرباط عاصمة المملكة، وحين تفعل ذلك ستنفعل لمغرب أجدادك كيف كان لحمة واحدة ونسيجا متماسكا من عرش أصيل، وشعب وفي أمين، وسترى أية أرحام مجيدة تقلبت فيها وأي أرض طيبة روت عروقك بالوفاء والاخلاص حتى أوصلتك لذلك المكتب الذي تكتب فيه الآن مقالك للاحتفال بمائة عام على صدور العلم.

ما من سبيل لأنقل لك انفعالي وأنا بين يدي ولي عهد المملكة الحسن الثاني وهو يضع حجر الأساس لبناية العلم، ففيه وفي والده محمد الخامس قدس الله روحه كانت تتجسم كل ما تستشعره قلوبنا من آمال، وما يملأ صدورنا من طموح، وما يهز أعطافنا من نشوات الاعتزاز والثقة.

ذلك جيلنا أيها الحفيد العزيز ،

حرر الوطن، ووحد الأرض، وأقام السدود، وحاول أن يترك لكم وطنا اذا لم يكن كما أردتم فانه بمقاييس واقعنا، وبالظروف الدولية المتصارعة من حولنا أفضل مما أردنا، فما عليكم إلا أن تواصلوا المسيرة مزودين بما أورثناكم من حب، وما أرضعناكم من وطنية.

مائة عام على صدور العلم !

ما أروع الحدث وما أعمق معناه أيها الحفيد العزيز.

فليس من ورق اهابها، ولا من حبر كلماتها.

أراد الغزاة قهرها فما قدروا، وكأنهم بيننا لا حلوا، ولا نزلوا.

كتب بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والثلاثين لصدور جريدة «العلم» في 11 سبتمبر 1980

عندما تحتفل بذكراها المائة

الصديق الاستاذ عبد الكريم غلاب، حريص كل سنة على تذكيري بانصرام عام من عمري، متسترا بذكرى صدور جريدة العلم، ملحا على المساهمة بالكتابة عنها، وكنت استجيب تارة وأعرض اخرى، وما كنت ادري ان الابنة العزيزة بلغت اشدها، وتخطت حد الثلاثينات، واتمت عقدها الرابع لولا مفاجأة الصديق غلاب بان «العلم» ستحتفل بذكراها الاربعين، مؤكدا انها كاملة، غير قابلة لتخمين او تفكير أو مساومة.. وهو بإغرائي بالكتابة يريد ان ينتزع مني اقرارا بدخولي مرحلة الشيخوخة.. لاني اذا كنت اذكر يوم صدور العدد الاول من العلم، واكاد أصف وصفا دقيقا شكله وحجمه وموضوعاته بل اذا كنت استحضر الآن الدكان الذي اشتريت منه هذا العدد في قيسارية درب السلطان بالدار البيضاء، فكم كان عمري حينئذ ؟...

اطمئن الصديق غلاب بان تلك ليست قضيتي... ولا تشغل فكري، وانما قضيتي وما يشغل فكري، هو هذه الاحداث التي عشتها منذ ذلك اليوم الى الآن، هل صحيح لا يزيد عمرها عن اربعين سنة ؟

الا يبدو ذلك مستحيلا..؟ اذ يخيل الي — وانا استعرض بعض ما حدث في هذه الأربعين سنة — اني لم اعشه، وانما قرأته في كتب قديمة لا ادري مبلغها من القدم، او اني تلقيته بروايات متواترة ينقلها الابناء عن الاجداد للاحفاد، واحاول الاحتفاظ بهذا التقليد فانقلها لاولادي وهم لا يصدقون ما اروي لهم الا اذا رجعت به لعقود قديمة بعيدة عن الأربعينيات والخمسينات من هذا القرن.

اربعون سنة !

كانت بدايتها مقاومة الاستعمار وتحرير الوطن، وتوحيد اجزئه، وتثبيت هويته الاسلامية وانتمائه العربي، وتحرير المواطنين من الخوف والقلق والذل والمهانة ليستأنف مواصلة حياته التي عطلتها الحماية الفرنسية والحماية الاسبانية والادارة الدولية فيعيش حرا في قريته ومدينته، سيدا في وطنه الموحد، لا تعلو ارادة احد سواه على ارادته.

وكانت مقدمة ذلك جلية في الانبعاث الوطني الذي واكب اعتلاء محمد الخامس رضي الله عنه عرش المغرب، فقد كان الهدف واضحا، هو القفز على حاجز الحماية، من غير ان تفقدنا حركة القفز توازنا عاش معنا وعشنا به طيلة وجودنا على هذه الأرض.

ولعل من الواجب ان امهد لهذا الانبعاث الذي ظهرت العلم نتيجة له، وهو تمهيد قد يكون من المفيد العودة به — في إشارة عابرة — الى العقدين الاولين من القرن التاسع عشر، حين بدأت الأطماع الغربية تتجه صوبنا، واذ ظهر لها صعوبة اقتحامنا مباشرة حاولت الالتفاف حولنا من جهة المشرق العربي، — وعيون الشرق العربي السياسية دائما متطلعة نحونا منذ ادريس الاول الي اليوم — فتم الاتصال بين فرنسا وبين محمد على والي مصر، وكان ولده ابراهيم يقف بجيشه على مشارف دمشق والحجاز في محاولة مصرية لتكوين دولة عربية واحدة تخلف الحكم العثماني أو الخلافة الاسلامية فارادت فرنسا باتفاق مع انجلترا ان تصرف محمد علي عن فتوحاته في الشرق، لأن تحقيق هدفه سيحول بين الدولتين، وبين خطتهما في اقامة حاجز بين العرب في افريقيا والعرب في آسيا، وهو حاجز الدولة اليهودية في فلسطين، واوشك الاتفاق ان يتم بين مصر وفرنسا في توجيه فتوحاتها نحو ليبيا حتى يصل جيشها الى مراكش... ولكن محمد علي بحسه السياسي ادرك استحالة تحقيق هذا الاغراء، رغم وعود فرنسا بتقديم البواخر

الحربية التي تحمل جيشه إلى الشواطئ المغربية.. وإثر ذلك تصرفت فرنسا وحدها فاحتلت الجزائر... وكانت الاحداث التي استمرت قرابة مائة سنة فرضت نتيجة لتطورها تجزئة المغرب، واستعمار أجزاء منه، وفرض الحماية على أجزاء أخرى...

ورفض الشعب ها الواقع وقاومه بكل وسائل المقاومة التي كانت متاحة له، الى ان تمكنت طليعته من تأطير هذا الكفاح، وكان محمد الخامس القائد الذي يملك المشروعية السياسية والدينية لقيادة هذا الكفاح، فاذا كان رؤساء الحركة الوطنية معرضين كل حين لاتهامهم بالاخلال بالامن، والتمرد على السلطة، فان محمدا الخامس وحده يملك المشروعية التي تجعله قادرا على الوقوف في وجه السلطة المزورة والمفروضة من غير سبيل للتطاول على مقامه، وكان جلالته يعلم ان ما يتعرض له شعبه من اضطهاد وعدوان، هو تنفيس على عجز الادارة الاستعمارية عن الوصول اليه مباشرة، كان يزرع، وكانوا يعملون لاقتلاع هذا الزرع قبل نمائه، وكان يوحد، وكانوا يسعون لتجزئة الشعب كما جزأوا الأرض، وكان يعلم وكانوا يريدون بقاء الشعب في الجهالة.

وبلغ التحدي في صراع الارادات ذروته حين حاول الاستعمار ان يفصل ممزوجا، وان يجزئ متحدا، ويوهم بان الشعب شعب، والعرش عرش، ولا علاقة بين المؤسستين الا هذه الروابط التي يمكن تفتيتها، وكان الانتصار المبهت يوم 20 غشت عام 1953، حين رفض جلالة المغفور له محمد الخامس هذا المنطق، وقال للمستعمرين اذا كان منطقكم سليما، وتحليلكم للعلاقة بين الشعب والعرش صحيحا فدونكم ومواجهة الشعب مباشرة ليقول كلمته الفاصلة، وانا اقبل حكمه، ملتزما بارادته، ولا اجد ابلغ ولا اصدق من كلمة «الرفض»

اصف بها ما حدث يوم 20 غشت 1953.

وقال الشعب كلمته، فكانت جوابا فاصلا في علاقة شعب وعرش لمن لا يقرأ التاريخ، ولا يعرف هذا الشعب ممن يفكرون اليوم بعقلية المستعمرين يوم امس.

وظهرت العلم في شهر سبتمبر 1946. ولعلنا نستذكر، او بالاصح يستذكر جيلي، نشاط ولي العهد في هذه السنة بالذات، وهو ابن السبعة عشر ربيعا، في بداية مرحلة الشباب وما تزخر به نفس شاب متاحة له كل اسباب الراحة والاستمتاع بالشباب... ولكنه محمد الخامس وهو لسان امته، وضمير شعبه أبى على سموه أن يخلد للراحة والاسترخاء.

فقد قرر جلالة الملك محمد الخامس ان يرعى بنفسه حركة القفز على حاجز الحماية التي عمت البلاد ووجد في قادة الحركة الوطنية وفي المنضوين فيها جنوده لنشر دعوته والتبشير بها ونقل افكاره ومنهجه الى وعي الجماهير.. وكانت «العلم» المسجل والمعبر، وحين اقرأ خطب سمو ولي العهد في هذه السنة 1946، ارى واستوعب افكار الحسن الثاني التي كانت اساس فلسفته وتفكيره وسلوكه بعد مرور اربعين سنة عليها وعلى هذه المرحلة التي صدرت فيها جريدة العلم.

في شهورها الاولى كانت السجل لخطبه التي افتتح بها سموه انذاك مدارس ومعاهد وتحدث فيها عن الاصالة والحداثة عن الانتماء العربي، عن الحرية وعن الوطن الحر والمواطنين الأحرار.

في احدى تلك الخطب يوم 2 اكتوبر 1946 بعد صدور العلم. بثلاثة اسابيع يقول: «يعد الأقوام عظماءهم بالالاف وعلماءهم في كل ميدان. يعدون اطباءهم بالالاف ولا نجد عشرة منهم نفخر

بهم بين الناجحين».

ذلك هو الظرف الاجتماعي الذي صدرت فيه العلم منذ أربعين سنة... واليوم هو صحيح ان ما حصل في المغرب من تطور وتقدم وتغيير لا يزيد عمره على اربعين سنة ؟..

كانت رسالة «العلم» اعظم مظهر للكفاح السياسي، قبل استيئناف المقاومة والكفاح المسلح، وكانت معركتها هي المطالبة بالحريات العامة وبالحق النقابي وما يندرج تحت هذين المطلبين من حق الشعب في الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية والتمتع بحقوق الانسان.

ولعل جيلي يذكر مساهمة بلادنا في الدفاع عن حقوق الانسان ـــ والحقوق السياسية جزء من هذه الحقوق ـــ في جميع المؤتمرات الدولية التي عقدت لتنظيم هذه الحقوق حتى قبل ان يتمتع بها، ولعل السيد احمد العلوي والسيد عبد الله ابراهيم يتذكران أنهما كانا ضمن وفد بعثه حزب الاستقلال الى المؤتمر الدولي بجنيف ليقدم مذكرة عن تصور المغرب لحقوق الانسان، وعن الظروف التي يعيش فيها الشعب المغربي تحت جبروت الاستعمار الفرنسي والاسباني، بل ان قضيتنا لم تقدم في المحافل الدولية الا تحت شعار حقوق الانسان.. وانتهاكها في المغرب.

بدأت عام 1946 قارئا، العلم، ومنذ عام 1949 اصبحت احد كتابها، وحسن ظن المشرفين على التحرير فيها، فاسندوا الى الاهتمام بالطبقة العاملة وتخصيص صفحتين كل اسبوع للدفاع عن حقوق العمال، وفضح ما يتعرضون له من استغلال، خاصة في ميناء الدار البيضاء ومعاملها، وكانت فترة من امجد فترات تكويني الوطني والصحفي، فقد هيأت لي فرصة الحياة المستمرة مع العمال في احيائهم

القصديرية والمشاركة في معاناتهم اليومية والمساهمة في حركتهم النقابية بزنقة لاسال في مقر سي، ج، ت، وكان زعماؤهم الحقيقيون صوفيين في سلوكهم ليس عن عجز او قصور. كانت مغريات عهد الاستعمار للتكسب والاثراء تغاضيا عن طموح الشعب لا تختلف عن المغريات التي اعقبت الاستقلال ولكن هؤلاء الزعماء طوتهم كثبان النسيان بعد ان تسلق على اكتافهم آخرون أعرف كيف تسلقوا، وكيف وصلوا...

كانت الطبقة العاملة ومعاناتها احدى اهتمامات جريدة العلم، اليها يرجع الفضل الأكبر فيما آلت اليه من توحيد صفوفها وتكثيف سلوكها، ودمجها في الحركة الوطنية.

ان شعار الدفاع عن الحريات العامة وعن حق المواطنين في المشاركة الايجابية في تحديد اختياراتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كان ويجب ان يبقى شعار «العلم» اذا ارادت ان تبقى وفية لرسالتها، لأنها رسالة مستمرة.

قد تتغير الظروف المحيطة بها. وقد يحدث تحول في تحوير هذه الحقوق، بحكم نمو المجتمع وتقلبه في مراحل التطور البشري، ولكنها تبقى دائما هدفا ساميا يستحق مواصلة العمل لتعميق وعي المواطنين بها.

لقد كانت العلم مرآة بلورية صافية لا تعكس الا الصورة الحقيقية لما يتراءى عليها فهي لا تستطيع ان تضخم اقزاما، ولا أن تقزم عمالقة، لأن الأقزام سيبقون كذلك والعمالقة لا ينال منهم تطاول الأقزام ولا محاولاتهم في تضخيم اجسادهم او في تغيير صورهم، ولذلك فان الرد التلقائي لديهم هو محاولة تكسير المرآة... للقضاء على ما تعكسه من حقائق، ذلك ما حاوله المستعمرون مع العلم في الماضي، فكانت اقوى منهم، خدشوا صفاء بلورها في بعض الاحيان، ولكن

ما بقي منها سالما من الخدش كان كافيا لفضح أساليبهم وكافيا ليعكس الصورة الحقيقية للشعب المغربي بكل ما يحمل من تراث واصالة، وبكل ما تزخر به طبيعته من طموح للحياة الأفضل.

كم هي بعيدة هذه المسافة بين عام **1946** وعام **1986**، أجيال، تضاءل طموحها، وشاخت اجسامها، وضمرت افكارها، وأعمارها دون عمر العلم، وأجيال ما تزال تزخر بالحياة والتطور وطموح الشباب واعمارها تجاوزت عمر العلم...

لماذا ؟

قد يكون الجواب في العودة الى مراجعة اعداد العلم، ان هذه العودة تؤكد حقيقة ان من شب على شيء شاب عليه.

منذ أربعين سنة وأنا قارئ للعلم وكاتب فيها، فلم اتوقف عن ذلك ـــ مكرها ـــ الا مرتين في المرة الاولى حين اوقفتها ادارة الحماية الفرنسية ظنا منها بان التوقيف سيفت في عضد الشعب المكافح، بعد ان عجز قلم الرقيب عن اختراق عقول قرائها وافكارهم.

وفي المرة الثانية حين اريد تحريف الكلمة الخالدة لجلالة المغفور له محمد الخامس يوم عودته الى شعبه وعرشه.. «لقد ذهب عصر الحجر والحماية، وجاء عهد الرشد والحرية»، بمحاولة الغاء محتوى الظهير الملكي المؤرخ في **15** نونبر **1958** والمنظم للحريات العامة ومن بينها حرية الصحافة والتعبير. فتوقفت العلم عن الصدور احتجاجا على سلوك حكومة السيد عبد الله ابراهيم وعزمها على تقييد حرية التعبير.

وخلال هذه الأربعين سنة لم اكن ابحث في العلم عن الفن الصحفي وعن السبق الصحفي فذلك امره يسير في كل حين، ولكنني كنت وما ازال ابحث في العلم عن الخبر الصحيح، والرأي النزيه

والتثقيف الرائد والتأييد المستقيم، والمعارضة الرشيدة البناءة، والالتزام الدائم بقيم الشعب واخلاقه وانتمائه، والوفاء غير المشروط لمقدساته، وكلمة الحق تقال بغير وجل ولا قلق، لانه لا خير فيها اذا لم تقلها، فاكشاك الصحف، مليئة بمن يبحث عن تطور المدارس الصحفية وعن الجرائد المثيرة التي تدغدغ النزوع الفطري في المغاربة، في استقاء الاخبار، وتشويهها استجابة لهذا النزوع، لاحتواء اهتمامات الناس الحقيقية وتدجين افكارهم، وجعلهم مجرد «حاضرين» للفرجة ارضاء لفضول غريزي عوض ان يكونوا «مشاركين» في صنع الاخبار والتفاعل معها وخاصة منها ماله صلة موصولة بحياتهم وطموحهم تحقيقا لنزوع انساني.

أربعون سنة !!!

يا للخوارق التي تحققت في هذه الأربعين سنة، وكأن ما أنجز منها من عمل مائة سنة أو تزيد.. تغيرت مظاهر العمران واتسعت امتدادات المدن والقرى وتضاعف عدد السكان عما كانوا عليه، وشيدت الجامعات، واصبح لنا آلاف الاطباء والمهندسين والباحثين والمفكرين، وفي كل مجالات التخصص، وأضحى لنا مئات الكتاب والمؤلفين في كل فروع المعرفة، وأمسى لنا مئات الفنانين والصحفيين، وكانوا منذ اربعين سنة لا يتجاوزون في كل هذه الميادين عشرات معدودات.

كان تخرج طبيب واحد او صيدلي واحد او مهندس واحد يملأ نفوسنا بالفخر والاعتزاز، ويشار اليه حين يعرف بالاصابع ونظرات الاكبار والاعجاب.

أليس من هذا الاهتمام الموحي ان يرأس سمو ولي العهد افتتاح عيادة طبيب ومعرض رسامة وبناء مقر داخلي للتلاميذ في مدرسة، ويرعى جلالة محمد الخامس رضي الله عنه انشاء مصنع صغير ؟.

من بين ذكرى — وما اغزرها من ذكريات — اني حضرت باسم العلم تدشين سمو ولي العهد لعيادة الدكتور عبد الكريم الخطيب في طابق فوق مرأب «العلم» بدرب الكبير بالدار البيضاء، وكان فتح عيادة طبية في ذلك الزمان الذي يبدو موغلا في القدم بمثابة افتتاح سد من هذه السدود الضخمة التي تتوقف عليها حياة مآت الآلاف من الفلاحين.

في تلك الليلة سجلت في اوراقي حوارا بين سمو ولي العهد وبين السيد الحاج احمد بلا فريج عن افتتاحية مجلة «رسالة المغرب» بقلم الصديق الاستاذ عبد الكريم غلاب بعنوان رسالة المغرب تدعو لانشاء جامعة محمد الخامس، كان ذلك في عددها الصادر في شهر يناير عام 1952.

وقال سمو ولي العهد

عندي مشروع جاهز للجامعة، وقد وافق عليه سيدنا ولو توفرت لنا اطر لانجازه لارغمناهم على الاعتراف به، و«المرغمون هم الجنرال كيوم وبطانته كما لا احتاج ان أقول

وقال السيد احمد بلا فريج

اننا نستطيع ان نفتتح اكتتابا شعبيا على نحو ما فعلت دول غيرنا.

فابتسم سمو ولي العهد وقال

ليس المال ما نحتاج اليه، فسيدنا قرر ان يؤسس الجامعة من ماله الخاص، ولكن ما نحتاج اليه آسي الحاج احمد هو اطر تسيير الجامعة

ولهذا الحوار الذي جرى في مطلع عام 1952 بالنسبة لمناسبة

مرور اربعين سنة على صدور العلم، دلالة خاصة للدور الذي يمكن للصحافة ان تقوم به، فلم يكن مصادفة ان تقترن الدعوة الى انشاء جامعة مغربية بوجود مشروع مدروس وجاهز للتنفيذ عند «سميت سيدي» وتفكير في تمويله من قبل الملك الصالح المصلح محمد الخامس رضي الله عنه وارضاه، لم يكن ذلك مصادفة، وإنما كان تعبيرا عن سريان التفكير في الشعب ومستقبله بين المؤتمن على مصيره وبين اداة التعبير عن مصالحه... ان جهاز الارسال والاستقبال بين العرش والشعب جهاز موصول لا تؤثر فيه اجهزة التشويش، فهو محصن ضد اي محاولة لتشويش الارسال والاستقبال.

اربعون سنة !!!

عشر سنوات منها في عهد الحجر والحماية، وثلاثون سنة في عصر الحرية والاستقلال... وفي هذه السنوات الثلاثون، كان يشغلني دوما موضوع علاقة الصحافة بالسلطة...

هل هي علاقة التلقي، والتبعية، ام علاقة الحوار والتقصي.

بالنسبة لخبرتي فقد كانت علاقة العلم بالدولة والسلطة علاقة حوار، وتقصي للحقائق و لم يحل اعتبارها لسان حزب الاستقلال دون ان تنتقد سلوك ومواقف بعض الوزارات في الفترة التي كان لي شرف رئاسة تحريرها، والمسؤولون، عن هذه الوزارات اعضاء في اللجنة التنفيذية للحزب، ودفع موقف العلم وزارتهم الى التهديد برفع دعوى ضد العلم بل ان بعضهم هدد بالاستقالة من اللجنة التنفيذية.... واعداد العلم للسنوات الاولى للاستقلال شاهدة على هذا الحوار الذي كان قائما بينها وبين السلطة.

ولعل ابرز هذا الحوار، كان موقف العلم الصريح والواضح من تصرفات بعض القادة العرب تجاه المغرب، ورغم ما كان يسببه موقف

«العلم» من احراج للسيد احمد بلافريج وزير الخارجية، ورئيس الحكومة ووزير الخارجية والأمين العام لحزب الاستقلال، فقد كان حريصا على ان تتسع مساحة الحرية للصحافة، ولم يتأثر بضغوط الاتجاه الذي كان يتطلع للمشرق، باعتبار تجربة بعض دوله قابلة للتطبيق هنا في المغرب، اعتقادا منهم بصلاحية التربة المغربية لزراعة افكار غريبة عن البيئة المغربية.

كان رأيي ــ وما يزال برغم مرور ثلاثين سنة على هذه المواقف ــ اننا واياهم جزء من امة عربية واحدة الاصول، ولكنها متنوعة الخصائص، واذا كنا لم نختر ان نكون عربا لان مثل هذه الاختيارات خارجة عن امكانية الشعوب، فاننا عرب بحكم التاريخ والجغرافيا مع احتفاظنا بخصائصنا وباستقلاليتنا، وإذا كان يستحيل الغاء احكام التاريخ والجغرافيا فكذلك يستحيل القفز على خصائص الشعب المغربي، بتجاهل تنوع مجتمعه، وتعدد مصادر ثقافته وتفكيره.

وحين كانت الحملة ضارية ضد المغرب لمقاومة اتجاهه لبناء مغرب عربي موحد طالبت ــ على غير اتجاه الحكومة ــ بالتريث في انضمامنا لجامعة الدول العربية وكتبت في ذلك وحاضرت لانها في اطارها الذي كانت عليه ــ وما تزال ــ قاصرة عن احتواء طموح الشعب المغربي العربي وتطلعاته، بل انها قد تكون ــ كما قلت وقتئذ ــ قاتلة لهذا الطموح او مقيدة له، وذلك ما وقع... وكان اتجاه الحكومة حينئذ غير الاتجاه الذي تدعو له العلم وتنادي به، وبرغم ضغوط عربية متواصلة، فقد تأخر انضمامنا لهذه الجامعة الى اكتوبر 1958، لان انضمامنا اليها في الماضي لم يكن تأثيره من احد لانتمائنا العربي، ان موضوع علاقة الصحافة بالسلطة موضوع اتصور انه يستحق مواصلة الاهتمام به، لأن هذه العلاقة فيما ارى الآن وان كانت

واضحة بحكم القانون، وفي الممارسة الديمقراطية في اطار المؤسسات التي يمارس فيها المواطنون مسؤولياتهم الدستورية ـــ فان الصحافة بصفة عامة لا تقوم بدورها كما هو المؤمل والمتوقع انها حتى في اطار حرية الصحافة التي تتمتع بها والمكفولة لها بالدستور والقوانين التنظيمية مقصرة في ممارسة حقها، الأمر الذي يريح السلطة التنفيذية، ويجعل لها منابر مضافة للاجهزة التي تشرف عليها وهذا تعميم ليس على اطلاقه كما لا احتاج ان اقول، إن الصحافة في عهد الرشد والحرية هي المرآة التي تعكس اهتمامات وهموم المواطنين، وهي التي تتعرف بها الحكومات على نبض الشعب وافكاره.

أربعون سنة !!!!

في ذلك التاريخ الغابر كان عدد المثقفين في المغرب كله لا يتجاوز العشرات ورغم هذه القلة، فقد كان تأثيرهم في مجتمعهم واضحا وملموسا مع ان نسبة الامية كانت اوسع مما هي عليه الآن، وكان الذين يكتبون في الصحف او يحررونها سياسيين وادباء ليسوا صحفيين بالمعنى التخصصي لهذه المهنة ومع ذلك استوعبوا رسالة الصحافة والتزموا بمهمتها، خبر صحيح، ورأي نزيه، وثقافة شاملة...

فأين الثقافة في صحافتنا ؟

ألقلة في المثقفين لا نجد ثقافة في صحافتنا ؟

لن يقول احد انهم اليوم قلة عددية. ولكنهم تأكيدا كثرة غير مؤثرة آثرت ان تتخلى عما اتيح لها من حرية القول، في خلق حوار بناء حول اهتمامات وهموم المواطنين الفكرية والسياسية والاجتماعية.

ان هذه الاهتمامات والهموم ـــ كما لاحظت في هذه السنة التي قضيتها متواصلة في وطني، بعد غيبة ستة عشر عاما ـــ متنوعة ومتطورة، فاقت اهتماماتهم وهمومهم في الماضي، ولكنها لا تجد لها

صدى او تجاوبا لدى المثقفين.

عفوا، فلم احسن التعبير، قصدت ان اقول

ان عددا من المثقفين يوثرون ان يتحدثوا عن اهتمامات المواطنين وهمومهم لغير مواطنيهم.

يفعلون ذلك مع هيئات دولية، بعضها لا اطمئن اليه، برغم تسترها وراء الثقافة والبحث العلمي، وتوسيع دائرة الحوار عن قضايا العالم العربي ومشاكله من اطارها المحلي الى اطارها الدولي، ويتحاورون مع ذواتهم داخل الصالات المغلقة في الندوات والملتقيات بعيدين عن المعنيين مباشرة بما يتحاورون حوله عازلين انفسهم عن محيطهم ومجتمعهم.

لماذا ؟...

لا أدري

قد يكون السبب عزوف هؤلاء المفركين عن ممارسة حقهم المتاح لهم في نطاق الدستور وقد يكون ــ ربما ــ لخشيتهم من سوء فهم ما يقصدون.

واذا كان هذا صحيحا فانه جريمة، وانه خطأ.

انه جريمة أن يحرموا انفسهم من ممارسة حق من اقدس الحقوق التي ضمنها الدستور، وانه خطأ في ميدان العلاقة بين المثقف وبين مجتمعه.

ان المقدسات عند الشعب معروفة واضحة، لا يمكن المساس بها او اثارة شك حولها، او التساهل مع من يحاول ذلك وما عدا هذه المقدسات، فان مساحة الحوار والنقاش لا حدود لها ولا قيود عليها.

اربعون سنة !!!

ان ما هو مخزون في ذاكرتي، وفي اوراقي عن هذه الأربعين

سنة يحتاج تسجيله الى مجلدات، اذا تفرغت لتسجيل بعضها فآمل ان تكون ذكرى وعبرة لهؤلاء الذين ضمرت افكارهم وشاخت اجسامهم، واعمارهم دون عمر جريدة العلم.

منذ ثلاث سنوات كتبت في ذكرى العلم رسالة لحفيد سيتولى رئاسة تحريرها عندما تحتفل بذكراها المائة. ولكن يبدو أن الأولى بالتفكير الان ليسوا أولاد أحفادنا وإنما هم أولادنا، حتى لا يصل المشعل الى هؤلاء الأحفاد وقد انتهى فتيله فخمدت شعلته، ولم يبق الا ذكريات في ذاكرة التاريخ.. وحبرا على صفحات العلم التي تحتفل اليوم بمرور أربعين عاما على صدورها، ولكن «العلم» ليس من ورق إهابها، ولا من حبر كلماتها.

العلم 11 سبتمبر 1986

الذكرى الثلاثون لجريدة الصباح

عزيزي الأستاذ الحبيب شيخ روحه

هل تأذن لصحافي قديم، وصديق لك وفي أمين، أن يشارك أسرة دار الصباح أفراحها بالعيد الثلاثين ؟..

لقد عرفت الصباح وهي رضيع يحبو، وكان حبوه وسط غابة وحوشها بنادق ورشاشات، ومغاراتها سجون وزنزانات، لا يومن السير فيها الا من اختار لمسراه ليلا أو مساء... واخترت لطفلك اسم الصباح، فقد كنت على يقين من ان مساء الاستعمار وليله الى زوال، وان شروق شمس الحرية والاستقلال سيغمر «صباح» المغرب العربي مهما كانت التضحيات.

وكان من قدري أن أكون رئيس تحرير زميلة لها في المغرب هي جريدة «العلم». والأعلام كما لا أحتاج أن أقول لا تشاهد خفاقة سامقة الا في الصباح. فكانا سلاحين بتارين في أيدي قادة الحركة الوطنية بما نشرا من وعي، وما دفعا من أخطار، وما حققا في النهاية من انتصار.

ما أزال ايها الصديق العزيز أذكر أياما مجيدة لك بيننا في المغرب بعد زوال ظلام الحجر والحماية وبزوغ صباح الحرية والاستقلال صحبة أستاذنا الهادي العبيدي رئيس تحرير جريدة العمل وقتئذ وتجوالنا في المغرب رفقة الزعيم الراحل علال الفاسي وهو يدعو لتصفية الاستعمار في صحرائنا، وعودتها الى الوطن الأم أو الأب كما تشاء. فسعدت بالرفقة والتجوال، وتعرفتما يومئذ وكان العام عام 1957 على اصرار شعب المغرب على تحقيق وحدته الترابية وقد أوفى بما عاهد الله عليه، وكان ذلك بقيادة الحسن الثاني مبتكر المسيرة الخضراء.

فكانت الصباح وستبقى رائدة للاحرار، معبرة عن ارادتنا في التحرر والانطلاق لتحقيق أحلامنا في اقامة مغرب عربي متكامل قادر على مقاومة المسخ والانحراف.

وأستأذنك مرة أخرى في ان أستعير جملة وصفت بها منذ شهور جريدة العلم حين مشاركتي في احياء ذكراها الثالثة والثلاثين، لأصف بها أيضا جريدة الصباح، حيث قلت

ليس من ورق إهابها، ولا من حبر كلماتها، أراد الغزاة قهرها فما قدروا، فكأنهم بيننا ما حلوا وما نزلوا.

فاليك أيها الصديق العزيز، والى اخواتك زملائي في التحرير والادارة والمطبعة أصدق التهاني وأجمل التمنيات

أخــوك
محمــد التــازي

جريدة الصباح التونسية، في عددها الصادر يوم 1981/3/9

11 يناير 1944

لأن يعيش بعض الناس من غير ذاكرة، أشرف لهم من أن يكونوا ذوي ذاكرات خائنة. ولأن يكونوا من ذوي الذاكرات الخائنة، أصون من أن تكون ذاكراتهم حقودة، فـإذا اتصـفـت الذاكرة بالخيانة والحقد فحينئذ لن تملي على صاحبها إلا بهتان القول وزوره، وفحش الحديث وكذبه. وصدق العربي يوم قال

اذا كنت كذوباً، فكن ذكورا

ولكن الذين كذبوا يوم 11 يناير لم يذكروا أن أبطال يوم 11 يناير 1944 ما يزالون أحياء على تفاوت معنى الحياة من نحس وحظ، وبؤس ورخاء، وجوع وشبع، غير أن الأحياء يستمعون في سخرية للأبطال المزيفين يتحدثون بوقاحة عن الأبطال الحقيقيين يوم 11 يناير !

وكيف ينصف الأبطال الحقيقيين من أبطال 1994 المزيفين؟..

الوسيلة بسيطة

أن ينصف الأبطال الحقيقيون أنفسهم وتاريخهم وأمتهم فينشروا كتابا عن يوم 11 يناير 1944

* * * *

يناير 1994

أحاديث الإذاعة والتلفزيون ..

مسرح ماريفو

افتتح مسرح محمد الخامس موسمه هذا العام بالمسرحية الفرنسية «لعبة الحب والمصادفة» للمؤلف المسرحي الفرنسي ماريفو. ولست أدري أثر المسرحية في نفس المتفرج المغربي الذي لم يألف هذا النوع من الأدب المسرحي، وقد يراه غريبا عن واقع الحياة. وحتى الذين لهم ثقافة فرنسية اذا لم يكن عندهم حس أدبي مصقول قد يشعرون بالغربة من موضوع المسرحية. لذلك بدا لي ـــ تخمينا ـــ أن تخصيص هذا الحديث عن مسرحية لعبة الحب والمصادفة قد يضيف انارة على موضوع المسرحية وظروفها التاريخية والاجتماعية. ذلك أن الأدب المسرحي قريب الصلة بواقع الناس واحداث الحياة، وقلما تتغير ظروف الحياة، ولا يتغير تبعا لها أسلوب الأدب المسرحي ومضمونه، ما عدى عند الشعوب التي ليس لها مسرح، وليس عند كتابها المسرحيين حس بواقع الحياة، ينفعلون به ويتأثرون.

فقبل ماريفو في القرن السابع عشر، كانت فرنسا تعيش أمجد عصورها الذهبية، وان كانت هذه الامجاد قد استنفذت حياة الشعب التي اريقت دماؤها في الحروب. وكان المجتمع الفرنسي يتركب من طبقتين، طبقة النبلاء ورجال الاقطاع، وطبقة الشعب، ولكن مع اطلالة القرن الثامن عشر أخذت طبقة جديدة في النمو، هي الطبقة التي اصطلح على تسميتها بالبورجوازية، أي سكان المدن الذين كانوا وسطا بين الطبقتين. وبتطور المجتمع وتقدمه، وبتأثير الثورة الصناعية، والاكتشافات العلمية، وانتشار الثقافة والعلوم، تمكنت الطبقة البورجوازية من السيطرة على مقاليد المجتمع.

وفي ميدان المسرح كان هناك نوعان لا ثالث لهما، مسرح

التراجيديا المأساة يعبر عن الطبقة الاروستقراطية النبيلة، ومسرح الكوميديا، الملهاة الذي كان عبر العصور مسرح الفئات الشعبية، تتنفس فيه مشاكلها ومطامحها، وكان لابد للطبقة الجديدة أن تخلق لها فنونها ومسرحها ليعبر عن حياتها الجديدة، وعن مشاكلها، خصوصا وانها كانت الطبقة المتزمتة المنكمشة على نفسها وعواطفها وأحلامها المحافظة على التقاليد وعلى أصول الاخلاق والسلوك.

وتلك خاصية من خواص الطبقات الوسطى في كل زمان ومكان، فبينما تتفسخ العلاقات الاجتماعية والانسانية لدى الفئات الارستقراطية، وبينما لا تقيم الطبقات الفقيرة وزنا للسلوك والاخلاق، نشاهد الطبقة الوسطى تنكمش بين جدرانها الى درجة التزمت والجمود، وتجعل لسلوكها قيودا تسبب كثيرا من المشاكل في حياة الافراد والاسر والمجتمع بعامة، ولهذه الفئات من المجتمع ولد المسرح الجديد، الذي ليس مسرح مأساة، ولا مسرح ملهاة، وإنما هو مسرح الحياة.

ولقد أثرت الفسلفة في القرن الثامن عشر على المسرح، وظهر منطقها جليا في ان الحياة ليست مأساة كلها، وليست ملهاة كلها، فالمآسي والملاهي، لمسات عابرة في حياة الناس، أما النسيج العام للحياة فهو أوضاع تثير التأمل والسخرية والابتسام. ومن هنا انزوى المسرح التراجيدي، وانقلب الى وسيلة للدارسة والتحليل، أو وسيلة للنقد الاجتماعي، ولقد برع كثيرون من الكتاب الفرنسيين في كوميديات الدارسة والتحليل، ولكن مؤلف مسرحية لعبة الحب والمصادفة، مارفو، نبغ في هذا اللون حتى صار علما له، ومدرسة تعرف باسم «المارفودية» التي تميزت بالتحليل الدقيق لأرق العواطف الانسانية في اسلوب شيق خفيف، ودعابة لا تشق الاشداق بالقهقهة والضحك،

ولكنها تثير الابتسام والسخرية وتدعو للتفكير والتأمل من غير انفعال، وبدون توتر، وتلك متعة فئة خاصة من الذين تخدش الفواجع والمآسي أحاسيسهم الناعمة جدا، والمرهفة جدا، ولقد تطورت الحياة منذ ذلك الحين، وتغيرت التركيبات الاجتماعية فيها، واندثرت قيم ومفاهيم، خلفتها قيم جديدة، ومفاهيم جديدة، وأصبحت الماريفودية نمطا من أنماط المسرح لا أقل ولا أكثر، أي أن أسلوب ماريفو، وطريقة معالجته لموضوعات الحياة والأحياء لم يعد أسلوب ظروف البشرية وأوضاعها الآن، فأصبح الاهتمام به ضربا من التسلية لأبعاد السأم والضجر لدى من يسأمون ومن يضجرون.

فما هي الرسالة التي يستطيع مسرح ماريفو أن يؤديها للمجتمع المغربي، في ظروفه المنطلقة، وتطلعه نحو الآفاق الانسانية الرحبة، وهل يدخل اختيار مسرحية لعبة الحب والمصادفة في اطار تصميم محدد لرسالة مسرح محمد الخامس أم ان المسألة كانت مجرد مصادفة ؟

ان فرنسا نفسها التي نشأ مسرح ماريفو في مجتمعها، نفضت يدها منه بعد أن تطور المجتمع الفرنسي، وتطورت معه فنون التعبير الأدبي والفني، لأن الافكار التي دعا اليها مسرح ماريفو ماتت مع النهضة الاقتصادية، ومع خروج المجتمع الفرنسي من مجتمع اقطاعي متخلف، الى مجتمع صناعي نام ومتطور، ماتت الماريفودية، ولم يستطع أنصارها أن يصدروها الى خارج فرنسا كمذهب أدبي جديد، وانما خرجت بعد زمن كنموذج لحركة أدبية أوجدتها ظروف خاصة، وحين انتهى مفعول هذه الظروف انتهت معه الماريفودية التي آمنت بالفوارق الطبقية، وأصدرت أحكامها على المجتمع الفرنسي بحتمية انقسامه الى طبقتين، طبقة بورجوازية متحكمة تملك كل شيْ، وطبقة كادحة محكومة لا تملك شيئا، وارادت ان تدلل على رسوخ التقسيم

ليس بالمظاهر الخارجية للحياة فحسب، ولكن حتى بالنوازع الباطنية الذاتية، وكأن ذلك غريزة متأصلة في النفوس، وعقيدة ثابتة في العقول وكأن المجتمعات الانسانية قد حكمت عليها الظروف بالوضع الذي وجدت فيه.

ذلك مفهوم الماريفودية ومنطوقها، وذلك قصدها المقصود. وأين من ذلك واقع مجتمعنا الفكري، وطموحه؟ اننا نجتاز فترة دقيقة في حياتنا الاجتماعية وهي فترة تفرض علينا أن نكون يقظين وواعين، فوسائل التوجيه وفي طليعتها المسرح أجدر بأن تكون موضع عناية مستمرة، واذا كنا من المؤمنين بحرية الفكر، فان الحرية ليس معناها التخبط والسير في الظلام. لأن الانسان حين يمارس حريته الفكرية، وحين يدافع عن هذه الحرية، وحين يدعو الى ممارستها، فليس معنى ذلك حرية الفكر العابث بعقول الناس وعواطفهم.

ولو سألنا شباك تذاكر مسرح محمد الخامس، وسواه من المسارح التي قدمت عليها مسرحية لعبة الحب والمصادفة، لكان الجواب، ان رواد المسرح من المغاربة لا يمثلون خمسة في المئة من المتفرجين، وان غيرهم جاء للتسلية وقتل الوقت، وقد يكون ذلك من بعض مهمات المسرح، ولكن ليس في الدول المتنامية كالمملكة المغربية، حيث ان كل شيء فيها له رسالة هادفة أو يجب أن تكون له، وحيث ان المسرح وسيلة فعالة للتثقيف والتوعية وشعبنا يحتاج الى مثل هذه الثقافة والتوعية، ومثقفونا في حاجة الى الاحتكاك بالفكر الانساني. والمسرح الفرنسي غني بالمسرحيات الخالدة ذات الرسالة النبيلة، والأهداف السامية، والدولة اذ تخصص الاعتمادات للمسرح، لا تخصصها لابعاد السأم والضجر عن مائتين أو ثلاث مئة من رواده، وانما كان مقصودها أن تفتح للشعب نوافذ وأبوابا على الحياة الانسانية

الزاخرة بالعلم والثقافة والمعرفة والترفيه، ليطل منها الناس على أنفسهم فيقوموا ما اعوج من تفكير وسلوك، ويزدادوا خبرة وحنكة. ولعله آن الأوان لأن نستفيد من المسرح في تربية المواطنين وفي توجيههم وتوعيتهم، فجميع مظاهر الحياة المعاصرة بافكارها وسلوكها جديدة علينا، والمسرح قادر على تقريبها من عقول الناس على نحو قد تعجز عنه بقية وسائل التبليغ والتوجيه.

وشكرا لادارة مسرح محمد الخامس التي أتاحت لي فرصة الحديث عن المسرح بتقديمها لمسرحية لعبة الحب والمصادفة.

حديث أذيع بالتلفزيون يوم 14 نوفمبر 1966

ساطع الحصري
أبو خلدون

مات أبو خلدون ساطع الحصري، وأخشى أن يكون الاسم والشخص غريبين على أغلبية الناس، لأن الاسم ليس متداولا كثيرا، ولأن الشخص يكاد يكون غير معروف.

انه المواطن العربي الذي رفض ان تكون له جنسية بلد عربي ينتسب اليه. لأن وطنه هو البلد الذي يتكلم سكانه اللغة العربية ويكتبون بها.

انه فيلسوف التاريخ العربي، وخاصة التاريخ الاجتماعي والسياسي وان دراسته عن مقدمة ابن خلدون كافية لان تضعه في مصاف فلاسفة التاريخ المعاصرين كارنولد توينبي مثلا.

انه المواطن الذي هداه فكره النافذ، وذكاؤه وادراكه لحقائق التاريخ وواقع أمته العربية ان يكون له موقف خاص به في قضية فلسطين، وقد سئل بعد النكبة الاولى عام 1948 لماذا انهزم العرب أمام الاسرائيليين وهم سبع دول؟ فكان جوابه، لأنهم سبع دول، وكان من رأيه ان موضوع فلسطين يجب ان يكون في ايدي الفلسطينيين وعلى الدول العربية ان تساعدهم بالمال والسلاح والمتطوعين. واليوم، وبعد عشرين عاما يأخذ كثير من المسؤولين العرب بهذه الحقيقة.

في عام 1954 التحقت بمعهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية وكان ساطع رحمه الله مديرا للمعهد، واستاذا لمادة القوميات، وكان من رفقائي في المعهد الاخوين عبد القادر الصحراوي، وعبد القادر السميحي، وكان سنه اذ ذاك قد جاوزت السبعين، ولكنه كان أوفر نشاطا من أبناء الأربعين، واحرص منهم على

الاستزادة من العلم والمعرفة فكنا نراه في مكتبة المعهد يعتلي سلما يبحث عن مرجع، أو يقتعد الأرض ليتصفح مخطوطا.

وكان طلبة المعهد من جميع الدول العربية يدرسون على يد اختصاصيين كل ما يتعلق بالعالم العربي قديما وحديثا، ولكن محاضرات الاستاذ الحصري، كانت امتعها، وكانت أصدقها، وكانت أبلغها. فلم يكن التدريس عنده مهنة تجر مغنما، وانما كانت رسالة، ورسالة مستمرة، فمعظم طلبته بعد ان تخرجوا من المعهد، وبعد ان ترك ادارته بقوا على اتصال به، وكان له الفضل في هذا الاتصال فهو الذي يكتب اليهم وهو الذي يثير في ذهنهم موضوعات جديدة للبحث والدراسة.

في سنة 1956 شرعت في اعداد اطروحتي لنيل درجة الماجستير باشراف الدكتور محمد منذور رحمه الله، واستقل المغرب، وعدت اليه لاقضي اجازة الصيف ثم، أرجع، ولكنني لم اعد. وبقي ساطع رحمه الله سنتين يكاتبني ويلح علي في العودة.

تلك سيرة الرجل الذي مات عن 88 عاما. وألف سبعين كتابا تسعى الى هدف واحد لا تحيد عنه مهما كانت العوائق وبرغم ما ساد العالم العربي في الخمسين سنة الماضية من تيارات وأفكار.

رحم الله ساطع الحصري، وعوض الأمة العربية عنه برواد جدد يحملون رسالة الله والتاريخ لهذه الأمة المتعثرة.

حديث للاذاعة 1968

في تاريخ وطني

— 1 —

موضوع تاريخ المغرب، ما يزال يشغلني عن غيره من الموضوعات في هذه الأحاديث، فرغم قلة الكتب المتخصصة وعدم تبويبها وتنسيقها، وخضوعها للمقاييس التي يعتمدها المؤرخون، فقد سدت فراغا كاد يكون فظيعا لو لم توجد هذه الكتب، وهي برغم قلتها وندرتها بقيت المرجع الأساسي لكل من يريد ان يكتب عن تاريخ هذا البلد، ولكنها ليست وحدها، فقد امتزج تاريخنا الخاص بتاريخ منطقة المغرب العربي، الى اوائل هذا القرن، وبتاريخ الاندلس منذ ان تخطت أقدام المسلمين البحر الابيض المتوسط الى الضفة المقابلة على الجانب الآخر، الى أن سقطت الأندلس، وانحسر عنها المد الاسلامي.

ولم تعد مصادر التاريخ المغربي الخاص مقصورة على ما سجله المؤرخون القدامى، بل أصبحت كتب الأدب واللغة والاجتماع والجغرافيا مصادر أخرى لهذا التاريخ، فازداد تشعب الموضوع، وتنوعت التيارات التي فرضت اتجاهاتها على هذا التاريخ، فامتزجت به وأصبحت من مقوماته.

وتحكم الموقع الجغرافي للمغرب في صياغة هذا التاريخ، وقام المغرب بدور تاريخي في البحر الأبيض المتوسط، وبقي هذا الدور غامضا عند المؤرخين المغاربة والعرب، ولكنه ليس كذلك بالنسبة للمؤرخين من غير المغاربة والعرب، الا انهم حللوا هذا الدور وشرحوه بوحي من نظرتهم الخاصة ومن الظروف التي تحكمت في هذه النظرة في عدة قرون من السنين، هي قرون النهضة الاوربية، وقرون الوثبة

الاوربية، وامتدادها من داخل اوروبا الى افريقيا وآسيا. ابتداء من القرن الخامس عشر الى الحرب العالمية الثانية قبل منتصف هذا القرن بسنوات قلائل.

ومن مفاخر التاريخ المغربي القديم في هذه الفترات الحاسمة من التاريخ البشري، أن المغاربة استوعبوا في ذلك الحين ظروف اوروبا. وظروف العالم الاسلامي، واستطاعوا بهذا الاستيعاب أن يكون لهم دور ايجابي في الصراع الذي كانت تشهده أوروبا، على اختلاف بين واضح في النظرة الى هذا الصراع. وبسبب انغماس المغرب فيه كان لابد أن تكون له انعكاسات ايجابية وسلبية على السياسة المغربية في الداخل والخارج. ومن أهم هذه الانعكاسات تلك الثورات التي كان يشهدها المغرب، بين الحين والآخر، وأنا هنا لا أتحدث عن الفتن التي كانت تقوم بين بعض القبائل وبعضها دفعا لأذى أو جرا لمغنم. وانما أتحدث عن الثورات التي كانت تتقصد الاستيلاء على الحكم لمواجهة السياسة الأوربية، الى أن تمكن المولى رشيد أول ملك علوي مغربي مهد الطريق لشقيقه المولى اسماعيل في أدق فترات الصراع الأوربي، وتمكن من خلق مواجهة بين أقوى دولتين اوربيتين اذ ذاك فرنسا وانجلترا، واستطاع بدهائه أن يضع اللبنات الاولى لسياسة مغربية خارجية لو كانت المصطلحات الحديثة موجودة اذ ذاك لسميناها بسياسة الحياد الايجابي أي الحياد عن قوة، وليس الحياد عن ضعف. ولو استطاع مؤرخ متفرغ أن يدرس هذه الحقبة دراسة شاملة لاستخراج بعض الأسس التي ما نزال أوفياء لها منذ أزيد من ثلاثمائة عام، وما تزال نبراسا لسياستنا الخارجية الى اليوم.

تلك بعض موجبات الحاحي على ضرورة اعادة النظر في تاريخ المغرب كيف كتب ؟. وعلى أي منهاج كتب ؟. وما أهداف كتابته

بالشكل والمضمون الذين كتب بهما. حتى نستطيع أن نكشف عن الوجه الصحيح لتاريخنا، وعن الدور الفعال الذي قمنا به خدمة للانسان، واسهاما في الحضارة الانسانية، وترسيخ قيم ثابتة تنسجم مع عقيدتنا، ومع ظروفنا التاريخية والجغرافية، ومع طموحنا لخلق عالم أفضل يسوده الرخاء والسلام.

حديث للإذاعة 15 يناير 1969

في تاريخ وطني

— 2 —

لمن يكتب التاريخ، ولمن يؤرخ المؤرخ، سؤال الح علي وقتا طويلا، منذ أن شرعت في قراءة الجزء الاول من كتاب قبائل المغرب الذي الفه الصديق المؤرخ الاستاذ عبد الوهاب بن منصور.

ولقد أحسنت الدولة صنعا اذ اجازت المؤلف فمنحته وزارة الثقافة الجائزة الاولى في التاريخ للسنة الماضية تقديرا للجهد العسير الذي بذله في اعداد هذه الدراسة التاريخية القيمة التي تعتبر الاولى من نوعها ــ فيما نعلم ــ ولو افترضنا وجود محاولة سابقة فما نظنها من الشمول والاحاطة على نحو ما اخرج الاستاذ بن منصور دراسته عن قبائل المغرب.

وهنا أصل الى السؤال الذي بدأت به هذا الحديث لمن يكتب التاريخ؟ هل يكتب التاريخ للخاصة أو العامة على نحو ما درج الناس على تسمية المثقفين وتسمية غيرهم، فالخواص هم النخبة التي أخذت من العلم والثقافة بسبب، والعوام هم الذين حرموا من هذا السبب، فهل سيؤرخ المؤرخ ويكتب الكاتب لفئة معينة متخصصة، أم هو يكتب ويؤرخ لكل طالب علم ومعرفة؟

لو القى هذا السؤال قبل بضعة عقود من السنين، لكان الجواب هو ان المؤرخ يؤرخ والكاتب يكتب لفئة معينة متخصصة، ولا تعنيه الفئات الأخرى ولا يهمه اكان من حقهم ان يقرأوا أم لا.. ومن حقهم أن يتفقهوا أم لا، ومن حقهم ان يكون لهم حظهم من العلم والمعرفة.. ولكننا اليوم في عصر أصبح لزاما فيه ان تنتشر الثقافة وتعم المعرفة،

فمن حق كل انسان ان يكون له حظ مهما كان قليلا من الثقافة والمعرفة، ورحم الله من قال ان المعرفة للانسان كالماء والهواء كل منهما عنصر ضروري لحياته فكما ان الانسان لا يستطيع ان يعيش بدون ان يستنشق هواء، وبدون ان يشرب ماء، كذلك ليس باستطاعته ان يعيش بدون ثقافة.

واذا كان الانسان في المجتمعات المتقدمة يمارس تكوينه ونشاطه الثقافي على نحو يغاير الاسلوب الذي يمارس به انسان المجتمعات المتخلفة هذا الحق، فان اولى السمات التي يجب ان يتميز بها التكوين الثقافي لانسان الدول المتخلفة هو البحث عن تراثه التاريخي ليستخلص منه علامات الطريق نحو خلق سمات جديدة لتكوينه ونشاطه الثقافي.

من هذه الناحية فان كتاب قبائل المغرب له قيمته وله اثره في إثراء ثقافة من يرغب في البحث عن سماته الماضية، الموغلة في التاريخ وعليه بعد هذه المعرفة ان يقر المؤلف اولا يقره على منهاجه الذي اعتمده في الكتابة، فذلك موضوع لا يتفق فيه الجميع، لان لكل واحد مؤثراته الفكرية والتكوينية.

ومن بين أهم الموضوعات التي احسن المؤلف في التركيز عليها وتوضيحها الالتحام التاريخي الكامل بين اجزاء المغرب العربي الكبير ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وهي حقيقة يجب ان تكون وسيلة من وسائل التوعية العامة، وان نستخرجها من اطارها التاريخي الى ميدان الثقافة الشعبية في اقطار المغرب العربي، خاصة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا حيث ان فكرة المغرب العربي اخذت تتبلور اكثر من ذي قبل.

ولعل الاستاذ بن منصور كان يعلم ان كتابه في صورته التي صدر بها سوف يثير كثيراً من الملاحظات وفي مقدمتها تخصيص كتاب

عن قبائل المغرب، في عصر انمحت فيه الفوارق بين القارات، فاحرى ان تنمحي بين المدن والقبائل، ولقد اشار المؤلف في مقدمة كتابه الى مسوغات وضع كتاب عن قبائل المغرب، ولكن هذا في اعتبارنا لن يكون موضوع مؤاخذة أو نقد، فاذا كان غيرنا قد استوفى تاريخ بلاده بحثا وتحقيقا، فاننا ما نزال نجهل تاريخنا ولا نعرف عنه الا النزر اليسير لان الذين أرخوه اما صرفهم الهوى عن الحقيقة واما دفعهم الجهل الى ابتسار البحث، فكانت محاولة الاستاذ عبد الوهاب بن منصور الموفقة فرزا للحقائق التاريخية التي كانت مجهولة، ورسما للطريق نحو كتابة تاريخ المغرب كتابة تعتمد على المناهج الحديثة في كتابة التاريخ ومن بين المسلمات في هذه المناهج ان احداث التاريخ لا تسجل منعزلة عن مضمونها الاجتماعي وبواعثها الانسانية.

وبعد، فان هذا الحديث ليس حديث نقد للكتاب وانما هو تقديم له، باعتباره وثيقة هامة من الوثائق التي تفتقدها المكتبة المغربية وتزداد قيمة هذا الكتاب اذا كان واضعها متمكنا من مادته التاريخية واضحا في تعبيره اللغوي، ولا يعيب الكتاب الا بعض الاخطاء المطبعية التي صحح بعضها في نهاية الكتاب، وبقي غيرها لم يصحح، ولم يشر اليه وخطورة بعض الاغلاط المطبعية ان تكون اغلاطا تاريخية في كتاب وضع لتصحيح التاريخ.

حديث للإذاعة 21 يناير 1969

في تاريخ وطني

— 3 —

دعتني وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الى القاء محاضرة عن تاريخ الديبلوماسية، أو عن الديبلوماسية عبر التاريخ. وأجبت شاكرا هذه الدعوة، فما تخلفت عن دعوة فيها اسهام في الحركة الفكرية والثقافية في وطني، وكنت جاداً في اجابتي بالقبول، لأني شرعت في اعداد المراجع التي سأبحث فيها، والكتب التي سأطالعها مطالعة عابرة. والكتب التي سأتدبرها واعيا لما فيها، باحثا عن الاتجاهات التي أثرت في مؤلفيها وواضعيها. ولم يكن الموضوع صعبا ولا مستعصيا حين يكون بحثي متجها الى نشأة الديبلوماسية وتطورها عبر الاجيال، ولكن الموضوع يتعثر في البداية لينتهي بي الى طريق مسدود لا منفذ له حين أبحث في تاريخنا الديبلوماسي، وفي علاقات المغرب الخارجية وفي الظروف الداخلية والدولية التي أثرت فيها وفرضت عليها اتجاها خاصا طبع هذه العلاقات. فالكتاب الأجانب أرخوا للديبلوماسية المغربية وفق ما أوحت به أهواؤهم ومصالح الدول التي ينتمون اليها، وكانت مؤثرة في سير هذه الديبلوماسية، ولا مرجع لهؤلاء الكتاب الا ما استطاعوا أن يعثروا عليه من وثائق سمحت حكومتهم بنشرها، أو مما قرأوه من كتب وضعها تجار ورحالة ومغامرون. ولا يؤخذ التاريخ وتسجل وقائعه من كتب المغامرين والرحالة والتجار، لأن تاريخ الأمم لا يكتب كما تكتب القصص والخرافات ولأن تاريخ أمة من الأمم لا يمكن أن يكون تاريخا صادقا اذا كتبه أجانب عن هذه الأمة لا يعرفون تحركات الاحداث فيها، ولا يفقهون دوافع ردود الفعل، لكل فعل اثر في تاريخ هذه الأمة.

واذن، فلا يكتب التاريخ بمثل البساطة والسذاجة التي كتب بها جزء غير يسير عن التاريخ المغربي. ولعل هذه الحقائق لا تجحف بحق كثير من الطموحين الذين أرخوا للمغرب ولاحداثه وتطورات الحكم فيه بالبساطة والسذاجة التي جعلت من أمتنا المغربية أمة فاتنة مفتنة فتانة، ولعلها كانت من بين أقل الدول الاسلامية والعربية استقرارا بفعل الحركات التي كانت تقوم فيها ولم يستطع هؤلاء المؤرخون أن ينفذوا الى اغوار السلوك المغربي ليتعرفوا على دوافع هذا السلوك واهدافه. وانما كانوا مكتفين بالظواهر العائمة فوق الاحداث ومنها يستخرجون حكمهم، ويثبتون أحكامهم.

من هنا كانت الحاجة الى ضرورة اعادة النظر في تاريخ المغرب حتى يحذف منه كل ما يسئ الى الشعب المغربي، وما يطعن في سلوك بعض حكامه وتلك مهمة — في يقيني — غير متيسرة لبضعة أفراد، وواجب أن تؤسس لجانا لمراجعة تاريخ المغرب، كل لجنة في اختصاصها، فتتألف لجنة لدراسة التاريخ الديبلوماسي والسياسي، ولجنة لدراسة التاريخ الاجتماعي، ولجنة لدراسة الاسباب الحقيقية التي تكمن وراء نشوء الدول في المغرب، فكل دولة من الدول التي حكمت المغرب كانت لها اسباب دينية واجتماعية وسياسية دفعت بها الى الخطوط الامامية لتنتزع الحكم من فئة ضعفت اسباب وجودها الدينية والاجتماعية والسياسية. وان وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ستسدي خيرا كثيرا للمغرب وللمغرب العربي عامة اذا ما توقفت الى هذا العمل الجليل.

وأرى واجبا أن أعيد هنا ما أشرت اليه من قبل وهو تقديري للجهود التي يبذلها الافراد في هذا الميدان، وهي جهود مهما تكن قيمتها لا تغني عن العمل الجماعي المنظم الذي تشرف عليه وزارة

دولة للثقافة، وتخصص له الاعتمادات المالية الضرورية، وتتيح للمشرفين عليه كلما يحتاجون اليه من وثائق ومستندات، لأن الأفراد مهما كان تجردهم فان عملهم سيبقى عملا ذاتيا فيه من عواطفهم ودوافعهم الخاصة ما ليسوا قادرين على التجرد منه..

وذلك عيب نرغب في تحرير تاريخنا منه.

حديث للإذاعة يناير 1969

في تاريخ وطني

— 4 —

في الحديث الذي قدمته في الأسبوع الماضي، شرحت حاجتنا الى ضرورة اعادة النظر في تاريخ المغرب، كيف كتب؟ وعلى أي منهاج كتب، وما طريقة كتابته، وتدوينه وتسجيله، وذلك حتى نتمكن من حذف كل ما يسئ الى هذا التاريخ، وتلك مهمة غير متيسرة لبضعة أفراد يقومون بها منفردين أو مجتمعين. ودعوت الى تأسيس لجان لمراجعة هذا التاريخ، على أن تحدد لكل لجنة اختصاصاتها، فتتألف لجنة لدراسة التاريخ الديبلوماسي والسياسي، ولجنة لدراسة التاريخ الاجتماعي، ولجنة لدراسة الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء نشوء الدول في المغرب، حيث ان كل دولة من دوله كانت لقيامها اسباب سياسية واجتماعية تلاقي النصرة والتأييد من أغلبية المواطنين الذين يتجندون للدفاع عنها حتى ترسخ أقدامها وتستقر على نهجها السياسي والاجتماعي. هكذا قامت دولة الادريسيين، ودولة المرابطين، ودولة الموحدين، ودولة المرينيين والوطاسيين والعلويين.

ومع الاحترام والتقدير لجهود الذين أرخوا للمغرب قديما. ويحاولون أن يؤرخوا لأحداثه الماضية حديثا. فان العبء أكبر لما يستطيعه فرد أو مجموعة أفراد. فلقد حرصت على أن أقرأ هذا التاريخ قراءة تدبر واعية، فما عثرت على ضالتي، وما وجدت أحدا من المؤرخين استبطن الدوافع الحقيقية التي كانت تحرك الأحداث السياسية والاجتماعية في المغرب، فحتى منذ قرون لم تكن الدول تنشأ وتذهب اغتباطا، وانما كانت تنشأ لأسباب وتشب لأسباب، وتشيخ وتهرم وتنقرض لأسباب فلا مصادفات في التاريخ البشري، ولكن تاريخنا

كتب بالمصادفة، ونشأت دول وانتهت بالمصادفة اذا نحن آمنا بما تركه المؤرخون وما سجلوه عن تاريخنا.

ولو جارينا معظم الذين كتبوا تاريخ المغرب لأرعبنا ما يزخر به من فتن وحروب، وكأنه لم يعرف استقرارا ولا مدنية. وما الحرب في تاريخنا الا احدى وسائل التعبير العنيف عن الرغبة في التقدم، والقضاء على معوقاته.

ولقد أبهجني جدا أن أستمع الى السيد ثورن وزير خارجية اللوكسمبورغ، ورئيس مجلس السوق الاوربية المشتركة حاليا. وهو يتحدث عن تاريخ المغرب ومساهمته في الحضارة الانسانية، ولم يكن ما قاله جديدا علي كباحث عن تاريخ وطني، ولكن أفرحني أن يرد علينا رجل من أوربا المتحضرة، ويتحدث عن الحضارة المغربية التي طبعت الحضارة الأوربية لعدة قرون، وأنه في الوقت الذي كانت أوربا تعيش في ظلام القرون الوسطى، كانت مجالس الملوك المغاربة تشهد مساجلات ومناظرات عن الفسلفة اليونانية، ونظريات أرسطو، فلقد اعتنى المغاربة بالثقافة اليونانية وأثروها بعبقريتهم. ثم انتقلت الى أوربا عن طريق الاندلس.

وفي ميدان الطب والرياضيات والآداب، والفنون كان للمغرب دور رئيسي في ازدهار هذه العلوم في القرون الوسطى.

ذلك تاريخنا الحقيقي أما تاريخ الحروب والفتن فما كان سوى علامة صحة وعافية ولم يكن أعراض مرض وفوضى.

واذا كانت مناهج الدراسة والبحث قد قطعت أشواطا في التقدم، وأصبحت تخضع لمقتضيات ومعطيات جديدة، فقد أصبح لزاما علينا أن نستفيد من هذه المقتضيات والمعطيات، وان نعيد كتابة تاريخنا كتابة علمية ننصف بها أنفسنا أولا، ونصحح بها تاريخنا ثانيا،

ونشذبه من الدسائس التي بثت فيه قصد تشويهه ثالثا. لتعلم أجيالنا أي شعب هو هذا الشعب، وأي وطن هو هذا الوطن الذي يعيشون فوق ترابه وأي اسلاف اولئك الذين امتزجت أجسادهم بثراه.

ولقد سبقتنا أمم كثيرة في هذا المضمار كانت تعيش على هامش التاريخ، ثم أصبحت جزء منه فلنحذ حذوها، ولنكتب تاريخنا من جديد. وليس عسيرا على وزارة الدولة المكلفة بالثقافة أن تضع مشروعا لهذا العمل الجليل، وتجد لتحقيقه الكفاءات المنشودة في هذا البلد.

حديث للإذاعة 29 يناير 1969

دفنا الماضي

منحت وزارة الثقافة جائزتها الاولى في القصة للاستاذ عبد الكريم غلاب على قصة دفنا الماضي، وفي البدء اهنئ الصديق غلاب حيث حظي انتاجه بتقدير الدولة وجائزتها. وذلك تكريم للكلمة النظيفة، وللاديب الملتزم ووطنه وامته.

وقد كتب الاستاذ غلاب قصته منذ سنوات عشر، ونشرها في جريدة العلم، ثم اصدرها المكتب التجاري في بيروت عام 1966. والمؤلف تناول في قصته الصراع الذي عاشه الشعب المغربي مع الاستعمار منذ فرض الحماية عليه في مطلع هذا القرن الى عودة المغفور له محمد الخامس من منفاه في نوفمبر 1955. والصراع الذي صوره المؤلف لم يكن مقصورا على مواجهة المغربيين للاستعمار، بل كذلك صور الصراع بين جيلين متعارضين أشد ما يكون التعارض، جيل الآباء وجيل الابناء، وهو الصراع الابدي الذي سيبقى محتدما، لا فرق في ذلك بين المجتمعات المتقدمة، والمتخلفة لان ذلك سنة الحياة

ان رواية دفنا الماضي، مرحلة هامة من مراحل نمو الحركة الادبية في المغرب، واثر بالغ الروعة بالنسبة للجفاف الفكري الذي نعيش فيه، وعمل فني يضاهي الاعمال الفنية التي يعتز بها النقاد في ادب الشرق العربي.

وتأتي قيمة هذه الرواية ان مؤلفها ليس أديبا خالصا للادب، وليس قصاصا متفرغا للقصة والرواية، وانما تطغى على تفكيره جوانب اخرى بعيدة عن الأدب بمفهومه المتداول، والسياسي حين يكتب في الأدب يبرز طغيان السياسة على أدبه بانه كاتب ملتزم، فاصبحت السياسة والالتزام توأمين لا ينفصلان. فاي تفكير يطغى في قصة دفنا

الماضي، هل هو تفكير السياسي الملتزم، أو الأديب الملتزم ؟...

قد اسوغ هذه الازدواجية ــ اذا كانت موجودة بالفعل ــ بان الأدب في بلد كالمغرب ليس ترفا ذهنيا، ولا وسيلة لتزجية الفراغ وقتل الوقت، وانما هو رسالة، ولكي تكون هذه الرسالة انسانية فيجب ان يتسلح الاديب لها قبل ان يتطوع لأدائها، وهذا التسلح هو العلم بظروف البلد، وطموح الانسان فيه، كي يكون مرآة تجلو الظروف وتبلور الطموح.

والمؤلف بحكم امتداد ثقافته، وتنوع مناهلها قد استفاد كثيرا من نظريات علماء النفس المحدثين، واذا كانت الرواية ابرز مظاهر الادب الحديث فانها كذلك اكثر الوان الادب اظهارا للاتجاهات والنظريات التي اقرها علماء النفس المحدثون.

فقبل علم النفس كانت شخصيات الروايات شخصيات غير نامية وغير متطورة، فما نعهده فيها في اول الرواية هو ما نجدها عليه في ختامها، اي ان شخصيات الروايات القديمة كانت شخصيات ساكنة، وليست متحركة.

وليس غرض الكاتب الحديث خلق شخصيات تدعم مذهبا سياسيا او اجتماعيا او اخلاقيا، وانما غرض الكاتب الحديث هو البحث عن حقيقة البشر، فالشخصيات في الأدب الروائي القديم اما ان تمثل ابطالا او تمثل اشرارا ليس في نفوسهم ذرة من خير او نبل، بينما الناس في واقع الحياة ليسوا اشرارا أو اخيارا فحسب؛ ففي احدى اللحظات يبلغ الانسان ذروة البطولة، وفي لحظة اخرى ينحدر الى ابعد قرارات الشر والاجرام والضعة.

ونظرة القارئ الحديث للشخصية الروائية ــ فيما اتصور ــ تشبه نظرة الكتاب الروائيين المحدثين، فالقارئ يؤثر التصوير الصادق

الدقيق لطبائع الناس على التفسير المسرف في التبسيط. والحياة الداخلية للاشخاص اكثر اهمية في نظر القارئ الحديث من مجرد المظاهر الخارجية للاشخاص وما يصدر عنهم من اعمال، والصراع بين العناصر المتعارضة في النفس ادل على حقيقة الشخصية من النزاع الخارجي الذي يقع بين مختلف الأشخاص. وعلى الكاتب الروائي ان يصور الانسان بكل ما فيه من نوازع وميول، ويصف الحياة كما يمارسها الناس.

وعسى ان يكتشف غيري من القراء لرواية دفنا الماضي آفاقا لم اكتشفها في هذا الحديث السريع ؟.

حديث للاذاعة 1969

الشاعر عزيز أباظة

زار المغرب بدعوة من وزارة التربية الوطنية الأستاذ الشاعر عزيز أباظة والقى كثيرا من المحاضرات عن الشعر والمسرح وسواهما من فنون الأدب. ولا شك أن المثقفين تتبعوا هذه المحاضرات أو بعضا منها، فأعجب بها البعض، لما لهذه المواضيع من جدة، ولم يعجب بها البعض الآخر، لأن أغلبها كان قليل العمق، غير ذي منهج واضح محدد..

ولم يسعدني الحظ لحضور جميع هذه المحاضرات، وكنت حريصا على ذلك، لا لأن الأستاذ المحاضر شاعر عربي فحل، أو ناقد أدبي ولكن لباعث آخر هو أن الشاعر عزيز أباظة تربطني به روابط أخرى، هي روابط الأستاذية فقد كان استاذا لي، وهو الذي ترأس اللجنة التي امتحنتني في آخر سنة دراسية في مصر في معهد الفنون المسرحية.

لقد استمعت لمحاضرة واحدة في الرباط القاها الشاعر الأستاذ عزيز أباظة بعنوان المدارس الشعرية الحديثة. وكنت أتوقع أني سأتمتع بدراسة تحليلية لهذه المدارس التي تتوزع الاتجاهات الشعرية في العالم العربي، وكنت أمني نفسي بقضاء ساعة أو بعضها أستمع لآخر مراحل هذا الصراع، لأني في خضم العمل الصحفي اوشكت عن الانصراف الى أشياء أخرى غير الأدب وغير مدارسه، وغير هذا الصراع الذي يعنف تارة ويخف اخرى. ودلفت الى قاعة الدروس العليا، وقد تفتحت جميع الحواس لتستمتع وتتذوق... ولكن سرعان ما بتين لي أن الأستاذ المحاضر يختصر المسافات، فيسرد لنا تطور القصيدة الشعرية من عهد البارودي الى أبو شادي.. متحدثا في

اسهاب عن شوقي أعظم شاعر عربي في رأي الشاعر أباظة.

وابتدأت أشك في أن عنوان المحاضرة هو المدارس الشعرية المعاصرة، وقلت في نفسي لعل الشاعر يفترض ان الحاضرين لا يعرفون شيئاً عن تطور القصيدة العربية، فهو يريد أن يضرب عصفورين بحجر واحد، أن يقدم لمحاضرته بهذه النبذة التاريخية ثم ينتقل منها الى الحديث عن المدارس الشعرية المعاصرة.

ولكن محاضرنا الكريم سرعان ما نط على فترة من أزكى الفترات في الأدب العربي، وهي فترة الفحول الثلاثة ــ مهما يكن رأي عزيز أباظة فيهم ــ العقاد، المازني، عبد الرحمن شكري. تجاهلهم الشاعر المحاضر وشن حملته على شعراء المهجر أو على بعض هؤلاء الشعراء حتى لا نحيد عن الحقيقة.

ووجه حملة شديدة الى الشعراء المترخصين ــ في رأي الأستاذ المحاضر ــ امثال الشاعر نزار قباني، ونازك الملائكة وصلاح الدين عبد الصبور، وسوى هؤلاء من الذين لا يخضعون شعرهم للعروض الشعري، وللقافية، وكل الأدوات الصناعية التي ليست هي الشعر في نظرنا، وانما هي وسائل الشعر فقط. وهنا نختلف مع الشاعر عزيز أباظة.

وانتهت المحاضرة كما ابتدأت دون أن أسمع عن المدارس الشعرية الحديثة في الأدب العربي، وانما استمعت لنقط يمكن أن يعتمد عليها كاتب في اعداد محاضرة قيمة عن تطور القصيدة الشعرية في مصر. ومصر ليست هي العالم العربي.. وتطور القصيدة العربية في مصر في الفترة التي حددها المحاضر لموضوع محاضرته، ليس هو دراسة المدارس الشعرية. لأني كنت مشفقا على الأستاذ المحاضر من تشعب الموضوع، ومن وفرة مواده وغزارتها، وكنت أفكر في الطريقة التي سيلجأ اليها للاستدلال على صراع هذه المدارس وتنازعها ليس في مصر فحسب

ولكن حتى في لبنان وسوريا والعراق والأردن وكل هذه الأقطار العربية لم يكن لها وجود في محاضرة الأستاذ الشاعر عزيز أباظة بالرغم مما تزخر به من طاقات شعرية، كان لها الفضل في الأخذ بهذه المدارس الشعرية التي عرفتها في مصر قلة نادرة من الشعراء، ليس من بينها الشاعر عزيز أباظة الذي ارتضى نحومسعاً معيناً من الاتجاه الشعري.

وهذا لا يقلل من قيمة الأستاذ عزيز اباظة كشاعر عربي فحل، تأثر بشوقي وتتلمذ عليه،، ونمى المكتبة العربية بروائعه المسرحية الشعرية، وبديوانه النادر أنا حائرة.

وكل هذا مما لا ينكره عليه أحد، خاصة تلاميذه، وهم كثيرون.. ولكني كنت أود أن تكون محاضرات الأستاذ عزيز أباظة أكثر عمقا وتحليلا ومقارنة واستدلالا حتى تكون فائدتها من حيث التوجيه الأدبي ذات تأثير مباشر على دراسة هذه المدارس والأخذ بها لدى المثقفين المغاربة، وهم اغلب الجمهور الذي استمع لمحاضرات الأستاذ عزيز أباظة.

وبعد... ليس هذا نقدا للمحاضرة وانما ارتسامات عن محاضرة، وبودي لو تقبلها استاذي الكبير عزيز أباظة في هذا الاطار الذي حددتها فيه، وما أظنه الا فاعلا.

حديث أذيع في الإذاعة الوطنية سبتمبر 1957

مؤتمر الأدباء العرب

سيعقد ادباء العرب مؤتمرهم الثاني في القاهرة، في بدايه الأسبوع الثاني من الشهر المقبل، وكان المؤتمر الأول قد عقد منذ عام في دمشق، وشارك فيه كبار ادباء العالم العربي، الذين درسوا بتدقيق النهضة الأدبية في العالم العربي، ورسالة الكاتب ومهمته، ومشكلة اللغة، وغير هذا مما يتصل بالأدب بصلة، أو تربطه به وشائج.

واذا كان المؤتمر الأول محدود الأثر في السير العام للأديب وانتاجه، فقد حاول الأدباء أن يحددوا موقفهم من كثير من القضايا التي عقدها احتكاك اللأديب العربي بكثير من الاتجاهات الأدبية المعاصرة، والتي لم تعد خالصة للأدب وحده كما كانت في الماضي، وانما أصبحت مشوبة بهذه المذاهب السياسية التي تدين بها الحكومات والجماعات والأفراد، الأمر الذي اضطر الأديب معه الى الأخذ بها، اما عن دراسة واقتناع، واما عن تقليد المعاصرة والرغبة في عدم التخلف.

وقد أورثنا نحن الجيل الجديد هذا الاضطراب ــ كثيرا من المشاكل التي نعاني من صراعها، سواء فيما يتصل بنا كأفراد لهم امكانيات، ولهم مطامح، وكجماعات تضطرب مشاعرها في هذه الدوامة العجيبة التي لم يكن من الضروري أن ندور فيها لو أن روادنا من المفكرين والأدباء كانوا امناء.. كانوا يقدرون قيمة الكلمة ودلالة الحرف. فلا يبتذلونهما، ولا يتخذون منها وسيلة رخيصة من وسائل الترهيب والتهديد، والصراع المبتذل، الذي لا يعبر عن قيمة انسانية عليا...

والذي نعتقده أن رواد الأدب الكبار قد أدركوا الخطر الذي

يتهدد الأدب العربي، بعد أن استعبدته المذاهب السياسية، وسخرته لأغراضها التي لا تكون في أغلب ظروفها ــ نبيلة وشريفة.

ومؤتمر الأدباء العرب الأول سلط كثيرا من الأضواء على هذا التخبط، ولكن هذا الضوء لم ينفذ الى حيث تنمو بذور التخبط والاضطراب والارتجال.. لم يغمر المناهج الدراسية في المدرسة والمعهد والجامعة، وانما اقتصر أمره على الأدباء الذين حاضروا وناقشوا، واتخذوا من القرارات ما يوازي الحماس الذي غمرتهم لجتة حينئذ..

وانتهى المؤتمر.. ومر عام كامل لم نلمس أثرا لنتائج المؤتمر، وانما هي أيام قلائل تحدثت فيها الصحف والمجلات عن المؤتمرين، ثم عادت الفوضى والتخبط من جديد..

ودعا الأدباء الى المؤتمر الثاني بعد ان جدت احداث في العالم العربي، وظهرت محاولات جادة تتقصد فهم الأدب، واستبطان رسالته، من أدباء ناشئين ليس لهم من التجارب ما للادباء الرواد الكبار، وانما لهم من رهافة الحس، وعمق العاطفة، ما صهر قلوبهم مع الأحداث العامة فاستجابوا لها، وعبروا من خلالها عن الأزمة النفسية التي تتمزق فيها الذهنية العربية الشابة المنطلقة.. ولعل هذا ما دفع الذين ينظمون المؤتمر الثاني الى دراسة موضوع القومية العربية، الذي طالبوا من الأدباء العرب أن يعد كل واحد من الذين سيقع اختيار الحكومات العربية عليهم محاضرة في موضوع النقد والقومية العربية، واذا كان من اليسير تخطيط الموضوعات، فلعل من اليسير كذلك دراسة البواعث التي فرضت موضوع القومية العربية بالذات في المؤتمر الثاني للأدباء العرب.

لقد استدعي المغرب ليشارك في هذا المؤتمر، والمسؤولون جادون في البحث عن المغربيين الذين سيمثلون بلادهم في مؤتمر

القاهرة. وأملنا من الذين سيقع عليهم الاختيار، أن يعرفوا عبء المسؤولية الثقيل الذي سيحملونه الى أدباء العرب، وسيظهرون به وجه المغرب واتجاهه السياسي والاقتصادي والاجتماعي من خلال ما سيقدمونه من ابحاث عن الأدب المغربي المعاصر،.. اذا كان لنا أدب..

وسوف لا أسمح لنفسي بالاسترسال في حديث قد يكون سابقا لأوانه فلننتظر.

حديث اذيع في شهر ابريل 1957

ابن المجهول

قدمت أمس قصة للأستاذ عبد الكريم غلاب، والقصة : تحليل لنفسية السجين بعد أن ترسبت في أعماقه قيم جديدة لم يجد مناصا من استيحائها في سلوكه. وعنوان القصة ابن المجهول

والحديث عن القصة هو حديث عن المؤلف، عن الفنان الذي عاش هذه التجربة من خلال مشاهداته، أو من خلال نمط الحياة التي وقف بنفسه على صور منها، أيام قذف به الاستعمار مع من قذف بهم الى السجون والمعتقلات، تخليصا لهم من وزر الأفكار المتمردة التي يدينون بها ويكافحون من أجلها.

واذا كان من الضروري أن نحاول ادراج قصة ابن المجهول في احدى المدارس الأوربية حتى لا نغضب بعض الذين أفرغوا خانات معينة ليسدوا كل خانة بمدرسة أدبية من هذه المدارس التي كثر الجدال حولها في السنين الأخيرة، بين الأدباء كمبدعين خلاقين، وبين الأدباء كنا قدين ومحللين ـــ اذا كان شيئا من هذا ضروري، فمن السهولة أن نجد الأستاذ عبد الكريم غلاب أديبا واقعيا، واخشى ان تكون كلمة الواقعية قد ابتذلت حتى اضحت تعبيرا عن العجز والقصور، وتساهلا في الصياغة العربية السليمة التي تحفظ للغة العربية جمال اسلوبها، وموسيقى تراكيبها، والأستاذ غلاب من خيرة أدبائنا الذين تعتز بهم، ونعتز بانتاجهم الواعي، وتفكيرهم الواضح السليم، لا عقد نفسية تتلمس لها متنفسا وانما الموضوع الواحد ينمو من خلال الكلمات والجمل والفقرات، ويدرج في صعود محكم نحو الخاتمة، التي لا تحس باختلالها ونشازها، وانما هي النتيجة الحتمية للبناء المحكم.

ميزة ثانية تمتاز بها واقعية الاستاذ عبد الكريم غلاب هي انه

يسمو بانتاجه في غير غموض عن المستويات الدنيا من تفكير المجتمع. بحيث يصبح ضروريا على القارئ ان يرتفع شيئا ما ليجاري الاستاد غلاب، وليعيش معه تجربته الموضوعية، والتي هي جزء من تجارب هذا المجتمع بعامة/وليس من اليسير أيضا ان نتجاهل موضوع قصة ابن المجهول، لأن الكاتب لا يحدثنا عن حالة نفسية خاصة لحياة بشرية يمكن ان تكون نموذجا من هذه النماذج البشرية التي تمتاز بالفردية والشذوذ، وانما هو يقدم لنا عالما كاملا، ومجتمعا له اخلاقه، ومثله، ورواسب حياته، وتعقيداته النفسية، عالم السجن بكل ما يزخر به من حقد، وضغينة، وتشوف الى الانتقام من المجتمع الثاني الذي يعيش خارج اسوار السجن، والذين لا يقل اجرام أفراده عن اجرامات الذين يعيشون داخل الأسوار، والذين يردد كل فرد منهم مع ابن المجهول أنه أصبح في حاجة الى القوت، في حاجة الى الدفء، في حاجة الى المأوى، ولكن في حاجة قبل كل ذلك الى مجتمع يحتضنه، ويعترف به بين ابنائه.

وكما كانت الصورة النفسية الذاتية لابن المجهول واضحة الخطوط، وضاءة الألوان، فكذاك صورة المجتمع الذي خرج اليه ابن المجهول بعد عشر سنوات. ان المؤلف يقدم لنا هذا المجتمع في جمل قليلة، من خلال الحديث النفسي لبطلنا عبد الرحمن استمع اليه يقول

تحررت من دنيا السجون، ولكني أصبحت سجينا في دنيا الحرية... ما مقامي بين هؤلاء الذين اراهم فيتجاهلونني، وانتسب اليهم فينكرونني، وأتوق الى الحديث اليهم فيزدرون بي ؟.

وبعد، لقد وضع الاستاذ عبد الكريم غلاب مشكلة مجتمعات السجون أمام ايدينا حكاماً وكتاباً ومجتمعاً. وضع المشكلة امامنا بدون تضخيم أو رتوش. فاذا ما تجندت القوى لاصلاح هذا المجتمع

لسنحمد للأدب دوره ورسالته، وما اظننا الا فاعلين.

ان قصة ابن المجهول انتاج مغربي سليم لأديب من ألمع أدبائنا وأنضجهم فكرا وأسلوبا.

وعسى ان يستمر الصديق الأستاذ عبد الكريم غلاب في هذا الانتاج القصصي الذي نشتكي من قلته وضحالته وسطحيته.

وعسى أيضا أن تكون قصة ابن «المجهول نقطة انطلاق لأدبائنا الشبان فينتجون للمكتبة المغربية ما يثريها ويغنيها، وينفي عنها تهمة الفراغ، الا من نتاج ادباء لا يتعدون اصابع اليد الواحدة..

حديث أذيع في شهر ابريل 1957

رعاية الحسن الثاني للنهضة المسرحية

تفضل السيد مدير الاذاعة ورغب في مساهمتي بالكتابة في العدد الخاص من مجلة «الاذاعة» بمناسبة عيد العرش، مقترحا موضوع رعاية جلالة الملك للنهضة المسرحية، ولو لم يقترح علي هذا الموضوع لآثرت الكتابة فيه، كشفا لبعض الجوانب التي لا يعرفها كثير من ابناء الجيل الحاضر من عمل الحسن الثاني لرفع شأن الفنون الجميلة، واتخاذها وسيلة لنشر الوعي الوطني.

كان ذلك في عام 1950 حين أسست مع بعض الأخوان في الدار البيضاء فرقة «المنار المسرحية»، وكان من بين ممثلي الفرقة السادة: حمادي عمور، احمد العبدي، محمد الزياتي، محمد عفيفي، واحرزت الفرقة نجاحا عظيما، ما أظن ان فرقة مسرحية حرة حظيت به حتى الآن، واستدعى نجاحها اهتمام مراسلي الصحف الاجنبية في المغرب، فكتبت عنها جريدة الفيكارو، وفرانس سوار، ونشرت صور بعض الممثلين والممثلات منهم حمادي عمور، واحمد العبدي، وربيعة بنعبد الله، في مسرحية طرطوف للكاتب المسرحي الفرنسي موليير، ولم تكد تمضي سنة على تأسيسها حتى كانت قد قدمت لجمهور الدار البيضاء والرباط، وآسفي، مسرحيات طرطوف، وفتح الاندلس، وعبد الرحمن الناصر، ومسمار جحا.

وفي احد اجتماعات المجلس الاداري للفرقة، اقترح بعض الاخوان ان نتصل بسمو الامير ولي العهد مولاي الحسن ليترأس احدى حفلات الفرقة بعد ان وقفت على قدميها، وأصبح لها اطارها الفني والاداري والمالي، ومكانتها لدى المواطنين، وبرغم اعجابنا بالفكرة، وحماسنا لها، الا اننا استبعدنا تحقيقها لعدة اسباب.

أولا : ان احدا منا لا يعرف سمو ولي العهد المعرفة التي تتيح له الاتصال به، ولا يعرف كيف يمكن هذا الاتصال.

ثانيا لم نذكر أنه سبق لسموه ان ترأس سهرة مسرحية

ثالثا ان الظروف السياسية التي كانت تمر بها الحركة الوطنية اذ ذاك، والجو الذي كان مشحونا بالمؤامرات قد يجعل من الصعب ان نسعى للاتصال بسمو الامير ولي العهد، وعرض الالتماس عليه

رابعا من يستطيع ان يوصلنا بسموه ؟

وأوشكنا ان ننحي من تفكيرنا كل مسعى لتحقيق هذه الامنية، ولكن الفكرة مغرية، وجديرة بان تسعى الفرقة لتحقيقها، وتشاورنا مع كثير من الاصدقاء، فكان منهم المحبذ والمشجع على المضي، ومنهم من قال ان ذلك عمل رائع لو يتحقق، ولكن أني لكم ذلك وسط الظروف السياسية الراهنة ؟

وقررنا ان نحاول، وأرشدنا الاخ الأستاذ احمد زياد ــ وكان لا يتخلف عن اجتماعاتنا الاسبوعية ــ الى الاستاذ عبد السلام بن عبد الجليل مدير مدرسة سمو الاميرة للا عائشة، وبعد ثلاثة ايام من الاتصال بالسيد بن عبد الجليل حدد لي سمو الامير ولي العهد موعد المقابلة في مقره بالسويسي.

وأعود الآن الى مذكراتي منذ ستة عشر عاما، فأجد مسجلا فيها ان سمو الامير رحب بي في لطف وبشاشة، وبعد لحظات نسيت ما كنت أشعر به من حرج، وأخذت أجيب على أسئلة سموه عن أعضاء الفرقة، ومستواهم الثقافي، وقال

لا أحب ان أترأس حفلة مسرحية مرتجلة، فاما ان تقدموا عملا ناجحا، واما ان لا تقدموا شيئا، لأن المسرح علم له اصوله وقواعده. والتشجيع معناه مساعدة الاعمال الناجحة، أما مساعدة الاعمال

الفاشلة فهو تشجيع للفشل، وقضاء على النجاح، ولقد حدثوني عن محاولاتكم، ولكني أريد أن أتأكد بنفسي، فاذا لم تكونو واثقين من أنفسكم، ومن عملكم فلا تحرجوني.

وزاد سموه ما هي الرواية التي ستقدمون ؟..

وقلت لسموه : انها رواية مسمار جحا، وقد كتبها مؤلفها احمد باكثير ليصور فيها كفاح الشعب المصري لالغاء المعاهدة المصرية الانجليزية الموقعة عام 1936، وقد أدخلنا عليها بعض التغييرات لتصور الصراع القائم في المغرب بين الوطنية والاستعمار، أو نقدم مسرحية طرتيف لموليير.

فقال سموه: ولماذا لا تضعون مسرحيات مغربية تأخذون موضوعاتها من صميم الواقع المغربي، ان مسرحية طرتيف تراث انساني، فاذا قدمت في غير اطارها أو ادخلتم عليها بعض التغييرات، فقد تفسدون النص الاصلي، وقد تسيئون الى بعض الناس الذين لهم مواقف معينة من الوضع الحاضر، ومهما يكن موقفهم منافيا لاجماع الامة، فاننا لا نريد الاساءة الى احد، لانهم مهما فعلوا، لن يرجعوا عقارب الساعة الى الوراء. وان مجرد تقديم مسرحية طرتيف، في اطارها سيرشد المشاهدين الى معرفة الذين ينشبهون بطرتيف، ويخرجون بمواقفهم وسلوكهم عن اجماع الناس.

فوعدت سموه بالمحافظة على النص، وبذل كل الجهود لنكون عند حسن ظن سموه، وقدمنا طلبا الى الجهة المسؤولة بإعطاء اذن بعرض المسرحية في سينما الملكي بالرباط، واخذنا الموافقة من المراقب المغربي، بعد مساومات عن قيمة الرشوة، واتفقنا على ان نسلمه المبلغ المتفق عليه في زيارة قادمة.

وانستنا فرحتنا برئاسة سمو ولي العهد للحفلة ان نفي بوعدنا،

وشرعنا في الاعداد للسهرة، ونفذت جميع التذاكر، قبل الموعد المحدد للحفلة باسبوع.

وفي يوم الافتتاح جاءتنا رسالة مستعجلة من الاقامة الفرنسية العامة تخبرنا فيها أنها منعت عرض مسرحية طرتيف، فحاولنا اقناع المسؤولين اذ ذاك بعرض مسرحية أخرى، ولكن الرد كان ان الحفلة قد منعت... وسرى الخبر، وجاءنا مولاي سلامة بن زيدان رئيس الكتابة الخاصة لسمو الامير مولاي الحسن، وابدى اسف سموه للحادث وابلغنا توصياته بالصمود وان سموه على استعداد ليرأس مرة أخرى حفلاتنا، من غير ان تعلن ذلك في الصحف، كي تفاجأ ادارة الحماية، وما علينا الا اخباره بتاريخ الحفلة القادمة، ومكانها.

ولقد أنسانا هذا العطف والتشجيع ما لاقيناه من عنت، وما صادفنا من عقبات.

كذلك كان سمو الامير ولي العهد، يرعى أية بادرة يلوح له منها انها في مصلحة وطنه وشعبه.

وذلك ما جعله أمل جيل بأكمله، وعى ظروفه، ويتطلع الى مستقبل تحترم فيه كرامة الانسان، وتهيأ له فيه وسائل النمو الفكري والحضاري.

مجلة الإذاعة عام 1966

عرش ... و... شعب

المقاومة خلق، خلق نبيل، ينمو مع الانسان متأثرا بالبيئة والمجتمع والوطن، متشبعا بفلسفته وقيمه وتقاليده، وبهذا الخلق يتمم الانسان جانبا من تفكيره وسلوكه، فتصبح انسانيته ايجابية في حياتها العامة والخاصة.

وكما كانت المقاومة خلقا نبيلا للفرد، فهي كذلك خلق نبيل للجماعة، وللشعوب. فالشعب الحي لا يمكن أن يكون إلا شعبا مقاوما، ومتى وجدت الشعب الثائر المقاوم فابحث في طليعته عن القائد المتمرد المقاوم.

ولقد عرف شعبنا في أحقاب التاريخ كيف يتمرد ويثور، وكيف يقاوم الذين حاولوا أن يستذلوه ويستعمروه.

واذا كان الفرد يقاوم حين تمس كرامته، وتهدر حقوقه، فان الشعوب تقاوم حين تثلم كرامتها القومية، وحين تهدر حقوقها، وقد لا يكون تمرد الشعوب ثورة، لأن الثورة أعلى مراحل المقاومة.

وشعبنا مارس كل أنواع المقاومة، وفي حدوده كانت مقابر غزاته يعلوها تراب النسيان، وهو بصموده لا ينى، ولا يكل، خلق متاصل لا نهاية له، في أيام السلم كما في أيام الحرب، الفأس في أيام السلم تقاوم صلابة الأرض، وتستخرج منها طيبات تزخر بها تربتها، والبندقية في أيام الحرب تدافع عن الأرض الطيبة وتذود عنها.

ولكن، تأتي على الشعوب فترات قاهرة، قد توهن قواها البدنية، ولكن لا تستطيع ان توهن ارادتها.

ولقد مرت على المغرب هذه الفترة، فغلب على أمره، وفرضت عليه الحماية ووزعت أراضيه وانتقص من اطرافها، وحاول

المستعمرون أن يختطوا له طريقا غير الطريق الذي أراده الله ان يسير فيها شعبا مسلما ينشر دعوة الحق والفضلية أنى وجد إلى ذلك سبيلاً.

لم يستسلم هذا الشعب، ولم ييأس، بل كان على موعد مع التاريخ من جديد، ليمتحن قدرته على الحياة، وليتأكد من جدراته بحمل الرسالة التي حملها أجداده من قبل فكانوا أوفياء.

بايع المغاربة محمد الخامس ملكا عليهم، راعيا لحقوقهم، حافظا لقيمهم الروحية، مدافعا عن عقيدتهم الاسلامية، حاميا حوزة الوطن، قائدا لمعركتهم ضد المستعمرين، الذي استولوا على أراضيهم، وسخروا خيراتها لفئة من المغامرين والطامعين والمرتزقة، وكان له عليهم عهد لن ينكثوه: ان يعززوه وينصروه. وكانوا ما يزالون يئنون من ألم الجراح التي تقض مضاجعهم من معارك الريف، وتافيلالت، والأطلس الكبير، حيث كانت لهم الجولات المستمرة مع المستعمرين، الذين شرعوا في تثبيت وجودهم، ووضع الخطط لتنفيذ برنامجهم الهادف الى تقويض أسس الدولة، والحفاظ على مظاهرها، وإلى تحويل الشعب عن وجهته الاسلامية العربية، قضاء على قوميته التي صمدت طويلا أمام محاولات سابقة، وقد آن لها أن تنهار، فاسحة مجال العمل لتوسع جديد يأتي من وراء المحيط والمتوسط، غير أن المحيط والمتوسط كانا دوما جسورا للمغاربة خارج أرضهم، ولم يكونا جسورا لسواهم نحوهم.

وعاد الشعب الى منابع قوته، لا يرهبه تسلط، ولا ينال منه ظلم، عاد الشعب الى عقيدته يستوحيها الصمود، ويستلهمها المقاومة، مقاومة نفسه والمغريات، ومقاومة المشعوذين والضلالات. وتطلعت ابصارهم نحو العرش، واذا بالجالس عليه نبتة كريمة من نتاج هذه الأرض الخصبة بالطيبات والرجال. وكما بدأت الدعوة بالمسجد، والكتاب، عادت للمسجد والكتاب، تقاوم ضلالات النفوس،

والخرافات العواطف والعقول، وتنشر الدعوة للعلم والتعلم، صداً للجهل والتجهيل، ولم يدر المستعمرون ان حصر المساجد ومنابرها، وخشب الالواح وصلصالها قادرة على خلق جيل المقاومة والتحرير.

كانت البداية منطلقا سليما، ومقدمة صحيحة المقاييس، فقد هب الشعب يبني المدارس ويشيد المعاهد، وكان محمد الخامس يسير في تؤدة وتبصر، يرعى حماسة شعبه، ويصد عنه الانتكاسات، ويدرأ عنه في رفق حينا، وفي تصلب أحيانا اخر، ما يدبر في الظلام.

وآن الأوان لتتبلور مقاومة الشعب، وتتكتل وتتجمع، لتصبح قوة لها قيادتها على المستوى الشعبي، واذا كانت الثورة هي أعلى مراحل المقاومة، فقد عرف محمد الخامس كيف يسير في طريقه الشائك، حتى اذا وصلت المقاومة الى ذروتها لم تنتكس، وبرغم الحصار الذي حاول المستعمرون وأتباعهم أن يحيطوبه العرش أو يعزلوه عن الشعب، استطاع محمد الخامس أن يفك هذا الحصار، وينزل إلى شعبه، لأن العرش جزء من الشعب، وعضو رئيسي في كيان الأمة لا ينفصل عنها وبدأت جولات محمد الخامس، وأعطت اتصالاته بالمواطنين للقيادة دورها الطليعي في حياة الشعب، وأحس المستعمرون بخطورة هذه الاتصالات، لأن الشعب أعطى للرحلات الملكية أبعادها الحقيقية، فكانت شعاراته تعبر عن طموحه، ومطالبه تعبر عن ارادته. كانت مطالبه في مستوى إمكانياته وظروفه، بناء مدارس، إصلاح التعليم وانسجامه مع اتجاه المغرب وعقيدته، فصل السلطات لضمان أمن المواطنين وحفظ مصالحهم، وحمايتهم من الشطط في استعمال السلطة.

مطالب كانت الحد الادنى لحياة الانسان، وتبنى محمد الخامس مطالب شعبه ورعاها، وسهر على تنفيذ الممكن منها والمستطاع.

ولكن لغة محمد الخامس أخذت تسير مع تفكيره لتعبر عنه في منطق واضح، فقد كانت الحرب العالمية الثانية فرصة للشعوب المستعمرة، التي ساهمت في هذه الحرب، ولم يتخلف المغرب عن المساهمة فيها صدا للعنصرية من أن تسيطر على مقاليد البشر، وهو البلد الذي حاول المستعمرون أن يجزئوا سكانه عربا وبربرا، وما هم الا مغاربة يتجهون نحو قبلة واحدة، ويدينون لاله واحد بالعبودية والطاعة.

واوشكت الحرب أن تضع أوزارها، وقال محمد الخامس ان الشعب الذي تحمل في ويلات الحرب وأرزائها لابد أن يستفيد من النصر الذي ساهم فيه، وان يكون له من قرار اعلان حقوق الانسان نصيب.

ان الشعب قد يئس من الوضع الراهن، والحماية صارت ثوبا قصيرا على جسد الشعب العملاق، انه يريد تغيير الوضع القائم كي يصبح الحكم اداة تقدم وتطور وعدل وانصاف في يد المواطنين، لا أسلوب استغلال وظلم وإجحاف.

وكان تفكير محمد الخامس التعبير الأمين عما يفكر فيه المواطنون، فقد بلورت الحركة الوطنية المغربية هذا الاتجاه، وقررت مع محمد الخامس أن تتقدم بعريضة تطالب فيها بالاستقلال، فوضعت وثيقة المطالبة بالاستقلال، وقدمت الى الاقامة الفرنسية العامة في 11 يناير 1944، وأيد الشعب هذه الوثيقة بالتجمعات والمظاهرات وأعطى صدور أبنائه للسجون والمعتقلات، فلم تكن وثيقة الموقعين عليها فحسب بل كانت وثيقة المؤيدين والأنصار، وثيقة الأمة كلها.

والاستقلال هدف قومي، لا يحدد هوية، ولا يعطي اتجاها، وسياسية المستعمرين لها هدف بعيد، هو عزل المغرب عن مجاله

التاريخي والطبيعي، ووقف محمد الخامس وقفته التاريخية في مدينه طنجة عام 1947، وهي المدينة التي كان لها طابع خاص، وحكم مميز، أثناء الحماية، وقف محمد الخامس، ليعلن ان المغرب جزء من الأمة العربية، وان اتجاه الحكم في مغرب المستقل، هو الاتجاه الديمقراطي الذي يقوم على المؤسسات الدستورية.

وتاريخيا تعتبر رحلة طنجة، بداية المسيرة الحديثة الشاقة والصعبة التي اختار محمد الخامس أن يتحمل أعباءها، وان يسير في مقدمتها، متحملا كل نتائجها عن طواعية واختيار، والتي بلغت قمتها في 20 اغسطس 1953.

تقول المتقولون، وانطلقت الأفاعي تزحف في المسارب نافثة سمومها، ولكن قوة الشعب على الاحتمال، وحرية محمد الخامس في الاختيار، سارت في طريقها لا يلويها تهديد أو افتراء.

بعد رحلة طنجة، لم يعد صوت مقاومة الملك والشعب خافتا، بل أخذ شبابنا الذي هاجر طالبا للعلم، ينشر الدعوة، فسار للمغرب دعاة في باريس، والقاهرة، ونيويورك، يتجولون في عواصم الدنيا معرفين بقضية المغرب، ساعين وراء كسب العون والتأييد للمعركة التي أصبحت وشيكة، لا تنتظر إلا إذن القائد.

في الداخل شهدت البلاد بعد رحلة طنجة حركة فكرية واعية، الصحافة، المحاضرات، الندوات التجمعات، تسارع الى الخدمة العامة، صوفية في التفكير والسلوك، نشرت ظلالها على الوطن، وكأنها التعبئة النفسية لليوم الفصل، كان المواطنون يتحايلون على جبروت الأستعمار بشتى وسائل التحايل، وكانت تلك الفترة هي التي تبلورت فيها وحدة الرأي، ووحدة العاطفة، ووحدة التفكير، تمهيدا لوحدة النضال.

بعد طنجة باربع سنوات شد الملك رحاله الى فرنسا، ليعرض

للفرنسيين وجهة نظر الشعب في وضعيته، وابرز المواطنون كل ما يزخرون به من تأييد وحماس في وداع ملكهم، فهو الناطق باسمهم المعبر عن ارادتهم، الأمين على مطالبهم.

ويئس محمد الخامس من نتائج حواره في باريس، وعاد من رحلته مقتنعا بان المعركة الفاصلة على الأبواب، لان للصبر حدا متى جاوزه لم يعد صبرا، وانما صار استسلاما. وما كان لمحمد الخامس ان يستسلم وبجانبه شعب يترقب، ومن خلفه شعوب تتطلع، وتنتظر ساعة الخلاص.

واتخذ الصراع طابع التحدي، ملك مؤمن بشعبه، وشعب متشبث بمليكه، واستعمار مؤمن بقوته وجبروته، فلمن كان النصر ؟..

* * *

توهم المستعمرون ان ضرب الحركة الوطنية، وتشريد قادتها، وابعاد محمد الخامس عن العرش سيميت في الشعب روح المقاومة، وستكون الضربة عبرة لكل قطر مستعمر يطمح للخلاص من العبودية والذل.

ارادها الاستعمار لذلك، وارادها محمد الخامس وشعبه لغير ذلك، ارادها حياة للشعب، واملا للمستعبدين، فكانت التضحية الكبرى يوم 20 اغسطس 1953.

لم يكن هناك مناص من القرار الخطير الذي اتخذه محمد الخامس بعد طول روية وتفكير.

أيرضى فيستسلم ؟

أم يرفض ويثور ؟

لقد آثر أن يرفض ويثور، لأن الثورة هي سبيل الأحرار في

الحياة، الثورة على نوازع النفس ورغباتها، الثورة على الأوضاع الفاسدة التي تهدر فيها الحقوق وتداس الكرامات.

شعب يرزح تحت أوزار العبودية والاستذلال، وعرش رسالته أن يحمي حرية الشعب ويصون الكرامة. وملك يرى ان لا سبيل الى حماية حرية الشعب وصون كرامته الا بالثورة فثار. ثار عن اقتناع ورضا، فأعطى المثال النبيل للملوك والرؤساء والقادة في سمو التضحية، لأن الحكم ليس غاية، وانما هو وسلية. ولقد أعطى محمد الخامس عبرة اخرى وهي رفضه ان يتنازل عن العرش، لانه لم يكن يملك هذا الحق، فالعرش ملك للشعب وليست هناك قوة تستطيع أن تحول هذا الحق لغير الشعب وكان محمد الخامس يثق بشعبه ويثق بأنه في مستوى الأحداث، وبأنه سيعرف قيمة هذه التضحية التي كانت في أساسها بسببه ومن أجله ولمصلحته.

* * *

آثر محمد الخامس الهجرة اقتداء باسلافه، وآثر التضحية أسوة باصحاب الرسالات والدعوات.

وحلقت الطائرة تقله وأسرته الصغيرة، الى كورسيكا، ثم بعد ذلك امعنوا في ابعاده فنقلوه الى الجزيرة النائية جزيرة مدغسكر.

وقال المتآمرون هذه هي النهاية.

وقال الشعب نهايتكم وبدايتنا.

فلم تكد وكالات الأنباء تنقل خبر الاعتداء على كرامة المغرب، وعلى رمز وحدته وسيادته، حتى ارتفع نداء من القاهرة من صوت يعرفه المغاربة أجمعون، يعرفون صدق صاحبه، صدق وطنيته، وصدق تمسكه بالعرش وبالجالس عليه محمد الخامس، لا يقبل مهاودة، ولا يلين لمساومة.

ارتفع من القاهرة صوت الزعيم علال الفاسي ليعلن باسم المغاربة استنكار الأمة لصنيع المتآمرين، وليؤكد: ان نظام المغرب هو النظام الذي سنقره نحن باتفاق مع شعبنا ومع ملكنا محمد الخامس يوم يتم استقلال المغرب وجلاء الجيوش الفرنسية عنه، واني اهيب بالشعب المغربي ان يواصل كفاحه من أجل الغاية الوحيدة التي هي استقلال البلاد، وان يبذل معنا كل ما يستطيعه من الوسائل للذب عن كرامة ملكنا الشرعي واعادته الى عرشه عالي الرأس موفور الكرامة.

وأعلن الزعيم علال في ذلك النداء التاريخي ان الملك الشرعي للمغرب كان وسيظل محمد الخامس، وان ولي عهد المملكة هو مولاي الحسن.

في هذه الفترات من حياة الشعوب، تصبح للأحداث دلالات خاصة لدى الشعوب ذات العقيدة الدينية، والقيم الروحية، والعراقة التاريخية ، والشعب المغربي بكل مقوماته كشعب مسلم، تقمصت كل فرد فيه، روح التحدي، وكانت تضحية محمد الخامس ايذانا لهذا التحدي ان يأخذ مجراه الطبيعي ليصل الى المقاومة.

كانت الفطرة الشعبية الشفافة بعيدة عن تفهم الجو الذي كان يسود العالم اثناء عشرين غشت 1953، ولم يكن أي مواطن على استعداد لمناقشة الموضوع من زاوية ارتباطه باحداث عالمية معاصرة، بل كان يناقشه من زاوية ايحاءاته الذاتية، اعتداء صارخ على رمز كيانه. ولو حاول انسان ان يشرح لأي مواطن عادي هذه الظروف الدولية، لاتهمه بالخيانة والمروق، والخروج عن الاجماع الشعبي، بهذا المنطق الشعبي الذي يحمل في طياته كل معاني الصدق والوفاء تقدم الشهيد علال بن عبد الله ليرفع خنجره في وجه الرشاشات والدبابات.. خنجر

من حديد، يحمله مواطن، اخترق به الصفوف، ليدين به وضعا زائفا لا يسير في ركابه سوى المرتزقة والجبناء.

وكان علال بن عبد الله اول شهيد بعد 20 اغسطس، وبعده آفاق الناس من ذهولهم، ورجع لهم يقينهم، بان ما وقع ليس كارثة، وليس مصيبة، وليس قضاء وقدرا يقف المؤمن امامه مسلما مستسلما، وانما هو حلقة من حلقات الكفاح أراد محمد الخامس ان يستعجل بها مصير الاستعمار، وان يتيح للشعب، لكل مواطن فيه فرصة امتحان ضميره، ليحدد موقفه ويختار. وما تردد الشعب وما أحجم، وانما قرر وأقدم.

وبدأت حركة المقاومة التي اختمرت في العقول في الخلايا الوطنية، ومن افراد بسطاء لا يدافعون عن مصالح خاصة، لانهم لم يكونوا يملكون مصالح يدافعون عنها، وانما كانت بدايتهم تعبيرا عن اصالة هذا الشعب، وانه جدير بان يضحي في سبيله، اهل للثقة الموضوعة فيه. متى أحب أعطى ماله وولده وروحه فداء لمن أحب، لا يبخل بشيء مهما عز هذا الشيء. لم يتردد أحد من هؤلاء الأوفياء، ولم يكن لجهة من جهات المغرب شرف التفرد بالمقاومة، وتلك إحدى مبهرات هذا الوطن، في مدنه والقرى، في جباله وسهوله والصحراء، رفض شامل لسياسة التسلط والقهر، ونزوع كامل للتحرر، وطموح عام للعدل والكرامة.

عند الفلاح والعامل، وعند الطالب والصانع، وعند التاجر، لدى المتعلم ولدى سواه أمة واحدة صهرها الكفاح منذ مئات السنين.

متى تطلعت الى اي مواطن تجد شرارات الكرامة تقذفها عيناه، وآثار كفاح أجداده مطبوعة على محياه، ذلك هو الشعب الذي زهد

في طيبات الحياة، ووصل به التجرد والفناء أن أمسى يرى محمد الخامس أينما اتجه ببصره، ليس في احلامه فقط، بل في القمر شاهدوه، وذلك منتهى الحب والتعلق.

ونمت المقاومة الفردية، فأصبحت جماعات، وتطورت الجماعات، فتكون جيش التحرير، وتحول خنجر علال بن عبد الله إلى مسدسات وقنابل ومدافع، وأجهزة استقبال وارسال، وسيارات نقل وإسعاف، وإلى بواخر تمخر البحر بالسلاح، وقوافل الجمال والبغال تنقله إلى معاقل المقاومنين والمجاهدين.

وبهذا تحول المغاربة أجمعون إلى مقاومين، لا يشعر أي أحد منهم بغضاضة أو خجل، فكل منهم غير منكر الاستعمار، منهم من غيره بيده ومنهم من غيره بلسانه، ومنهم من غيره بقلبه، هل كان باستطاعة اختيار آخر ان يغير مجرى التاريخ في المغرب، لو لم يختر محمد الخامس سبيل الثورة؟..

يقينا ان الاختيار كان انتفاضة عبقرية في زمانها وظروفها، فقد كان كل شيء جاهزا لينتفض الشعب، وليستعيد ذكريات بطولات أجداده، ويسجل في كتاب تاريخه صفحات مشرقة.

كانت مقدمة الكفاح سليمة، فجاءت النتيجة سليمة كذلك، لأنه لم يكن من المتوقع غيرها، ولو طال الكفاح سنوات، وسنوات، فما كان الشعب سيمل أو ييأس، وما كان لمحمد الخامس أن ينفذ صبره.

* * *

وانتزعت ثورة الملك والشعب سيادة الوطن فحققتا أمنيتهما في التحرر من السيطرة الأجنبية، وعاد محمد الخامس من الجهاد الأصغر

إلى الجهاد الأكبر، عاد ليواجه مسؤوليات ضخمة، ويتحمل أعباء جسيمة. لعل في طليعتها توجيه حماسة الشعب، وتخطيط الطريق المستقيم يمتص طموح الجماهير، ويقلل من فورة العاطفة الجامحة التي انطلقت بعد كبت، وتحررت بعد تقييد.

قبل الاستقلال كان يكفي أن نصرخ ونستنكر ونحتج، لم يكن أحد مسؤولا ولكن الوضع تغير بعد التحرير، وأصبح لزاما علينا أن نواجه عدة اختيارات في الداخل والخارج.

وشعر محمد الخامس بضخامة العبء، فوجه نداء للشعب الطافح بالحماس، المنتشي بالنصر قال فيه

«ان ما احرزنا عليه من مقومات السيادة والاستقلال يكلفنا أعباء ثقيلة ومسؤوليات جسيمة، يكلفنا الاتزان والتبصر في شؤوننا صغيرها وكبيرها، ويقتضي منا ألا نخل بما لنا من حقوق وما علينا من واجبات، ويتطلب منا أكثر من ذلك العزم الذي لا يفل، والارادة التي لا تلين في حفظ كيان الدولة سواء بالسهر على سلامة ترابها ووحدته، أو بالسعي لتبوئها المقام اللائق بها بين دول العالم وأممه».

تسلم الملك جهازا تنفيذنا داخليا يسيطر عليه تفكير وتدبير وتقرير خارجي، فكان عليه أن يحرر هذا الجهاز وأن يجعل سلوك المشرفين عليه نابعا من وضعية بلادهم، ومن احتياجاتها، فلقد كانت الادارة جهازا يسير من الخارج، تشرف عليه أجهزة غريبة عن الوطن لغة وتفكيرا.

وواجه المغرب اثر الاستقلال جيش الاحتلال، وبرزت ارادة جديدة كانت تعمل بصمت، وتصمم في حذر، وكانت لمساتها ظاهرة في كل تخطيط للكفاح قبل الاستقلال، وبعده، تلك هي ارادة مولاي الحسن سميت سيدي ولي العهد، فإليه يرجع كل الفضل في تأسيس

الجيش الملكي الذي برهنت الأحداث أنه في مستوى مسؤوليات العصر، تجهيزا وتدريبا، وفي مستوى ايمان الشعب عقيدة وتفانياً في الدفاع عن الوطن وصد الغدر والخيانة عنه.

وواجه المغرب غداة الاستقلال وجود قواعد عسكرية على ترابه تعرضه للمحق والدمار، وتزج به في الصراع الذي كان حادا وخطيرا أيامئذ بين الشرق والغرب.

وكان على المغرب أن يختار سياسة يسير عليها في الميدان الدولي، ليطهر أرضه من رجس الاستعمار، واتجاهه من خطر التبعية والانسياق، فتبنى سياسة عدم الانحياز، واتخذها ركيزة لسياسته الخارجية، لأنه لن يستفيد من هذا الصراع المحتدم الأوَاربين عملاقي السياسة العالمية الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي.

* * *

لم يكن الميدان العربي، المجال التاريخي والحضاري للمغرب، ميدانا غريبا عنا، فقد استطاع نفر من المواطنين أن يهاجر الى البلاد العربية يطلب العلم، وينشر الدعوة لقضية المغرب، وتاريخيا، لا يستطيع مؤرخ أن يتجاهل الدور الذي قام به الزعيم علال الفاسي في هذا الميدان، فبعد خطاب طنجة التاريخي الذي حدد فيه محمد الخامس هوية المغرب، انتقل الزعيم علال الفاسي الى القاهرة، والتحق به المجاهد محمد بن الحسن الوزاني حيث انضموا الى الرئيس الحبيب بورقيبة، والبطل المقاتل محمد بن عبد الكريم الخطابي، وبعض المجاهدين الجزائريين وشنوا حملة منظمة للتعريف بقضية المغرب العربي، وكان جلالة محمد الخامس يرعى هذا الاتصال، ويمده بوسائل العمل والاستمرار، وبذلك صار العالم العربي منطلقاً طبيعيا للحركة الوطنية المغربية، واستطعنا أن نستفيد معنويا بتأييد اخواننا وأرحامنا في العالم

العربي، وبعد الاستقلال وجدنا المجال مفتوحا لنؤدي رسالتنا نحو العالم العربي، رسالة ايجابية دعت للخير والوئام والتعاون في كل ظرف وحين، حتى في الفترات الدقيقة التي تعرضنا فيها للجناية كان جلالة محمد الخامس، ومن بعده جلالة الحسن الثاني مثال الترفع والاباء، ونموذجا فذا لتحكيم العقل والمنطق، وعدم الانسياق مع تيار الاهواء والعواطف، برغم مغريات هذا الانسياق.

وهل يسير على الانسان أن يستعرض منجزات السنوات الأولى من الاستقلال؟.. ان المكتبات تزخر بالمؤلفات في مختلف اللغات عن المعجزة التي حققها هذا الشعب، في جد واصرار وتضحية، ومع ذلك لا يدعي أحد أننا بلغنا الكمال، ولكننا وضعنا أقدامنا على الطريق، وشرعنا في المشي نبطئ أحيانا، ونسرع أحيانا، نصيب ونخطئ، ومن خلال الخطأ والصواب تتغذى تجربتنا، وتنمو خبرتنا، ويزداد ايماننا بأن معركة التخلف التي يتحمل جيلنا شرف مكافحته ستكلل بالنصر، فالصحراء تزحف علينا، برمالها، وأمواج البحر تفتت شواطئنا، ولا صاد للرمل والموج الا سواعد هذا الشعب، الذي لم يتخلف عن البذل والعطاء، وكل مواطن يلمس بيديه ويرى بعينه، فيستطيع أن يحكم بان ما حققه عهد الاستقلال، عجز الحكم الأجنبي أن يحقق جزءا يسيرا منه في أربعين سنة، عجز لأن العرش والشعب كانا بعيدين عن ميدان عملها، كانا يكافحان للتخلص من الحماية، حتى اذا أصبحت مقاليد الحكم بيد العرش والشعب، كانت المعجزات.

* * *

موضوع آخر شغل تفكير محمد الخامس وشعبه، ذلك هو موضوع الحرية، فالشعب الذي عاش سنين طويلة محروما من الحرية، على اختلاف ادراك أفراده لمعاني الحرية، وعلى تنوع مجالات الحرية،

كان حريا به أن يعتبر نفسه مجندا للدفاع عن الحرية، حريصا على أن تظل وتبقى وتستمر قيمة انسانية خالدة لا تستأثر بها فئة دون فئة من المواطنين، ولا ينعم بها شعب وتحرم منها شعوب، وكان من الحكمة أن يسير المغرب على حذر في تكوين المواطنين على ممارسة حرياتهم ممارسة بناءة، تهدف جعل الحرية وسيلة للتوعية وتحمل المسؤوليات، وأداء الواجبات.

ومن تشبع محمد الخامس بمبادئ الحرية، ووفاء للتضحيات التي قدمها مع شعبه فداء لها، جعلت سياستنا الخارجية شعارا لها الدفاع عن الحرية، وتأييد كل طامح اليها مكافح في سبيلها.

ومن أبرز المجالات التي ظهر فيها تصلب محمد الخامس، موقفه الانساني الرائع من قضية الحرية في الجزائر، ولست اذيع سرا اذا قلت ان التضحيات التي قدمها شعبنا فداء لحرية القطر الشقيق الجزائر، لا تقل عن التضحيات التي قدمها دفاعا عن سيادته واستقلاله، قدم التضحيات من رجاله وشهدائه، وقدم التضحيات من ماله وعتاده، ووقف محمد الخامس مع شعب الجزائر بدون تحفظ، فقد كان يؤمن بان استقلال المغرب سيبقى مثلوما ما دام الاستعمار بجانبه، بل كان ينظر بعيدا، يتطلع الى المستقبل، فيرى أقطار المغرب العربي وقد أصبحت واحدة يجمعها التاريخ الحضاري المشترك وتربط بينها لغة واحدة، ونتطلع الى نفس الاهذاف والغايات، حرية وعدالة ومساهمة فعالة في مستقبل القارة الافريقية، فتحت رعايته انعقد في مدينة طنجة عام 1958 مؤتمر المغرب العربي الذي ساهمت فيه أحزاب الاستقلال المغربي، والحر الدستوري التونسي، وجبهة التحرير الجزائرية، وبارك محمد الخامس مقررات المؤتمر، وبرغم الأحداث، وبرغم الجراح فان عمل جلالة الحسن الثاني على تحقيق هذه الأمنية لم يتزعزع، بل لا

تزيده الاحداث الا رسوخا وتثبيتا.

ومن المغرب العربي نتطلع الى المشرق العربي، فقد آثر محمد الخامس أن يكون حضور المغرب في جامعة الدول العربية حضورا حقيقيا، فقام بجولته التاريخية، في عدد من الدول العربية معبراً عن روح هذا الشعب وعمق إيمانه بالعروبة وتمسكه بها، ولكنه ليس الإيمان العاطفي المتقلب، بل العقيدة القوية الطموحة، فرفع صوته يطالب بتعديل ميثاق الجامعة العربية عام 1958 حتى ينسجم مع التطور الذي عم وشمل العالم العربي منذ تأسيس الجامعة العربية، عام 1945.

فهل وقف طموح محمد الخامس وتطلع شعبه عند هذا المجال؟ ان افريقيا كانت وستبقى مجالا لرسالة المغرب واشعاعه، فنحن جزء منها، لا نكتفي بأن نكون واسطة لها، ولا معبرا غير مؤثر فيما يعبر منه إليها، وقد تفهمت الشعوب الافريقية الدور الذي يمكن أن يقوم به المغرب نحوها، فتطلعت إلينا تترقب نتيجة صراعنا مع الاستعمار، ولقد أعطاها محمد الخامس وشعبه المثال الذي أصبح قدوة، فتضاعفت مسؤوليتنا بعد الاستقلال، وصارت قضية تحرير افريقيا من السيطرة والعنصرية والاستغلال في طليعة القضايا التي شغلت تفكير محمد الخامس، وكانت أزمة الكونغو فرصة دعا فيها جلالته إلى عقد مؤتمر الدار البيضاء لدراسة القضايا الافريقية في يناير 1961.

ويعد هذا المؤتمر بداية الحركات التوحيدية التي تبلورت أخيراً في منظمة الوحدة الافريقية.

ذلك جانب يسير من جوانب التحام العرش والشعب، وهذا جزء من منجزات الكفاح المشترك، الذي ما يزال مستمرا في عهد الحسن الثاني، وقد وضحت الرؤيا أكثر من ذي قبل، وتضخمت المسؤوليات والتبعات، وزادت تجارب هذا الشعب وعظمت خبرته،

وتعمقت في وجدانه تصميماته على الحياة الحرة الكريمة، ليكون قدوة للمتطلعين إلى تحقيق الخير، والفضيلة والجمال.

«إننا مِلك للشعب، ولسنا مالكين للشعب»، هذه كلمات قالها لي بعد عام من الاستقلال جلالة الحسن الثاني ونشرتها في جريدة العلم في 17 يوليه 1957 بعد تنصيب سموه وليا للعهد، اننا ملك للشعب ولسنا مالكين له، لعل هذه الكلمات البليغة المعبرة جديرة أن تلخص فلسفة الحكم في المغرب، ذلك أن الشعب المغربي بما جبل عليه من أنفة وعزة وكرامة، كان في مختلف أطوار تاريخه ملتحما مع الحاكم العادل، حتى في الفترات التي كان الشعب يثور فيها كانت شخصية الملك عنصرا من عناصر استمرار الوحدة الوطنية وسلامتها، لأن هذه الوحدة الوطنية هي ضمان الاستقرار، والاستقرار هو ضمان الحكم في متابعة عمله بعيدا عن الرجات والاهتزازات والانحراف.

وبرصيد زاخر من رواسب التاريخ والوراثة استطاع الحسن الثاني ان يكون لساننا نحن الجيل الذي نعاصره لدى والده في الفترات الكالحات التي حاول المستعمرون فيها أن يسيجوا تفكيرنا برواسب الماضي السحيق، فعبر عن عواطفنا بعمق، وتبنى طموحنا بصدق، وطعم صوفية الايمان ومثالية الكفاح بمنطق الشباب وثقافته، وتطلعاته الى المستقبل.

ان التاريخ يعطي لكل انسان الحيز الذي يستحقه ضيقا واتساعا، ومن أراد أن يعرف الحسن الثاني فليرجع بتفكيره عشرين سنة قبل الآن ليرى ممارسته اليومية والمستمرة لأعباء التفكير، ولمسؤوليات التوجيه والتخطيط والتنفيذ. وسيجد أن لقب «سميت سيدي» طبع كل حادث صغير وكبير في حياة المغرب. لذلك كان المستعمرون يعتبرون الحسن الثاني اخطر خصومهم فكانوا يشنون عليه

الحملات تدليسا وتشويها وتثبيطاً، ولكن وطنيته صمدت، فكان رسولها عند والده تحميسا وتشجيعا، ومن حسن حظ هذا الوطن أن محمد الخامس لم يكن وحيدا في معركته اليومية والمستمرة مع المستعمرين فقد كان «سميت سيدي» بجانبه. وكان صموده يشد من عضد الحركة الوطنية وقادتها، لأن الحسن الثاني بالنسبة لنا مغرب الغد، بكل ما يمثل من فتوة وشباب، ومن تفكير سليم، ووطنية صادقة.

وأثناء المنفى كان عميد الأسرة، وراعيها، والمشرف على حياتها اليومية، والمؤتمن على سلامتها والمنفذ لرغبات كل فرد منها. ينشر الأمل، ويبذر التفاؤل، ويشيع في المأوى النائي القصي، روح الصبر والتحمل والايمان.

وبعد المنفى، برزت جوانب اخرى من شخصيته، فقد تحمل عبء تأليف القوات الملكية المسلحة، وادماج قوات جيش التحرير في اطار هذه المؤسسة ويبدو ذلك عملا يسيرا، ولكنه لم يكن كذلك غداة الاستقلال وجيش الاحتلال ما يزال موجودا، بقواعده واستحكاماته، وظروف جيش التحرير من الدقة والحساسية. وبرزت القوات المسلحة كمؤسسة وطنية نمت مع الأيام، وسهر الحسن الثاني على اعداد أطرها، وتجهيزها بما تحتاج اليه، فأصبحت قوة حامية لسيادة الوطن، مدافعة عن كيانه ووحدته الترابية، مساهمة في تنميته. وحين أجمع الشعب على تنصيبه وليا للعهد حتى يكون لمسؤولياته اطارها السليم، خاطبه والده قائلا

يا بني، أنت تعرف ان اسلافك الاكرمين ما وصلوا الى الملك قهرا، ولا اقتعدوا العرش قسرا، وانما تقدمهم الى السلطان ضرورة دعت اليها مصلحة الوطن العليا، آوى منهم الشعب الى ركن ركين، ولاذ بحصن حصين.

واعلم يا بني ان الحكم خطة يبتلي بها الله من يشاء من عباده، فواحد قدرها حق قدرها، ورعى بها الحقوق، وصان الحرمات، فرجحت بها كفته، وكان من المفلحين، وآخر بطر بها وأشر، وطغى واستكبر، فخف بها ميزانه وكان من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ويجيبه الحسن الثاني

أنا من الشعب وإليه، ان أمتنا تعيش فترة تحول خطير في تاريخها الحديث. انها تتحول من عهد الركود والخمول والاستعمار الى عهد الحركة والانطلاق والحرية، فاليك عهد الله يا مولاي، وعهد البنوة البارة، اني سأحافظ على وحدة الوطن واستقلاله، وأبذل النفس والنفيس في تنمية موارده واعلاء شأن سكانه، وسأكون من الشعب واليه، أسير فيه بالرفق، وأحكم بالمعروف، وأعمل على ان يحيا حياة رغيدة كريمة، لا حرج فيها ولا عسر، متقيدا بارادته متمسكا بعروبته».

ذلك هو الحسن الثاني الذي اعدته العناية الالهية ليقود هذا الشعب في هذه الظروف، وليخرج به من حياة التخلف الى الحياة الكريمة الفاضلة. مجندا وراءه لتحرير بقية أجزاء الوطن في الصحراء والشمال، حتى يستكمل الوطن وحدته الترابية التي جزأها الاستعمار، وتآمرت عليها نزعات التوسع وحب السيطرة والاستغلال.

ان هذه الأمة المغربية، المسلمة العربية الافريقية، ستبقى دائما عند حسن الظن بها، متمسكة بقيمها الدينية وأصالتها المغربية ضنينة بحاضرها ومستقبلها أن تتلاعب به النزوات، أو تستغله الأهواء وتلك هي ميزتها عبر التاريخ.

أحاديث قدمت بالتلفزة المغربية عام 1966 بمناسبة مرور عشر سنوات على استقلال المغرب

مرثیات

رحلة في حياة قصيرة

حين آثرت الاخرة نفسها بأخينا مصطفى الصباغ، فاطفأت شمعته من دنيانا هذه المتعبة، عجزت عن رثائه ثم تقصدت أن لا أؤنبه، لأني فارقته قبل مصرعه بساعات على موعد، وما أزال حريصا على الوفاء، واني لملاقيه بعد حين، لأن رسل الاخرة يتربصون بنا في كل سبيل، فما تجدي معهم حيطة ولا يدفعهم تأمين !

مصطفى اراح واستـــراح

أراح البشاعة من منظره وقد كان جميـــلا ،
أراح الجهل من تحديه وقد كان مثقفـــا ،
أراح الحسد من ضيقه وقد كن قنوعـــا
أراح الرذيلة من انزوائها وقد كان فاضـــلا
أراح النفاق من سخريته وقد كان صريحـــا
وأراح الالحاد من طيشه فقد كان متدينـــا

واستراح مصطفى من مواجهة البشاعة، والحسد، والرذيلة، والنفاق، والالحاد. ووجد من ايثار الاخرة نفسها به، مخرجا له من دنيا مليئة بالغدر والخيانة والجحود، وذهب مزودا بما قدم بين يديه من الصالحات، ليخلفنا وراءه نرزح تحت أعباء أوزارنا، ونتمرغ في رذائلنا فما نحاول عنها إقلاعا، وكأننا آمنون من سوء المصير !...

لقد صحبتك اليوم في رحلتك داخل حياتك القصيرة، فاستكثرت على الموت ان يفجع فيك مثل الحياة وقيمها.

مصطفى، لست بعيدا عن ملكوت الله، كثيرون ودوا ان يروا ما انت راء، ولم يروا... وكثيرون ودوا ان يسمعوا ما انت سامع، فلم يسمعوا... وكثيرون يودون أن يكتبوا ما كتبت، ولسوف تحطب اقلامهم ولن يستطيعوا

العلم 1966

ذكريات معه ...

زعيم ؟..

فكل كلام عنه معاد، وكل حديث لايطال بعض الجوانب في زعامته.

وطني ؟..

وقبل أن يتلبس الناس أردية الوطنية كان قد نسجها للناس فكرا، وعقيدة وسلوكا، فمنهم من كانت له الوطنية فكرا وعقيدة وسلوكا، ومنهم من طاله الرداء فتعثر فيه وسقط، ومنهم من قصر دونه فكشفه لنفسه وللناس ؟..

عالم ؟..

وما ترك مجالا لم يحاجج الذاهبين منهم فيه، ولن يجد الآتون مناصا من الاسترشاد به حين يعلمون.

عربي ؟..

وهذه منابر العروبة وأنديتها ومعاهدها والجامعات تعلم أي عربي صادق العروبة خالصها كان.

مسلم ؟..

وهو من أعلم أهل زمانه بالاسلام ومقاصده، ومن أدركهم لتفتحه وشموليته، لم يكن متعصبا فيعمى عن الحق، ولا متعاليا فيضل عن السبيل.

* * *

علال

علال قلت ؟.

يا لرنين الاسم، وموسيقى الحروف، وعذوبة هذه اللام المشدودة وسطه !..

علال، حين أذكره، ودائما أفعل، تتداعى على ذهني، مرتبطة بالاسم، الزعامة والوطنية، والعلم والعروبة والاسلام، ولكل منها فضائل ومقومات لا تنفصل عنها، فلم يكن زعيما بالقهر، ولا وطنيا بالعشيرة والمدينة، ولا عالما من الكتب والتلقين، ولا عربيا بالعصبية والجهل، ولا مسلما بالوراثة والاقتداء

ولست بسبيل ذكر مناقبه، وتحليل شخصيته، وانما اسعى الى تسجيل بعض الذكريات معه، وما اكثر مالي من ذكريات معه !..

ذكريات من طفولتي وشبابه
ذكريات من شبابي ورجولته
ذكريات من رجولتي وشيخوخته

ذكريات جمعتها أبوته الروحية لي على امتداد أربعين عاما ما انقطع خلالها أبدا بروري بهذه الأبوة، ولا وهنت رعايته مطلقا لهذه البنوة.

أولى هذه الذكريات التي أذكرها معه بدأت عام 1937 قبل اعتقاله ونفيه بأيام، كنت طفلا في الثامنة من عمري، أذهب الى المسيد لاصير فقيها، وكانت الاجتماعات الليلية في منزلنا لا تنتهي، جماعات من الناس يدخلون ويخرجون، يدخلون للمنزل فرادى في حذر شديد، ويخرجون فرادى في حذر أشد، ووالدتي تعد الشاي، ووالدي يدخل للغرفة ببراريد ملأى ويخرج بها فارغة، لتملأ من جديد، وأنا اتتبع هذه المشاهد فلا أفهم منها شيئا، وكلما أراد أحد أن يخرج طلب مني في بشاشة أن أرى إذا كان في الشارع من رجل غريب فإذا أكدت له خلو الشارع خرج، واذا أخبرته بوجود غريب فيه

عاد إلى الغرفة مع المجتمعين.

وفي تلك الليلة، لم يكن الزوار كثيرين، كانوا ثلاثة كما لا ازال أذكرهم، وفي هذه المرة لم تكن براريد الشاي تدخل ملأى وتخرج فارغة، وانما كانت الصينية كلها داخل الغرفة، ومعها المبخرة ومرشة ماء الزهر، مما يعني ان للزائرين مكانة خاصة عند والدي، وزادت أهميتهم عندي، وهيبتي منهم، حين أمرتني والدتي أن أذهب عند الجيران وأطلب شيئا من ماء الورد، لأنه نفذ من البيت، ولم يعد عندنا الا ماء الزهر، ووقت التقطير ما يزال بعيدا، وأوصتني قائلة: اياك ان تخبرهم ان السي علال عندنا.

ــ ولم لا ؟ انه يأتي عندنا كثيرا.

وانهت الموضوع بحسم قاطع قائلة

ــ افعل ما قلته لك

* * *

بعد وقت طويل خرج والدي من الغرفة المحاطة بالأسرار، وعلامات الجد والاهتمام بادية عليه، وقال لوالدتي

ــ الله يهديه السي بن الحسن، انه يرفض كل الحلول، حتى الفقيه عجز معه. وأخذ غراف ماء ودخل.

وسألت والدتي من هو بن الحسن، ومن هو الفقيه ؟

فقالت لي انه السي بن الحسن الوزاني، والفقيه العلوي، وقد اختلف بابا علال مع السي بن الحسن، فجاء الفقيه ووالدك ليصلحا بينهما.

ــ هل ضرب أحدهما الآخر ؟ ولا شك ان بابا علال غلبه.

ــ انهما ليسا طفلين مثلك، انهما من الوطنيين.

ـ ومن هم الوطنيون ؟

ـ ستكبر وتصير منهم ان شاء الله.

وخرج والدي وأمرني ان ادخل معه الى الغرفة، وحاولت أن أصرخ أو أفر أحتمي بوالدتي، ولكني عجزت عن الصراخ والفرار، وانقدت لوالدي، ودخلت معه الغرفة، واذا في صدرها الرجال الثلاثة يبتسمون وكأنهم ينتظرون دخولي، ولعلهم كانوا يعرفون اني ساضطرب لمرآهم، فاضاءوا وجوههم بهذه الابتسامة التي نفذت الى صدري فخفف اضطرابه، وتقدمت اقبل يدي الرجلين الغريبين، وكلما قبلت يد احدهما دعا لي بالرضى والصلاح، وقال لي والدي: هذا الفقيه العلوي، وهذا السي بن الحسن الوزاني، واسرعت نحو السي علال، فاقعدني بجانبه، وسألني عن أي حزب في القرآن وصلت، والتفت الى والدي وقال له

ـ ادخله الى المدرسة، وان شاء الله منها الى القرويين، لقد اضعت له عاماً آخر، في السنة الماضية اقترحت عليك ادخاله، والسي عبد العزيز والسي الهاشمي سيعتنيان به، ولقد صار باستطاعته الآن ان يذهب للمدرسة وحده ويعود.

ورد عليه والدي

ـ المسيد قريب من الدار، ووالدته تخشى عليه ان يضيع في الشوارع، وانا اريده ان يحفظ القرآن اولا.

ـ وانت ماذا تريد ؟.. هل تفضل المسيد والفقيه والحصير والفالقة، او المدرسة والاستاذ، والمقعد والسبورة ؟..

ولما لم اجب على سؤاله، قال

ـ هل تحفظون الأناشيد ؟..

ـ وما هي الأناشيد ؟..

ـــ انها مثل هذه

يا مليك المغرب، يا ابن عدنان الأبي
نحن جند للفداء
نحمي هذا الملك

كان يترنم مغنيا بهذا الكلام الذي لم اسمعه من قبل، وهو يريت بيده على كتفي، وقلت له

ـــ اننا نحفظ ابن عاشر، فشرع الفقيه العلوي يقرأى وانا اقرأ معه

يقول عبد الواحد ابن عاشر
مبتدئا باسم الاله القادر
الحمد لله الذي علمنا
من العلوم ما به كلفنا
صلى وسلم على محمد
وآله وصحبه والمقتدى
وبعد فالعون من الله المجيد
في نظم ابيات للامي تفيد

وانفض الجمع، وخرجت عند والدتي، وانا احوال تقليد السي علال في ترنمه بالنشيد، فاخذتني بين حضنيها نشوانة فرحة وهي تقول

ـــ الآن صرت من الوطنيين !

* * *

تلك كانت البداية.. اما ما بين البداية والنهاية فيا ليت الظروف تسمح بكتابتها ليعلم اولادنا كيف نشأنا، وكيف ينشأون، وكيف نخلص وهم يستهترون.

ان جيلي يجر وراءه عربة مثقلة بالذكريات الوطنية، ذكريات الكفاح المستمر المرير، ذكريات العذاب الذي اشتعلت به رؤوسنا شيبا من اجل غد اشرف لكل المغاربة.

كل واحد من جيل الفقيد او من جيلي يختزن في ذاكرته ما يفتخر بقصه على أولاده من ذكريات الكفاح والوفاء... لم يكن لنا اختيار الا ان نكون وطنيين... الا ان نكون مخلصين لبلدنا ولمقدساتها سنين، كان الاخلاص للوطن والمقدسات مغرما لا غنم وراءه.

كانت الوطنية قدرنا.. تحاصرنا في كل مكان، في المسيد، والمدرسة وفي البيت والشارع، وفي المعمل والمتجر والمصنع، حتى ضعيف الوطنية كان يخجل من نفسه ومن أسرته والجيران، وما أقل من كان ضعيفا في وطنيته واخلاصه.

اولئك نحن، وكذلك كنا، فمن هم اولادنا، وكيف هم ؟..

* * *

وعندما واريته التراب، سافرت عند والدي أعزيه فيه ووجدته معتكفا في غرفته فقال لي

— أجئت من جنازته ؟

— نعم

— أجزل الله له المغفرة والرضوان، فقد ادى رسالته بأمانة ونزاهة منذ ان كان عمره خمسة عشر سنة الى ان اختاره الله لجواره، عوض الله المغرب في فقدانه.

وسكت قليلا ثم قال

ــ يرحمه الله كان يرعاك كأحد أبنائه.

ــ نعم، وكنت بارا به كأحد أولاده.

ويوم امس تلقيت رسالة من الصديق الأستاذ محمد بوستة قال في نهايتها

واعلم ان المرحوم كان يعتبرك ابنه الروحي، فانا لله وانا اليه راجعون، وانا على العهد باقون.

ــ اجل، انا على العهد باقون.

كلمات عنه

قبل أن يختاره الله ليكون في جوار والده كان يسهر بجانبه جلالة الحسن الثاني أطال الله عمره، وشفتاه منفرجتان عن ابتسامة فيها كل معاني العرفان والتقدير للأخ الساهر بجانب سريره. واذا به يمسك يده ويضعها على قلبه ويرجوه أن يقرأ بعض آيات من كتاب الله. وظل ممسكا باليد، وجلالته يتلو ما تيسر من الذكر الحكيم. واذا به يرفع اليد باصرار الى فمه ويقبلها، وينحني جلالته على الأخ والرفيق والصاحب والصديق ويقبله، محملا قبلته كل ما تشاء من الحب والعاطفة وما ترمز اليه الأخوة، وما يختلج في الصدر من ذكريات الطفولة والشباب والرجولة، وكلما كان بينهما من علاقة آثراها بالحفظ والاختزان. كان أرضاه الله قوي الايمان، واثقا من لطف الله، شديد الوفاء لصاحب الجلالة مؤمنا بسداد أي موقف يتخذه، وذلك هو الولاء الصوفي، والصحبة الواثقة.

وحين وقفت بجانب نعشه ألقي عليه آخر نظرة في هذه الدنيا تزاحمت في ذاكرتي علاقة خمس وعشرين سنة متواصلة، عرفت فيها الأمير مولاي عبد الله، فعرفت خلالها من مواقفه الوطنية، وغيرته المغربية، وحبه الصوفي لاخيه جلالة الملك الحسن الثاني ما يحتاج ذكره الى كتاب، كانت له لمحات متواصلة خارجة عن مألوفنا، بعيدة عن تحليلاتنا للناس والأحداث، وحين يرى عدم اقتناعنا بهذه اللمحات كان يقول. لا تنسوا، سترون حق ما أقول، وما أذكر خيبة واحدة للمحة واحدة من هذه اللمحات.

* * * * *

وكانت القدس، وفلسطين، توشك ان تكون في تفكيره

واهتمامه متساوية مع قضية الصحراء، ولسوف لن تؤاخذني اذا اشركت غيري في بعض مواقفك. فأنت تذكر عدوان يونيه 1967 على بقية القدس، وما فضل من فلسطين، وتذكر يا مولاي عبد الله انك اصررت على التطوع في القوات الأردنية التي كانت تستبسل في أحياء القدس، وتدافع عن أراض أوقفها اجدادك لخدمة المسجد الأقصى، وقلت لك، وهل يعلم صاحب الجلالة بقرارك؟

فقلت لي، وكيانك يهتز من الانفعال، اني أعرف جلالته أكثر من أي مواطن من رعاياه، انه لن يصرفني، ولن يمنعني، وحتى لا أجعله ينشغل ولو لجزء من الوقت عن رسالة الأسرة، فسأفعل ما فعل، منذ سنوات، مقتديا بجلالته، سائرا على منهاجه. سأترك له رسالة استسمحه على جرأتي وعلى قراري، ولسوف تتحرك فيه بواعث الخشية على أخيه، ولكنه سيحمد الله ويشكره على أن جعل في أسرته من يعمل ما يتمنى ان يفعله هو لو سمحت له مسؤولياته.

وما حال بينك وبين تنفيذ عزمك، الا ان قضاء الله كان أسرع من تدبيرنا، فتم الاكتساح، وتوقفت الحرب، وعشت أياما وليالي تصارع أحزانك في كبرياء شريف.

* * * * *

وأذكر لك يا مولاي موقفا ما يزال كياني يهتز فخرا كلما مر بي، ذلك يوم كنت تحدث أحدهم ــ غفر الله له ــ في بلده، وأنت في ضيافته، عن واقع الامة العربية، وعن قضية فلسطين وتدافع بثقة مطمئنة عن العرب، واذا به يقول لك

اي عرب ؟...

وتحركت فيك شهامة الأسرة، وصدق الانتماء، وكبرياء الشرف

ونظرت اليه في استعلاء، وقلت له

العرب الذين أنا واحد منهم، وأسرتي تنحدر من أصلابهم يا فبهت المتسائل !!....

★ ★ ★ ★ ★

ومنذ عشرين يوما كلمتني يا سيدي في تونس ـــ وما تأخرت عن تشريفي بمكالماتك مرتين في الشهر حتى وأنت خارج المغرب ـــ مستفسرا. ومطمئنا وموجها ـــ وطلبت مني تلفون ياسر عرفات في طرابلس، وحاولت أن اصرفك بأدب ولباقة لأني لم أكن واثقا من امكان مكالمته، وهو محاصر في مخيم البداوي، ولكنك اصررت، ونجحت باصرارك محاولتي، وحين علمت بعد يوم أنك كلمته، حمدت الله وشكرته، واذا بك تتصل بي لتقول لي، اني الآن مطمئن على أبو عمار، فليكن الله بنا وبه رؤوفا ولطيفا.

وكان ذلك آخر ما سمعته منك، الى أن وقفت على جثمانك الطاهر مصليا وداعيا ومودعا.

★ ★ ★ ★ ★

سيدي ،

ليست تلك كلمات رثاء، فأنت أكبر من الرثاء، وليست تعبيرا عن وفاء فقد أخبرتني مرة ان صاحب الجلالة قال لك

ان اصدق الحب وأعمقه ما لا يستطيع المرء أن يعبر عنه بالكلمات، وانما هو ما تشعر به دون كلمات.

فليلهم الله سبحانه وتعالى أمير المؤمنين والأسرة الملكية واصدقاءك ومحبيك الصبر الجميل.

العلم 24 ديسمبر 1983

وداعاً معي...

وتنقضي ثلاث سنوات على غيابه، وهو الحاضر المقيم، وأحاول ان أنساه فلا أجد للنسيان سبيلا، واجهد ان اعوضه بصديق أو صاحب أو رفيق فلا أعثر على أحد وأنكفئ على نفسي أروضها فتعصى، وأسليها فتنفر مني، وأتلفت يمينا وشمالا، أنظر قدامي وخلفي، وأكاد أصرخ

هذا وطني، وهذه مدينتي فأين أحبابي ؟...

وأمر على باب بيته، وتعجز قدماي عن تخطيها، ففي كل ركن منه ذكريات لي معه، فأسرع هاربا من البيت واذا اضطررت لدخوله فأكون الحاضر الغائب، وأشعر أن بعض زواره يضيق لوجودي، فهم يذكرونه تراثا من ماضي هذا البيت، وهو لي تراث من هذا الوطن ماضيا وفي الحاضر والمستقبل، فالموت يستطيع أن ينتزع من بيننا جسما وجسدا، ولكنه لا يقدر أن ينزع من نفوسنا مثلا وقيما سكنت الجسم الميت، والجسد المسجي في كومة من تراب، ثم أشعت على من حولها، فمنهم من احترق بشعاعها لأنها كانت أقوى مما يحتمل، فليس كل الناس سواء في استيعاب المثل والقيم واستشعارها فكرا وفي السلوك، ومنهم من تلهى بقشورها فلم تنفذ لفكر، ولم تتجل في سلوك.

كان الأمير مولاي عبد الله نموذجا فذا في استشعاره لقيم ومثل الشعب المغربي، نشأ في مدرسة محمد الخامس، واستقرت أفكاره واستقام منهج سلوكه في المدرسة الحسنية، مع روافد مضافة من اجتهاد شخصي، في محاولة لإثبات الذات، لكي لا تكون جهازا لاقطا، وانما مرآة مستقيمة تعكس الصورة الحقيقية لما يتراءى عليها.

وفي هذه المحاولة كان الاختلاف.

ولم يكن الاختلاف بين الامتثال واثبات الذات تناقضا أو اضطرابا في الفكر، أو تمردا على سلوك، وانما كان تعبيراً عن تشبع بحرية الفكر، وحقه في الانطلاق من غير خروج على الأصول والأعراف.

وبهذه الخاصية الفريدة كان بين جلالة الملك وبينه قاموس خاص واضح المفردات، صادق الدلالة، عميق التعبير، لا يستطيع سواهما أن يهتدي لفك رموزه، فكان الحوار بينهما في كل الظروف والأحداث حوارا ذاتيا يصح معه أن يقول كل واحد منهما للآخر يا أنا... وحين سمعت جلالة الملك يقول لي بعد سنتين من وفاته

لقد مزقت القاموس الذي كنا نتحاور به لأني لا أقدر على استعماله مع سواه.. ازداد احساسي بعمق فاجعة جلالته في أخيه وصديقه ورفيق صباه، ونجي شبابه، وساعد رجولته.

كان سمو الأمير اجزل الله له في الرضى والرضوان، يعرف ان الكتاب يوشك أن يبلغ أجله، ومتأكدا ان الساعة قريبة ولم يبق لها أن تأزف الا بضعة شهور.

والتقيت بسموه اثر عودته الأخيرة من العلاج في امريكا، وحاولت أن أبدو مرحا، وان لا أسأله عما تم في العلاج.

وكأنه ليس مريضا، وكأني لم ابتعد عنه بضعة أشهر باستثناء هذه المكالمات التلفونية بين الفينة والأخرى، وإذا به يقول لي: لا تحاول الهروب، من مواجهة الواقع، سأموت قريبا، وذلك قضاء الله لا راد له، إنما يشغلني هو هل يعرف سيدنا الحقيقة أم لا ؟...

ثم انطلق وكأنه يحدث نفسه بحضوري، ولا يوجه الكلام لي: لست ادري هل ابلغه الأطباء بيأسهم من العلاج؟ ومع ذلك ما هي

الوسيلة التي أجعل «سيدنا» يتلقى بها أنباء يأسهم بالتدريج، حتى لا يفاجأ مرة واحدة بالحقيقة، أريد أن أنقل إليه ما أريد دون تصريح.

ثم اتجه الى سموه قائلا

الا ترى معي أن أبعث لسيدنا رسالة، وأنا واثق أنه سيفهم عني ما أريد أن أقوله، بما لا أستطيع مواجهته به.

ثم ابتسم حين لاحظ وجومي، وشرود نظراتي.

ما لك ؟... اتخاف من الموت ؟...

وقلت لسموه

لست أدري لماذا هذه الأخيلة التي تدفعك لازعاج غيرك وتكدير صفوهم، إن حالتك كما أراها الآن لا تختلف عما أعرفه منك قبل المرض. فمعظم الناس يمرضون ويشفون من مرضهم، فلماذا الاصرار على هذا الاقتناع؟ اننا لا نموت باختيارنا، ولا بارادتنا ولكننا نموت بآجالنا

ولم يدعني أتمم كلامي، وقال

هذا ما كنت أبحث عنه، اننا لا نموت باختيارنا ولا بارادتنا، ولكننا نموت بآجالنا. فاقسم لي أن أحدا لن يسمع منك أني أعرف حقيقة مصيري القريب.

وبين ابتسامته ودموعي اقسمت لسموه. فقد كان يريد أحدا يكشف له سرا، وكنت ذلك «الأحد»، الذي عاشره خمسة وعشرين سنة، وبقي السر يأكلني، ويحفر في نفسي الى أن وقفت على جثمانه قبل ثلاث سنوات أودع الأمير، والصديق، والصاحب.. وعوضي على الله سبحانه في الأمير والصديق والصاحب، ويرحمه ربي رحمة واسعة، فقد كان القلب الكبير والعقل الراجح، والمغربي الأصيل، وانا لله وانا اليه راجعون.

العلم 22 نوفمبر 1986

... وسقطت حبة أخرى من العنقود ؟..

ذلك قدري، أن أفتقد أحبابي شبابا، وأفارقهم وقدماي تدرج الى زقاق الشيخوخة، فلا ألقى فيه من أسترجع معه ذكريات الصبا، ولا أجد بجانبي من أتواسى معه من الرفاق.

يرحلون واحدا يلحق الآخر، ولا يدرون أنهم الراحلون المقيمون وأنا المقيم الراحل... مستقرة أجداثهم بين لحودها، هادئة أرواحهم عند خالقها، ودائم الرحلة أنا مع ذكرياتي معهم.

عبد القادر الصحراوي، العربي بناني، أحمد بن المليح، عبد المجيد بن جلون بالأمس، واليوم محمد الناصري.

وغدا من سيكون ؟

أنا ؟ أم هو ؟

ومن هو هذا ؟

إنهم فئة قليلة تتناقص من أطرافها.

آمنت بالاسلام منهجا، وبتعاليمه سلوكا.

تمسكت بالديمقراطية والشورى وسيلة للتعايش والعدل.

وأخلصت للغة العربية سياجا للفكر، ووعاء للتراث، وينبوعا للعواطف، ونسيجا للوحدة، ولحمة للتواصل والتفاهم.

اننا جيل لن يراه المغرب مرة أخرى، صدقوني، جيلنا لن تحبل به أرحام، وأخشى أن لا يكون له مريدون

نحن مسيح بدون حواريين، وشيوخ صوفيون بدون أتباع، وأنهار لا روافد لها، وخلجان مغلقة ليس أمامها بحر تصب فيه مياهها، حيتانها ينهشها الضياع، ويفترسها العبث، ويقذف ببقاياها في القمامات.

محمد الناصري، حبة أخرى تسقط من العنقود الباقي في دالية يبست أعوادها، ونشفت عروقها.

كان ــ يرحمه الله ــ عصاميا ككل أفراد جيله، صلبا كحجارة جبال أطلسه، هادئا كنهر أبي رقراقه، مكافحا كأهل مدينته، عالما، أديبا، شاعرا، زاهدا كأولياء سلاته، لم يترك على أرضه أثرا فقد كان مشيه هونا، ولم يخلف وراءه أعداء فقد كان خطابه سلاما، قنوعا اذا ألمت به خصاصة، صبورا اذا نزلت بساحته ضائقة، الناس يتصارعون من حوله على منصب زائل، ويتحاسدون على أعراض فانية، ويتربصون بسواهم دوائر السوء، لا قيمة لمبدأ، ولا وفاء لعهد، ولا اخلاص لعقيدة، ولا اطمئنان مع النفس، ولا ثقة في الناس، وهو في نقائه وصفائه ويقينه يؤمن بان ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما اخطأك لم يكن ليصيبك، فلم الصراع؟.. ولم التهافت؟.. ولم اذلال الكرامة التي أعزها الله، وأرادها دائما شامخة ؟...

عرفته منذ أربع وأربعين عاما يأخذ بيدي في جامعة القرويين صحبة الصديق شقيقه بناصر، يرشدنا كيف نفهم الشيخ خليل، وكيف نحب ألفية ابن مالك، وكيف نحفظ أشعار المتون، فكان الفقيه.

وعرفته يوم أخذنا ــ دون الحلم ــ لنوقع على وثيقة تأييد وثيقة الاستقلال، وفي مثل هذا اليوم سار بنا الى مسجد سيدي أحمد التيجاني، لنرعى الشهداء وجرحى رصاص المستعمرين، فكان الوطني.

وتركنا نتنقل بين حلقات الدروس، ونعيش على الخبزة في مدرسة الأندلس ومدرسة الصفارين، والمدرسة المحمدية، وفارقنا الى القاهرة، ليلحق بالفئة التي سبقته اليها قبل عشر سنوات، فرارا من الجهل، سعيا وراء العلم، من غير منح ولا مورد.

ويكلفه الزعيم علال باستقبالي حين تقررت هجرتي، وأجده

قد أعد لي في صالون مكتب لجنة تحرير المغرب العربي بشارع ضريح سعد مرتبة على الأرض أنام عليها، ويأخذني معه الى مشاركته في وجبة غذائه في مطعم «البرلمان» وكانت وجبته الوحيدة في الأربع والعشرين ساعة، فأصبح له شريك فيها.

وترفض وزارة الداخلية المصرية الاذن لي بالاقامة في مصر، ويصحبني الفقيد العزيز عبد المجيد بن جلون، والفقيد الغالي محمد الناصري الى مطار القاهرة لترحيلي الى لبنان، مع رسالة من الزعيم لرئيس مكتب المغرب العربي في بيروت عبد السلام أبو عزة الجزائري، ورسالة الى رئيس مكتب المغرب العربي في دمشق يوسف الرويسي، التونسي اذا لم يسمح لي بالاقامة في لبنان.

وأتشرد بين لبنان والأردن وسورية خمسة أشهر، ولا رفيق سوى رسائل من الزعيم علال والاخوة بن جلون وابن المليح والناصري وتشجيعهم لي على الصبر وعدم اليأس إلى أن قامت الثورة، واستطاع الزعيم أن يستخرج لي إذنا بالعودة إلى مصر.

ووجدته في ميناء الاسكندرية ينتظرني   فكان الصديق الوفي.

العلم ، والوطنية ، والصداقة ، والوفاء.

كل صفة من هذه الصفات، تستطيع واحدة منها أن تجعل من المتصف بها انسانا فريدا، فكيف اذا كانت صفات تجمعت في شخص واحد ؟

فاذا أضاف لتلك الصفات صفتين أخريين، هما الترفع والزهد، ألا يكون مصابي فيه جللا ؟..

في مثل هذا الشهر من عام 1964 انعقدت القمة العربية الأولى في القاهرة، وكان الفقيد قائما بالاعمال في السفارة، وأمرت أن أسافر من بيروت الى القاهرة لاعداد المشاركة المغربية، ومن خلال مناقشة

جدول الاعمال مع السيد أحمد رضا كديرة وزير الخارجية حينئذ لفت انتباهه شفافية التفكير السياسي لدى الفقيد، وعند انتهاء المؤتمر، لم يخف وزير الخارجية التعبير عن اعجابه بمحمد الناصري، وحدثته عن وضعه الاداري في الوزارة، وانه لحيائه يخجل من مفاتحة الوزير، وعبر السيد جديرة عن استعداده لتجاوز أية اعتبارات ادارية.

ونقلت البشرى للأخ الصديق، ورتبت له لقاء معه في مقهى فندق هيلتون حيث كان يقيم الملوك والرؤساء، وعبر الوزير عن اعجابه به، وبتفكيره وعمق تحليله، وشكره على الجهد الذي بذله ثم سأله

هل تريد مني شيئا أساعدك به في الادارة ؟..

فسكت الفقيد برهة ثم جمع كل شجاعته وقال

نعم، أريد من سيادتك إذنا في أداء العمرة

ونظر الي الوزير مندهشا ، ثم قال له

تستطيع اداء العمرة في أي وقت تشاء.

ونهضنا، واختليت بالوزير وقلت له: ان محمد الناصري هكذا واذا لم تسو وضعيته في عهدك فلن تسوى بعدك.

و لم تمض أيام على عودة السيد جديرة الى الرباط، حتى تولى بنفسه اصلاح ما كان فاسدا، وانصاف من يترفع عن انصاف نفسه.

* * * * *

وأستعد لمغادرة الوزارة الى مسؤوليتي الجديدة سفيرا في القاهرة ويسألني الدكتور عبد اللطيف الفيلالي وزير الخارجية

من تراه يحل مكانك في ادارة الشؤون العربية والاسلامية ؟

وأقول بدون تردد

يحل مكاني من هو أكفأ مني، إنه محمد الناصري

ويقول لي

ولكنه يتجاوز سن الستين.

فأقول

ولكنه ماذا ؟...

ان الكفاءة لا سنون لها، دعوه يعط لوطنه مادام قادرا على العطاء.

وقد أعطى لوطنه حتى آخر لحظات قدرته حين جفت زيت قنديله.

أيها العزيز،

قبل أن يموت والدي كنت لما أقبل يده أشعر بطفولتي، وحين يزجرني أحس بشبابي، وعندما يناقشني أزهو برجولتي، ولما مات، انزاحت الستر فجأة، فرأيت الطفولة والشباب والرجولة تركض فرارا مني، لم يكن عجوزا — مع وجوده — غير شعري، بعده لم يبق مني طفل ولا شاب ولا رجل، تخلف بعده أصدقاء، اذا عزوك كان عزاءهم صدقا، واذا واسوك كانت مواساتهم لأنفسهم، وها هو عقدهم ينفرط، وحباته تتناثر في متاهات الحياة، وغيب الآخرة، فلا التجمل يردع حزني، ولا الدمع يطيعني، فقد «خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا، لفارقت شيبي موجع القلب باكيا.»

الكاتب في سطور..

* ولد في مدينة فاس في 15 مارس 1929
حفظ القرآن في المسيد
* بعد الدراسة الابتدائية التحق بجامعة القرويين
* سافر إلى القاهرة عام 1952 وتابع دراسته في معهد الدراسات العربية العالية، ومعهد الفنون المسرحية.
* بعد استقلال المغرب عمل سكرتيراً لتحرير جريدة العلم، ثم رئيس تحريرها.
* 1959 عين نائب مدير الإذاعة الوطنية مشرفاً على الإذاعات الموجهة وعلى البرامج الثقافية.
* 1961 التحق بوزارة الخارجية، وعين كاتبا أولا في سفارة المغرب في لبنان ثم مستشارا بها.
* 1966 عين مديرا للشؤون الصحفية في وزارة الخارجية.
* 1970 عينه جلالة الملك سفيرا في الأردن.
* 1976 أصبح سفيرا لجلالته في تونس.
1979 ومندوبا دائما للمغرب لدى جامعة الدول العربية بها.
* 1986 عين مديرا للشؤون العربية والإسلامية بوزارة الخارجية.
* 1987 سفيرا لجلالة الملك في جمهورية مصر العربية.
* 1991 سفيرا لجلالة الملك في المملكة العربية السعودية.
* 1994 انتهى عمله مع الإدارة المغربية.

وخلال عمله الديبلوماسي شارك في الوفد المغربي لجميع مؤتمرات القمة العربية ومؤتمرات منظمة المؤتمر الإسلامي وترأس وفود المغرب للعديد من المؤتمرات العربية والإسلامية.

* وحين قررت الدول العربية تعديل ميثاق الجامعة العربية عينته بالإجماع رئيسا لها.
* ساهم بعطاء ثري في الحياة الثقافية والسياسية بالمحاضرات والمقالات والندوات والأحاديث الإذاعية. كما ترأس وفد اتحاد كتاب المغرب في مؤتمر الأدباء العرب بالعراق عام 1969.
* يحمل العديد من الأوسمة منها
  * وسام الرضى من الدرجة الممتازة.
  * وسام العرش من درجة ضابط.
  * وسام الحسين بن علي الأردني.
  * وسام الجمهورية التونسية.
  * وسام الأرز اللبناني.

قالوا عن الكاتب ...

• يأسرك الكاتب بلباقة آسرة، ترغم قارئه على متابعة القراءة، فلا يشعر بملل أو سأم، ويتمنى لو طالت الرحلة معه.

روكس بن زايد العزيزي ـــ الأردن
الاذاعة الأردنية 1976

• اشتهر الأستاذ محمد التازي بمذكراته في العلم، وبأحاديثه الثقافية في الإذاعة وكان له دور في الثقافة المغربية

وقد فسح المجال في «العلم» واسعا للشباب لنشر إنتاجه الثقافي.

الدكتور: محمد عابد الجابري
«جريدة العلم» سبتمبر 1994

• ليس من الادعاء أن أزعم لك بأن هذه الخواطر ليست أقل جمالا ولا أضعف أسلوباً من هذه الخواطر التي نقرأها في صحف الشرق العربي

وستضطر اضطراراً إلى أن تشكر الأستاذ التازي وتتمنى أن تتكرر مثل هذه اللحظات الجميلة في كتابه المعد للطبع

حسن الوراكلي
جريدة العلم ـــ 1962

ولعل القراء في المغرب مازالوا يذكرون معاركه الصحفية والأدبية، وقد أثارت بعض قصصه ضجة في الأوساط المغربية المحافظة.

عبد الرحمن المريني
جريدة العلم

• إن الشعر الأبيض لم يؤثر في حدة القلم الذي أعتقد أنك لم تغيره منذ البداية.. فقرات لاذعة، وكلمات نارية.. إن كلماتك ترن، وتطن، وتصوت، وتزعج الآذان !

عبد الكريم غلاب
في رسالة للكاتب 1964

• كلما أسمع اسم هذا الديبلوماسي المغربي المحنك الذي يحمل اسم الأستاذ محمد التازي، أراه مع تاريخه الأدبي والثقافي والفني الحافل في الخمسينات. قبل أن تخطفه الديلوماسية من أحضان الثقافة والأدب والأعلام يمثل وطنه سفيرا في الأردن، وتونس والقاهرة، والسعودية حيث كان ناجحاً دائماً

مراسل جريدة عكاظ في المغرب
في 2 ماي 1991

للكاتب تباعاً

1 ـــ هموم عربية
2 ـــ يوميات صحافي (الجزء الثاني)
3 ـــ يوميات ديبلوماسي
4 ـــ المسيرة (رواية)
5 ـــ حبر على ورق
6 ـــ مجموعة قصص (قصيرة)

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الايداع القانوني رقم : 1996/63

هذا الكتاب

... ولعل الجيل الذي كان متوسط عمر أفراده حين الاستقلال ما بين الخمسة عشر والعشرين سنة، يجهل حتى الآن جهلا كاملاً المرحلة الصعبة التي عاشها المغرب عقب الاستقلال، والتي أفرزت كل ما هو إيجابي وما هو سلبي في حياتنا الحاضرة ...

وبدون ادعاء، فقد كان لما ينشر في العلم أيامئذ تأثير قوي في الفكر السياسي والاجتماعي والثقافي، ولعل شهادة الأصدقاء التي أعتز بها، والمنشور بعضها في جريدة العلم خير شاهد على ذلك، كما أعتز باهتمام غيرهم من الأساتذة الجامعيين الذين يجدون فيما كتبت، وفيما أكتب سواء عندما كنت صحافياً، أو عندما جرف التيار سفينتي للديلوماسية، أو حين جنحت إلى الشاطئ، فرست خارج مجرى النهر، كانوا يجدون وحدة في الفكر، والتزاماً في الاتجاه، وصدقاً في التعبير عن اهتمامات المواطنين. داخليا وعربياً.

30 درهما